سفر أيوب

القديس يوحنا ذهبى الفم

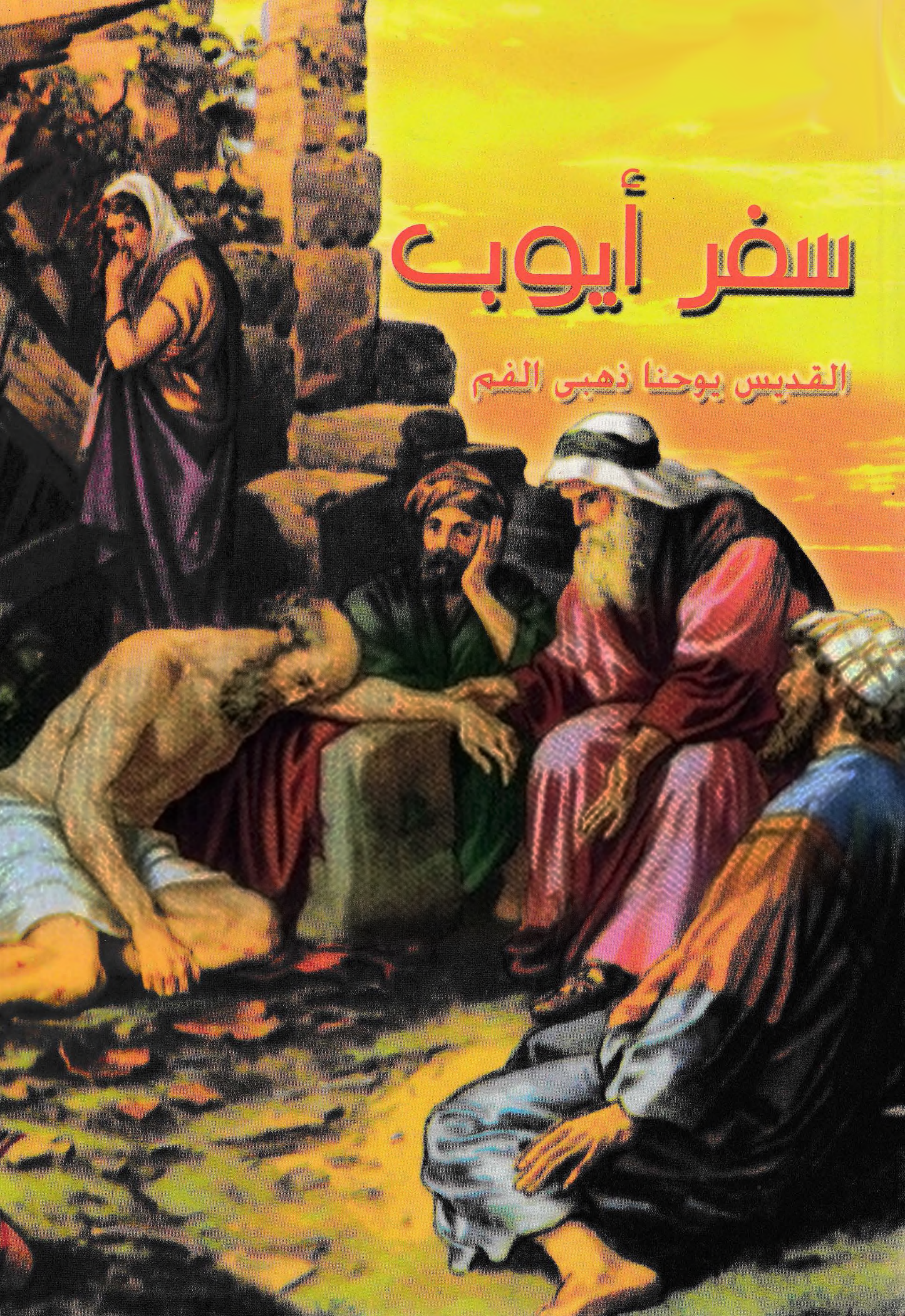

تفسير سفر أيوب
للقديس يوحنا ذهبي الفم

(النص مأخوذ من الترجمة السبعينية)

قداسة البابا المعظم

البابا شنودة الثالث

بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

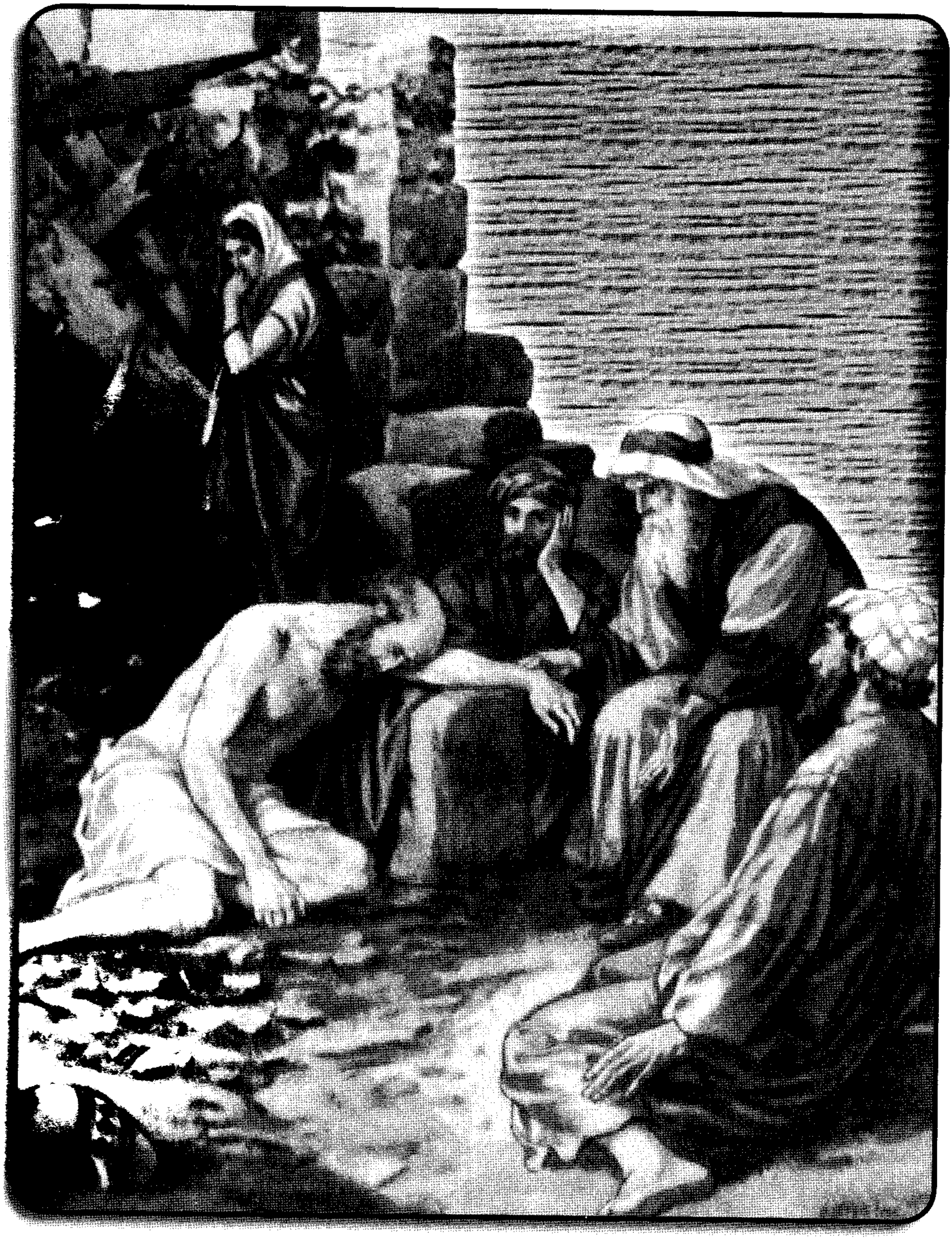

مقدمة

"فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على صخرة فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الريح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسساً على الصخر" (مت ٧: ٢٤)

هذا السفر من الأسفار الشعرية والتعليمية وهو يعبر عن إحساس أيوب وهو يعتبر من أقدم الأسفار.

لقد سمح الله للشيطان بأن يجرب أيوب لأن الله واثق من الأساس الذى بنى عليه أيوب الأساس الإيمانى المبنى على الصخرة لا يتأثر بأى ضغوط ويحتمل الصعاب - إيمان راسخ - حياته مبنية على الله «الله أعطى الله أخذ فليكن اسم الرب مبارك».

لم يتخل أيوب عن الله فى وسط الآلام كان دائماً شاخصاً لله.

فالإيمان هو التسليم الكامل لله فكان أيوب «بالإيمان يحيا» (عب١٠: ٣٨) فنتعلم من هذا السفر الثقة فى مواعيد الله «على هذه الصخرة أبنى كنسيتى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» مت ١٦: ١٨.

نتعلم الخضوع الكامل لإرادة الله مع رفع القلب لله بشكر ورضى «فليكن اسم الرب مبارك إلى الأبد» أى ١: ٢١.

فلنقل هذا بخصوص كل شيء نفقده لا أفكر لماذا يحدث لى هذه البلايا بل نفكر فى رحمة الله وهذه الآية التى قالها أيوب فهى علاج لكل الظروف وهى تقضى على اليأس» (ليكن كما يقرر الرب) أى ١: ٢١.

يوجد أسئلة كثيرة عندما نتعرف على حياة أيوب فى هذا السفر منها لماذا سمح الله للشيطان؟؟ وما الهدف منها؟ وماذا أستفاد من هذه التجربة الإجابة نستخرجها من نصوص الكتاب المقدس وبالأخص سفر أيوب التعليمى.

فأيوب تعرف على حقيقة نفسه وضعفاته.

لقد استفاد أيوب أنه تنقى أكثر تمجد بالأكثر على حساب هذه التجربة والمكائد التى صبها عليه الشيطان - لقد جرده من مادياته لكى يجدف على الله - ثم عذب جسده

ليحبط صلاح نفسه ـ أفسد الشيطان سمعته حتى أعلن أصدقاؤه أن هذا جزاء له عن خطاياه وجهه ضده أتهامات كثيرة وطرد من مدينته وبيته بل صارت المزبلة مدينته وبيته لقد أخذ الشيطان منه كل شيء ولكنه لم يأخذ منه إيمانه بالله.

فخرج من هذه التجربة وهذه المحنة يتمتع بثقة أعظم لدى الله وذاد قوة صلاحه وتقوه «الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص».

أرجو للقارئ حياة روحية مقدسة بشفاعة والدة الإله العذراء مريم وكل مصاف القديسين وصلوات قداسة البابا شنودة الثالث وشريكه فى الخدمة الرسولية أبينا الأسقف المكرم الأنبا تيموثاوس أسقف عام كنائس حى المطرية وعين شمس.

ولربنا المجد الدائم إلى الأبد أمين

القس

أثناسيوس يوسف حنين

راعى كنيسة العذراء عين شمس الغربية

شرح سفر أيوب
للقديس يوحنا ذهبى الفم
تمت الترجمة عن
JEAN CHRYSOSTOME
Commentaire Sur JOB
Sources Ch'tiennes
N.346, 348.

مقدمة الكتاب

يُعتبر سفر أيوب أحد أسفار الحكمة، وهو فى الأصل كُتب شعراً. وتتصدى هذه القصيدة الشعرية الطويلة لمشكلة هى من أعقد المشاكل وأعمقها فى الحياة الإنسانية. جابه أيوب هذه المشكلة فى نحو القرن العشرين (١٨- ٢٠) قبل الميلاد، وطرح على نفسه كما طرح على الله، مجموعة من التساؤلات التى تدور حول الألم: كيف نفسر استشراء الألم ووجود الخطية على الرغم من وجود إله قادر على وضع حد نهائى لهما؟ لماذا يتألم البار؟

والغرض الرئيسى لهذا السفر هو دحض النظرية التى تقول أن الألم هو علامة على غضب الله وعدم رضاه، وأن الألم لابد صادر نتيجة خطية ارتكبها من يقاسى هذا الألم. ومن يدرس العهد القديم يلاحظ أن كثيراً ما يأتى النجاح نتيجة لحياة البر، وأن الشر هو نذير الفشل والخيبة (قارن خر٢٣: ٢٠، ٢٦؛ تث٢٨؛ مز٣٦، ٣٧؛ إش٧:١٣- ٢٨؛ ار٧:٥-٧؛ ٥:٨-١٧، ١٩-٢٧) ولذا فعندما يكون هناك استثناء لقانون الثواب والعقاب يصبح ذلك سبب حيرة عظيمة وارتياب بالغ، أما فى حالة الأبرار فقد كان هناك اتجاه إلى البحث عن الخطية التى هى سبب ما يقاسون من ألم، بما أن الألم ينتج عن الخطية. لذا فكل ألم هو دليل على أنه كانت هناك خطية سببت هذا الألم. ومن الواضح أن هذا الاستنتاج يجانب المنطق السليم. وأيوب فى نقاشه لا يدّعى أنه برئ كل البراءة من الخطية ولكنه يعتقد اعتقاداً راسخاً أن عقابه – إن كان هناك شئ يوجب العقاب – فإنه لا يتناسب فى قسوته مع خطيته. وتصوَّر فاتحة السفر أيوب كرجل أصاب نجاحاً كبيراً فى حياته ويمتلك الكثير من القطعان والمواشى وله عدد كبير من الخدم وله أسرة كبيرة. وقد سُمح

للشيطان أن يختبر إيمان أيوب، ففقد أولاً مقتنياته وحُرم من أولاده وبناته، ولما فشلت هذه الوسيلة فى إخماد إيمان أيوب سُمح للشيطان فيما بعد أن يصيب جسده بالأمراض. ولكن إيمان أيوب ينتصر فى النهاية ويعود إلى نجاح فاق نجاحه الأول.

ويظهر من خلال المحاورات التى دارت بين أيوب وأصحابه، أن أيوب كان يشعر شعوراً قوياً باستقامته، ومع ذلك فإنه لا يستطيع أن يدرك سر اليد التى جاءت عليه بقوة وقسوة. ويزداد التنازع القلبى الداخلى كلما ازداد اليأس من حالته الخارجية الظاهرة (الخراب الذى أصاب)، ولكنه فى كل هذه يبقى ثابتاً على عزمه، راسخاً فى اعتقاده، أنه مهما وقع عليه من سوء ومهما أصابه من شر، فإنه سيبقى على ثقته بالله واتكاله عليه. ثم يرى بريقاً من النور عندما يجول بخاطره أنه فى وقت ما ووفقاً لمسرة الله ورضاه سيظهر برّ أيوب وتُعلن براءته. وربما لا يحدث هذا فى هذه الحياة الدنيا، ولكنه سيحدث يقيناً وإنه لا بد آتٍ. وفى هذا اقتناع قوى بالخلود. عندئذ ينطق أيوب بهذا القول الرائع «أما أنا فقد علمت أن وليى حى، والآخر على الأرض يقوم، وبعد أن يفنى جلدى هذا وبدون جسدى أرى الله» (أى١٩: ٢٥، ٢٦). وبهذا يصل أيوب إلى الأساس الراسخ الذى لا يمكن أن يتزعزع عنه البتة. ثم فى النهاية يتقدم أليهو، أحد أصحاب أيوب الذى كان صامتاً إلى الآن، ويقدم أساساً آخر للحوار، فبدلاً من أن نعتبر الألم كعقاب للخطية، يضع هو اعتباراً آخر وهو أن الألم كثيراً ما يكون وسيلة إلى تشجيع أولاد الله وتنقيتهم وتطهيرهم، وفى هذه الحالة لا يعبّر الألم عن غضب الله بل يكون كمجرد تأديب صادر من أب محب. وفى هذا يظهر أليهو وكأنه يمهد الطريق لمجيء الرب المخلص. ويظهر من (أى ٣٢-٣٧) أن أيوب قبل هذا الرأى. عندئذ يتكلم الرب ويُظهر لأيوب أن معرفة الإنسان ضئيلة قليلة لا تمكّنه من أن يدرك كيف يفسر أسرار الله وأحكامه، فيتضع أيوب أمام الله ويدرك أننا فى حاجة إلى الله نفسه أكثر من حاجتنا إلى إجابات وتعليلات لمشكلات الحياة.

إن الغموض الذى يكتنف الوجود البشرى والحاجة المطلقة إلى الثقة بالله يغلبان على هذا السفر. يفتقر الإنسان إلى المعرفة الكافية التى تعلل أسباب ما نقاسيه من أحداث أليمة، ولماذا وقعت على الوجه الذى وقعت عليه. من الممكن أن نتخطى حدود إمكانياتنا البشرية بالإيمان بالله، لأن الله يعرف أسباب ما يحدث ويحّول كل شيء لخير الذين يحبونه. وعلينا أن نتعلم هذا الدرس العميق: لو فقدنا كل شيء ولم يبق معنا سوى الله، فالله وحده يكفى لحياتنا.

أما من جهة هذا التفسير والشرح الذى ثبت صحته لذهبى الفم فلا توجد معلومات من جهة زمن كتابته، أو لمن تم توجيهه سوى إحدى عشر عظة ألقاها ذهبى الفم فى القسطنطينية بين عامى ٣٩٨، ٣٩٩ وعنوان العظة الرابعة منها هو «الجهادات والمصارعات التى جازها أيوب البار والطوباوى» ولكن واضح أن الشرح الذى بين أيدينا هو فى صيغة كتاب تم تأليفه، وليس على هيئة عظات أُلقيت على جمع من الناس.

ملاحظات:

١- تم الاستعانة بقاموس الكتاب المقدس، الطبعة السادسة ١٩١٨م، ومقدمة سفر أيوب فى كتاب الترجمة التفسيرية، فى كتابة هذه المقدمة والأسطر الأخيرة جاء من نفس مقدمة الكتاب الذى تُرجم منه التفسير.

٢- جدير بالذكر أنه تم الاستعانة بالنص الإنجليزى للترجمة السبعينية ولم نأخذ دائماً بالنص السبعينى للنص الفرنسى، وهما يختلفان أحياناً وحاولت قدر المستطاع أن آخذ النص الأقرب للنص العبرى الموجود فى طبعة بيروت حتى يسهل على القارئ متابعة الشرح، مع العلم أن النص السبعينى عموماً توجد بعض اختلافات بينه وبين النص البيروتى، فرجاء وضع هذا الأمر فى الاعتبار.

٣- قمت بعمل دراسة للسفر منذ أقل من عامين، كانت مقدمتها فى حوالى ٤٩ صفحة تغطى كثير من النقاط التى تتطلبها مقدمة للسفر.

٤- سنورد فى الصفحات التالية مقدمة الكتاب بقلم القديس يوحنا ذهبى الفم.

مقدمة الكتاب

فى أى عصر عاش أيوب:

١- يليق بنا أن نتساءل قبل كل شيء متى ولدت هذه الشخصية؟ فالبعض يعتقد أنه كان سابقاً لموسى، وأنه من الجيل الخامس لنسل إبراهيم[١]، وآخرون قالوا إنه عاش تحت الناموس. لكن لنتمهل حتى يقولوا لنا إن كان تاريخه نفسه قد أعلمنا فى أى عصر من العصرين عاش. لأن هذه النقطة بالذات ليست قليلة الأهمية بالنسبة لنا لكى نحكم على فضيلة هذه الشخصية، لأنه شيء مختلف إن كان بهذه الفضيلة المثيرة للإعجاب قد استفاد من وصايا الناموس، أو إن كان قد أظهر مثل هذه الصلابة قبل وجود هذا التعليم التهذيبى (الذى للناموس). إن عظمة هذه الشخصية مشهود لها سواء من جهة أعماله أو حتى من جهة الله الذى قال «حتى لو تشفع نوح وأيوب ودانيال، فلن يخلص ابن أو ابنة لهؤلاء الناس» (انظر حز ١٤: ١٤- ٢٠).

الله من البدء كان معروفاً لكل الناس:

٢- لماذا لم يذكره موسى؟ أية ضرورة أو أى سبب كان يستدعى هذا؟ بل بالحرى تعجب كيف أن جده عيسو لم يكن سبب عثرة (حرفياً خسارة) له. إنه لم يكن من ذرية إبراهيم (التى فازت بالوعد)، أو بدقة أكثر لم يكن من يعقوب، بل كان ساكناً فى أرض غريبة. وها أنت ترى أن الله أرسل معلمين[٢] لكل الناس. ولاحظ كذلك كيف أنه منذ البدء كانت معرفة الله واضحة فى كل مكان.

يمكنك أيضاً أن ترى كيف أن أصدقاء أيوب كانوا كذلك على معرفة بالله. من الذى علمهم إياه؟ من الذى أخبرهم عنه؟ لأنه – بحسب اعتقادى – كان أيوب سابقاً على

---

(١) ١- فى شرحه للإصحاح ٢٤ فقرة ٩ اعتمد ذهبى الفم على نهاية سفر أيوب فى السبعينية (أي ٤٢: ١٠-١٧)، وقال إن أيوب كان ملكاً على أدوم باسم يوباب وهذا نجده مذكوراً فى (تك ٣٦: ٣٣)، والكتاب المقدس يقدم لنا التسلسل الميلادى التالي: إبراهيم – إسحق – عيسو – رعوئيل (تك ٣٦: ١٠) – زارح (تك٣٦: ١٣) – يوباب. كما أشار ذهبى الفم فى الفقرة الثانية والرابعة من هذه المقدمة بأن أيوب لم ينتم إلى نسل إبراهيم الذى يحمل الوعد والبركة لأن يعقوب وليس عيسو هو الذى ورث الوعد والبركة..

(٢) يقصد ذهبى الفم أن الله أرسل أيوب كنبى أو كمعلّم يعلّم جيله فيما يختص بالله ويعلّمهم هم وكل الأجيال التالية فضيلة الصبر. وتطبيقاً لهذا قال فى أول سطر من الفقرة الثالثة أنه معلم كامل.

الناموس، وهذا أيضاً أمر واضح. وأيضاً يمكن القول بحق، أنه أمر واضح أن السفر كان أول سفر يُعلّم ويعلن عن معرفة الله، ولكن عبر حياة الصبر.

سيرة أيوب هى علامة واضحة على قوة الله:

٣- علاوة على هذا ينبغى أن توجد علامات بشأنه لكى يكون المعلم كاملاً من جهة هذا أيضاً. فكما فى حالة إبراهيم كانت توجد علامات كثيرة، لذلك أيضاً توجد علامات فى حالة أيوب.

لاحظ أيضاً كيف أن ملوكاً قد جاءوا لكى يكونوا شهوداً بصفة شخصية على بلاياه. فإنه بعد أن انتهت المصائب التى كابدها، وتحّول وضعه وتحسن، بدت وكأنها أمراً لا يُصدق. لهذا السبب فإن الله قد أكثر من عدد المعاينين لها وأطال فترة حضورهم وجعله يجلس خارجاً لكى يكون منظراً لكل من يرغب فى رؤيته (انظر١كو٤: ٩): لكى عندما يغيّر الله وضعه نحو الأفضل لا يمكن لأحد أن يتشكك من جهة الخير الذى أصاب نفس هذا الإنسان. وكما أن الله قد ترك لعازر مائتاً طيلة أربعة أيام لكى لا يتشكك أحد فى قيامته، كذلك ترك الله تجربة أيوب تمتد لكى يُظهر الله صبره ولكى يؤكد على آية تحوله (نحو الأفضل روحياً ومادياً). لأن الذين رأوه فى مثل هذه الحالة والذين استهزأوا به، ثم يرونه بعد ذلك وقد تغيّر (نحو الأفضل) لا يعودوا بعد يجادلون من جهة الخير الذى أصاب هذا الإنسان. لأن الذين قالوا سابقاً من جهة لعازر «إنه قد أنتن» (انظر يو ١١: ٣٩) قبلوا بحقائق تعليم الحق، فنفس الشىء يسرى أيضاً من جهة الوضع الراهن.

سفر أيوب يعلن عن الإنجيل قبلاً:

٤- أترى كيف أن الله يسهر فى كل مكان على (رعاية) البشر؟ عندما كان اليهود فى مصر وعندما كانوا محرومين هناك من مرشديهم، كان لهم مثال أيوب (فى الصبر على الشدائد والضيقات). أنظر إليه فى غناه وفى فقره[١]، فهو نموذج لكلتا الحالتين. فلا الوضع الأول جعله ينتفخ متكبراً ولا الوضع الثانى سحقه، وهو تابع الفضيلة وسلك فيها قبل الناموس كما لو كان عائشاً بعد الناموس، إذ الكتاب يقول

(١) إن ذهبى الفم كثيراً ما يدعونا للتأمل مرة فى غنى أيوب ومرة فى فقره، ليؤكد على أن فضيلته لم تكن تُعزى إلى أي من هدين الوضعين. إذ أن الأساس كان فى كونه متجرداً داخلياً، كما أكد هذا أيوب مراراً بقوله «الرب أعطىً والرب أخذ. ليكن اسم الرب مباركاً».

«الناموس لم يوضع للبار» (١تي ١: ٩).

انظر كيف أن قوى التفكير الطبيعية مثيرة[١]!

من أين تأتى لأيوب أن يعرف الله؟ من أين تأتى له أن يخدمه (يعبده) حسناً؟ من أين تأتى له أن يتجنب الخطأ؟ من أين تأتى له أن يعطى مثالاً بتصرف إنجيلي؟ من أين تأتى له أن يبرهن على مثل هذا الصبر العظيم؟

إنه فى الواقع لم يتعلم شيئاً من أى إنسان، فمن أين تأتى له أن يصبر على النحو الذى صار عليه؟ من الذى علّمه؟ من الذى أخبره؟ ها أنت ترى أن كثير من تعاليم السيد المسيح فى العهد الجديد كانت مألوفة لدى أيوب.

(١) هنا ذهبى الفم يريد القول أن مجرد تفكيرنا الطبيعى كافى لأن يهدينا إلى وجود الله.

الإصحاح الأول

سيرة أيوب وتجاربه الأولى - فضيلة أيوب

رجل بلا لوم

"كان رجل فى أرض عوص[1] اسمه أيوب" (١:١).

انظر كيف أن أول مدح له هو كونه «رجل» وقال عنه «فى أرض عوص» وحتى فى هذه الكلمات يوجد كذلك مدح عظيم له، فكونه يحيا فى العربية[2] حيث العالم كله فاسد (هناك) وحيث لا يوجد أى مثال للبر (يُحتذى به)، فهذا كان شيئاً يثير الإعجاب.

«وكان هذا الرجل..»

مرة أخرى قال عنه أنه «رجل بلا لوم (كاملاً) ومستقيماً يتقى الله ويحيد عن كل شر» (١: ١)، وكل واحدة من هذه الصفات كافية لإظهار جمال نفسه. لكن كما أن المحب يكثّر الصفات الحسنة ليصف جمال من يحبه، كذلك نفس الأمر هنا. يقول الكتاب إنه بلا لوم (كاملاً) بمعنى أنه تقياً جداً، وأيضاً يصفه بأنه مستقيم ويتقى الله، وأيضاً «يحيد عن كل شر».

لاحظ أيضاً أنه قال عنه «يحيد عن كل شر» وليس فقط عن شر دون شر.

أين هم الذين يقولون أن الطبيعة البشرية مائلة بطريقة تلقائية نحو الشر؟ أية مخافة وأية شرائع جعلت أيوب على ما هو عليه؟ فلأن الكتاب قال «لأنه لا إنسان صدّيق فى الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطئ» (جا ٧: ٢٠)، لذلك وصف الكتاب أيوب بأنه «بلا لوم (كاملاً). فليس فقط أنه لم يقترف أى عمل ملوث بالخطية بل أنه لم يقترف ولا حتى ما هو ملوم ومذموم.

---

(١) ١- أرض عوص: فيها أقام أيوب، وفيها أغار عليه السبئيون والكلدانيون (١٥:١- ١٧). وكان الأدوميون يقيمون فيها فى عهد إرميا (مرا ٤:٢). ويُعتقد أن أرض عوص بين دمشق وأدوم فى الصحراء السورية وهناك من يعتقد أنها حوران.

(٢) ٢- ربما تكون هى الصحراء العربية المذكورة فى (غل ١: ١٧).

وأنت ستسمع الكتاب نفسه يقول هذا فيما بعد. وكل مرة يتكلم فيها الكتاب عن فضيلته تُذكر هذه الكلمات. لأن تلك أيضاً سمة من (سمات) حكمة أيوب أنه لم يتكلم عن فضيلته إلا عندما أُجبر على ذلك. وهكذا قال بولس «قد صرت غبياً وأنا افتخر. أنتم ألزمتمونى» (٢كو ١٢: ١١).

لماذا هو «بلا لوم»؟ هذا لأنه كان باراً ومستقيماً.

إنسان مستقيم:

مستقيم: لأن «بنو البشر هم كاذبون» (مز ٦٢: ٩ بحسب النص). كونه مستقيم ليس فقط فى الأعمال، بل هذا قيل عنه لكونه مستقيم بالحق، «لأن هذا هو الإنسان كله: اتق الله واحفظ وصاياه» (جا١٢: ١٣). فكما أن تماثيل البشر هى أشخاص وهمية، كذلك أيضاً هؤلاء الناس (الأشرار) هم أشخاص كاذبين. فإن كان «الإنسان كله هو أن يتقى الله» فمن لا يتقى الله ليس هو بإنسان، بل هو إنسان كاذب.

كان لأيوب هوى للأعمال المستقيمة، لهذا السبب قال عنه الكتاب أنه كان مستقيماً. بعد ذلك أشار الكاتب إلى سبب فضائله وهو «أنه كان يتقى الله». وهذه الفضائل هى التى جعلته يعرف الله، لأن الحياة الفاضلة تجعل الله معروفاً، كما أن الحياة الرديئة تنتج العكس.

لذلك فإن معرفة الله تُكتشف عبر الحياة (مع الله) وتصير حارسة لها. وهكذا لا ينبغى أن تبحث عن مصدر آخر للوثنية سوى الحياة الدنسة «كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتى إلى النور» (يو ٣: ٢٠).

بالرغم من الغنى

يقول الكتاب «يحيد عن كل شر»، وهو لم يقل «أنه لم يقترف خطية» بل قال إنه «يحيد عن كل شر» هذا لكى لا يُقال أنه كان باراً عدا نقطة (كذا)، وأنه كان مخلصاً عدا نقطة (كذا).

لا يمكن القول أن هذا كان عن ضعف. اسمع نصاً آخر من الكتاب «لئلا أشبع وأصير كاذباً واحلف باسم الرب..» (أم ٣٠: ٩). فها أنت ترى أنه إن لم يتخذ الإنسان حذره، فإن الغنى يكون أساساً للكذب. لكن هذا لم يكن حال أيوب. فهو كان غنياً، لكى تعلم من جهة

أنه كان يملك الغنى الذى يميل بالإنسان إلى الشر، ولكى من جهة أخرى تعلم أن الذى يدفع الإنسان إلى الشر ليس هو الغنى، بل الرأى الذى نحمله عن الغنى (المال من جهة طريقة استخدامه[1]). انظر إليه أيضاً فى فقره، لكى لا تعتقد بعد أن الفقر يعوّج التمييز (الرأى والإفراز الجيد). انظر إليه بالتناوب فى غناه وفى فقره وانظر عظمة المجاهد فى كلتا الحالتين، لأنه «كان تقياً».

من أين أتته هذه الصفات؟ إن النص لم يذكر من أين أتته، لكنك ستسمعه يقولها فيما بعد، إذ من الواضح أن هذا جاء من كنز قلبه.

العطايا التى أخذها من الله

أ- أبناؤه وبناته

٢- "وولد له سبعة بنين وثلاث بنات" (١: ٢).

لاحظ كيف أن الكاتب تكلم أولاً عن فضيلته وبعد ذلك تكلم عن أملاكه التى أخذها من الله. لاحظ نصيبه فى أن يكون له أبناء من كلا الجنسين ولاحظ نسبة الأبناء من الجنس الذى هو مرغوب بالأكثر والذى هو مصدر ربح أعظم.

إن الكتاب قال فيما سبق لماذا ينبغى أن نطوّب الإنسان: لعظم فضيلته ولخصوبة نفسه. ولهذا السبب فإن الفضيلة هى التى كانت سابقاً مصدراً لهذه الخيرات، أقصد الخيرات من جهة نسل عديد وجميل (سليم صحياً)، والكتاب يقول «لا تكون مسقطة ولا عاقر فى أرضك» (خر ٢٣: ٢٦).

لكن ألم يكن إبراهيم بلا نسل؟ فهذا لكى تعلم أن تلك الخيرات ليست هى فى الحقيقة مكافأة للفضيلة، لكن توجد خيرات أخرى غيرها (أبدية). وأيضاً فإنه تنازلاً من الله من جهتك أنه وعد بتلك الخيرات (الأرضية).

ب- مواشيه

٣- "وكانت مواشيه سبعة آلاف من الغنم وثلاث آلاف جمل وخمسمائة فدان بقر وخمسمائة أتان وخدمه كثيرين جداً، وكانت له خيرات كثيرة فى الأرض" (١: ٣).

(١) ٣- إن الإرادة وليس الموقف (وهو هنا الغنى والمال) هو الذى يوجد الخطية، فكل شىء يتوقف على الاختيار الحر للإرادة.

لاحظ قبل كل شىء أن غناه أخذ الصبغة الزراعية. إن الكتاب لم يتكلم عن قروض وربا ولا عن ذهب مخفى فى الأرض ولا عن شىء غير مفيد، بل تكلم عن كل الممتلكات الضرورية. هكذا كان غنى القدماء. وإن حدث أنهم كانوا يملكون ذهباً، فهذا فى كميات ضئيلة ومن العملات الذهبية الدارجة. إنه لم يقل أنه امتلك بيوتاً بسقوف من ذهب ولا قال أن غناه كان عقيماً. إن غنمه وبقره أتاحوا له أن يصنع الخير للمحتاجين، أما السقف الذى من الذهب فلم يكن يسنح له بهذا.

عظيماً كان هذا الثراء وهو لم يمنعه عن أحد.

"وكانت له خيرات كثيرة فى الأرض"

إن البعض يؤكد أن هذا كان يختص بخيرات روحية، وهذه بالحق كانت خيرات عظيمة. والبعض الآخر يقول إنها تختص بكرومه وأشجار الزيتون وخيرات أخرى شبيهة. على أية حال، فإن هذا الخير العظيم هو كل ما هو باقٍ، هو كل ما لا ينحل، هو كل ما لا يبطل، هو كل ما لا يتقوض.

هل ترى عظمة الغنى الذى كان له وكيف أنه مع ذلك كان باراً ويحيد عن كل شر؟

ج- مركزه

٤- يقول الكتاب "كان هذا الرجل أعظم كل بنى المشرق".

إن الكاتب يدعوه من بنى المشرق، وقال أنه فاق الكل فى البهاء والشهرة ويمكنه أن يعدد أجداده الوجهاء والمشهورين.

كيف أنه لم يُحمل على الكبرياء بالفضيلة التى سادت فى نفسه وبالسعادة التى جلبها له أبناؤه وبكونه الوحيد الذى امتلك – فى آن واحد – غنى وفضيلة وكونه سليل أجداد مشهورين؟ أما كون هذه الخيرات تُسقط الأشرار، فاسمع ما قاله النبى «لذلك تقلدوا الكبرياء. لبسوا كثوب ظلمهم وإثمهم» (مز ٧٣: ٦).

وأيوب من جهته يتساءل «لماذا يحيا الأشرار ويشيخون فى غناهم؟ (١٢: ٦). لكن بالنسبة له لم يكن الأمر هكذا. إذاً فليس طبيعة الغنى هى التى تحدد هذا التصرف، لكن رأى من لا يستخدمونه كما ينبغى. ففى حالة أيوب، أنت لا ترى تجارة محرمة أو تجارة غاشة أو قضايا أو أى عمل آخر مشابه، لكنك سترى غنىً مشروعاً ورخاءً طبيعياً، صانعه

هو الله نفسه. لن ترى هناك خيولاً ولاشىء للتباهى ولا شىء للمفاخرة ولا شىء للعبث، بل سترى كل ما هو مفيداً.

يمكن قول هذا كذلك عن إبراهيم، فغناه بالنسبة له أيضاً كان قائماً على تلك الخيرات المرتبطة بفلاحة الأرض. هذا الغنى المثير للإعجاب هو الغنى المرغوب فيه بالأكثر، الغنى الأكثر حلاوة، والأكثر إفادة وأمناً وبراً، والأكثر موافقة للتقوى، والمناسب أكثر للإنسان والأكثر خلواً من التعب، والأقل تعرضاً للأخطار والأقل خضوعاً للتقلبات والنكبات.

إن البعض يأخذ تعبير «كل بنى المشرق» على أنه يشير إلى ذرية إبراهيم، لأن إبراهيم كان يقيم فى تلك المنطقة.

أُسرة مثالية

٥- "وكان بنوه يذهبون ويعملون وليمة فى بيت كل واحد منهم فى يومه ويرسلون ويستدعون إخواتهم الثلاث ليأكلن ويشربن معهم" (١: ٤).

إن اتفاقهم الحسن كان عظيماً وهو حقاً أعظم الخيرات. لقد تربوا على أن يأكلوا طعامهم سوياً وتعوّدوا على جعل المائدة مشتركة، هذه التى بالحق تساهم بطريقة فعاّلة فى إقامة التوافق القلبى. ألا ترى يا عزيزى فرحة الوليمة ممزوجة بالطمأنينة؟ أترى هذه المائدة الأخوية؟ أترى هذه المجموعة المتآلفة سوياً؟ فهذا بالحقيقة يتأتى من محبة وود عميقين.

نموذج الآباء

إنه ربى أولاده على الاتحاد والألفة:

٦- يقول الكتاب "وكان لما دارت أيام الوليمة" (١: ٥).

هذا هو دليل المحبة العميقة، لهذا السبب فإن القديس بولس كتب أيضاً يقول «إذاً يا إخوتى حين تجتمعون للأكل، انتظروا بعضكم بعضاً» (١كو١١: ٣٣). إن المائدة المشتركة توجد مثل هذا المجتمع المترابط وترفعه حتى فوق خبث اللصوص (الشياطين). وكما يُقال عندما تتم المشاركة فى الملح والخبز مع المدعوين، فإنهم يغيّرون مواقفهم (العدائية) نحو بعضهم البعض ولن يغدروا بمن يشاركونهم مائدتهم. وهكذا اكتشف أيوب طريقة مزج فيها المسرّة مع الضرورة بتعويدهم على أن يأكلوا طعامهم سوياً. لاحظ أيضاً هذه

العادة المبجلة، فإن أولاده هم الذين كانوا يقومون بهذا العمل وليس بناته. وقيل أنهم كانوا يعدّون الوليمة ليس لمرة أو اثنتين بل كل الأيام.

"وكان لما دارت أيام الوليمة أن أيوب أرسل فطهّرهم" (١: ٥).

أين أرسلهم وكيف طهّرهم؟ ماذا كانت طريقة التطهير؟ ولماذا طهّرهم؟ هل كان يوجد طعام نجس فى الوليمة؟ أم ماذا تعنى هذه الكلمة محل البحث؟ اسمع ما تلا وافهم ما تعنيه هذه الكلمة «فطهرهم». إنه لم يطهرهم من نجاسة جسدية إذ أن هذه الشريعة لم تكن قد وُجدت بعد، لكنه طهّرهم من النجاسة الداخلية.

الاهتمام بخطاياهم الخفية

٧- ولكى أُجنبك الظن فى أى شرٍ، اسمع ما قاله الكتاب: "وبكّر فى الغد وأصعد محرقات على عددهم وبقرة لخطايا نفوسهم. لأن أيوب قال ربما أخطأ بنى وجدفوا على الله فى قلوبهم" (١: ٥ بحسب النص).

وهذا هو المقصود من «وطهّرهم. إن كان أيوب يعمل كل هذه الاحتياطات لأجل الخطايا الخفية والقلبية (حرفياً الداخلية)، فتخيل كم من الاحتياطات كان سيتخذها لأجل الخطايا المرئية. انظر كيف أنه مارس بمنتهى التدقيق كلمة الرسول القائلة «وأنتم أيها الآباء ربّوا أولادكم بتأديب الرب وإنذاره» (انظر أف ٦: ٤). هكذا يكون الاعتناء بالأولاد وهكذا تُمارس المسئولية (حرفياً الحماية) الأبوية. وتفكر إلى أى مدى من الكمال أراد أن يقودهم إليه. إنه قد أوضح فضيلتهم بحديثه عن توافقهم التام (اتحادهم)، لكنه أظهر فيما بعد أن القيادة (حرفياً) الحماية) كانت هى السبب فى ذلك.

إنه قال «ربما أخطأ بنيّ وجدفوا على الله فى قلوبهم». (وإن كان) هذا شيء ليس فى طبيعتهم، لكنهم على كل حال بشر (معرضون للسقوط). ألم تكن له هو نفسه مثل هذه الأفكار أبداً؟ لذلك مهم جداً الخوف (والحذر) حتى من هذه الخطايا الخفية.

«ربما أخطأ بنيّ وجدفوا على الله فى قلوبهم»

إنهم لم يجرؤوا على الإفصاح عن هذه الأفكار مع مثل هذا المربى والمعلم (المدقق). لكن كما أن الخطايا الخفية لا يمكن أن تكون هدفاً للفحص، فهو ظن واعتبر أنه بهذه الطريقة، حتى هذه الخطايا لا يمكنها أن تفلت منه. أما الخطايا الظاهرة فيمكن تصحيحها.

لكن ماذا يمكن أن يُعمل فيما يختص بالخطايا الخفية؟ ومع أن الله قال لموسى «لك ولأولادك كل ما هو مُعلن، وللرب كل ما هو خفى» (انظر تث ٢٩: ٢٩)، لكن أيوب لم يترك ولا حتى الخطايا الخفية لله، لكنه التزم شخصياً بتقويم حتى تلك الخطايا باستعمال طريقة تعليمية، وهذه الطريقة بآن واحد تسمح له ليس فقط بإزالة أخطائهم، بل أيضاً بتعليمهم. لأنهم كانوا يعلمون أن عقاب الأفكار القلبية أيضاً كما الأفعال الأثيمة أمر يختص بالرب، لكن أباهم ما كان سيقدم ذبيحة لو لم يكن مهتماً بمحو أية خطية، وبأخذهم باستمرار ها التعليم (المستوحى من) ذبائحه عنهم، فإنهم كانوا سيترددون بالأولى فى قبول أيٍ من هذه الأفكار (الأثيمة) لو خطرت فى بالهم.

وها أنت ترى أنه قوّمهم ليس فقط من الخطايا المختصة بالأفعال بل أيضاً من تلك التى تختص بالأفكار، محققاً هكذا عملياً كلمة المسيح القائلة «لأن من القلب تخرج أفكار شريرة.. هذه هى التى تنجس الإنسان» (مت ١٥: ١٩، ٢٠)، فلكون هذا ينجس الإنسان. فإنه يطهّرهم منه. وها أنت ترى تطهيراً ليس هو موسوياً أو مستوحى من الناموس بل رسولى، إذ أنه سعى لتطهير فكرهم كل يوم ليس فقط بنصحهم ووعظهم، بل أيضاً بحمايتهم وتوجيه صلوات إلى الله لأجلهم. وأيوب لم يكن مجرد أب، بل ذاك الذى اهتم بهم كان أيضاً كاهناً.

ومع هذا نحن نعلم أنه لم يكن يوجد كهنة آنذاك.

فليعلم كل الآباء الذين لديهم أبناء، أية فطنة ينبغى أن يظهروها من جهة أبنائهم، فسواء كان فى عيد أو فى وليمة، فإنه يحدث مراراً أن تكون لهم أفكار شريرة فى قلوبهم. لهذا السبب أيضاً قال موسى «متى أكلت وشربت احترز من أن تنسى الرب إلهك» (تث ٨: ١٠، ١١).. أى أن هذا الموقف خطير (مهلك) ويؤدى بسرعة إلى نسيان الله، فتذكر (هذا) على الأخص عندما يجتهد الشيطان فى أن يبعد كنز تذكر الله من ذهنك. لذلك عرف أيوب جيداً أن الرخاوة والتكاسل يُنتجان مثل هذا التأثير. وهكذا أيضاً فإن «بنى إسرائيل جلسوا للأكل والشرب ثم قاموا للعب» (انظر خر ٣٢: ٦)، ولهذا السبب ما أن انتهت الوليمة «قدم أيوب محرقات».

إن البعض يدّعى أنه كان يوجد سابقاً أيضاً كهنة ومنهم على سبيل المثال ملكى صادق، وهو لم يكن مختاراً من الناس. وهذا هو ما يعنيه «أنه أرسلهم للفحص» (أى

أرسلهم لكهنة). وإن كان قدم ذبائح، فهذا ليس لكى يتطابق مع الناموس إذ أن إبراهيم ونوح وهابيل (مع أنهم لم يكونوا كهنة) قدموا ذبائح (قبل الناموس). فماذا؟ هل ينبغى لأيوب أن يلوم أولاده؟ لكنهم لم يعرفوا خطأهم، فهل لذلك ينبغى التغاضى عنه؟ لكن كان يحدث لهم كثيراً أن يقترفوا خطايا.

لاحظ أيضاً أنه حتى فى تقديم ذبيحته عنهم، فإنه يعلّمهم الوئام إذ لا يقدم إلا بقرة واحدة (ذبيحة) عن الكل كما لو كان الأمر يختص بشخص واحد.

انظر كم كان ودوداً وتقياً ومتديناً وباراً ومستقيماً ويحيد عن كل فعل شرير.

وهو كان بلا لوم: أى لا يمكنك أن تتهمه بإهمال أولاده، وكان باراً لأنه منحهم كل اهتمام واجب لهم، وكان تقياً لأنه فعل هذه الأشياء لأجل الله. فماذا يمكننا أن نقول؟ هل أحب أولاده؟ هل أحب الله؟ أى حب مكّنه بالأولى أن يتصرف هكذا؟

فى اعتقادى أن حبه لله وبعدئذ به لأولاده.

إن الكتاب يقول «هكذا كان يفعل أيوب كل الأيام» تابع ١: ٥).

ها أنت ترى تقواه التى لم تتقيد بعدد من الأيام المحددة سلفاً، بل كانت تقواه متواصلة. ونحن على العكس لو حدث منا أن عملنا مرة أو مرتين عملاً صالحاً أو صلاة (بخشوع وتقوى)، نتوقف معتبرين أننا عملنا كل ما يجب علينا.

تدخل الشيطان

٨- **يقول الكتاب "وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب، وجاء الشيطان أيضاً فى وسطهم، بعد الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها"** (١: ٦، ٧).

من الآن فصاعداً سينفتح المشهد، ويُجذب المصارع (أى أيوب) إلى الحلبة، لكى لا يقول أى إنسان عن حق ما قد قاله الشيطان «هل مجاناً يتقى أيوب الله؟» (١: ٩)، فليس فقط للشيطان، بل كان أيوب عبرة لكل مشايعيه (مشايعى الشيطان) يغلق الله فمهم به.

أجاب الشيطان «نعم بالحق هو كامل ومستقيم ويتقى الله، لكن لا يوجد فى هذا شىء يثير الدهشة، فهو لم يتعرض لأية تجربة ولم يكابد أية عاصفة أو أية محنة. أرنى إياه فى الفقر، أرنى إياه فى النكبات. فإن كان هو تقياً فى السعة والغنى، فماذا يدعو للدهشة فى هذا؟

ولكنه كان إنساناً مدهشاً، لأنه لم يكن أقل مجداً فى التقوى فى غناه عما كان عليه فى فقره. اسمع كلمة النبى «لأنى غرت من المتكبرين إذ رأيت سلامة الأشرار» (مز٧٣: ٣)، وأيضاً قوله «ليسوا فى تعب الناس ومع البشر لا يُصابون. لذلك تقلدوا الكبرياء» (مز٧٣: ٥، ٦).

ها أنت ترى أنها لم تعد بعد تجربة هينة أن تكون غنياً وأن تكون فى سعة العيش، دون أن تعانى أى مقابل.

لذلك إن اتفقت معى، فإن البار هو الآن فى الحلبة، وهو مستمر فى جهاد، ليس فقط وهو فى العوز، بل أيضاً وهو فى الغنى، لأن الغنى لا يدفع الإنسان فى العادة إلى التقوى بل إلى عكسها.

وعلى العموم تعلّم أيضاً مقصد آخر.. يقول الكتاب:

"وجاء الشيطان أيضاً فى وسطهم"

ما هذا الذى تقوله؟ الشيطان جاء مع الملائكة؟ ذاك الذى هو متمرد، ذاك الذى هو مفضوح أتى مع الملائكة؟

لا تنزعج يا عزيزى، فهذه صورة ورمز، فهكذا فى نص آخر فى سفر الملوك قيل «قال الرب من يغوى آخاب؟.. ثم خرج الروح وقال أنا أغويه» (١مل ٢٢: ٢٠، ٢١) وأشار إلى الطريقة التى بها سيغويه. إن خاصية التجسيد البشرى للكتاب كثيرة: فالكاتب يعطى صورة (تشبيهية) لكلمته وينخدع بالأولى السذج بروايته، لأنه ليس سيان فن الإقناع والتعبير بدون تفنين (وزخرفة الكلام) أو تزويق الكلام بالصور والرموز، وهنا على سبيل المثال قد قيل أن الشيطان تآمر ضد أيوب بسماح من الله، فهل روايته المجردة لها قدر أكبر من الجاذبية؟ لا على الإطلاق، والنتيجة كانت مضرة. لكن فى الحقيقة فى إضافته إلى حوار فى حديثه، وبقوله ما قد نطق به الشيطان بالحق، لو كان له السماح، فإن المؤلف أوجز ادعاءات الوقحين: لأن الكلمات التى نُسبت إلى الشيطان لم تُنطق أمام الله، لكن فكّر فيها داخلياً، لأنه ليس للشيطان الحق فى قول هذا أو أن تكون له مثل هذه الحرية فى التعبير.

فإن كان حقاً أن الشياطين عند رؤيتهم ابن الله صرخوا قائلين «ما لنا ولك يا يسوع ابن الله؟» (مت٨: ٢٩)، فبالمثل لم يعد للشيطان الحق فى الوقوف بين الملائكة (فى محضر الله).

يقول الكتاب: «جاءت الملائكة والشيطان جاء معهم بعد أن جال فى الأرض وتمشى فيها». ماذا نتعلم من هذا؟ نتعلم من هذا أن الأرض ممتلئة بالشياطين والملائكة وأن كلاهما خاضع لسلطان الله، وأن الملائكة يتواجدون أمام الله الذى يتلقون منه الأوامر، وأن الشيطان لا يستطيع أن يصنع شيئاً مما يحلو له إن لم يكن قد أخذ الأذن من فوق. فبالرغم من أنه نفض عنه كل قيود الطاعة ولم يعد فى خدمة الله، لكن الذى يلجمه الآن هو الخوف من الله الذى يمنعه من استخدام كل قوته.

لكن لاحظ أنه بينما كانت الملائكة تتواجد فى محضر الله كخدام يقدمون له الحساب عن كل ما عملوا، كما يمكننا أن نرى هذا فى سفر زكريا (زك ١:١٠، ١١)، فالشيطان ليس له شيء يقوله. بالتالى فتعبير «أن الشيطان جاء معهم» لا يعنى شيئاً آخر سوى أنه هو أيضاً خاضع لسلطان الله[1].

دور الملائكة ودور الشيطان

٩- يقول الكتاب «الشيطان أيضاً (جاء فى وسطهم)» لأن الملائكة هم خدام الله بينما الشيطان لم يعد خادماً له. جاء الشيطان أيضاً فى وسطهم ليس لكى «يقف فى محضر الله» مثلهم، لكنه ـ على كل حال ـ أتى. بالنسبة للملائكة، فكونهم يستطيعون التكلم بطلاقة، فهذا أمر طبيعى «وهم جاءوا ليقفوا فى محضر الله، لأنه إن كان «قايين قد طُرد من وجه الله» (انظر تك٤: ١٦)، فكم بالأولى جداً هذا التعيس.

فما المقصود من تعبير «جاء الشيطان فى وسطهم»؟

إنه يعنى أنه جاء معهم فى هذا العالم (السماوى). وكما أن الناس الأشرار والصالحين مختلطين سوياً، هكذا الملائكة والشياطين. وإن سمحت لى فأنا سأعطيك التأكيد من الكتب المقدسة. اسمع كلمات بولس القائلة «ينبغى للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة» (١كو ١١: ١٠)، والمسيح من جانبه يقول «لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار، لأن ملائكتهم كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات» (انظر مت ١٨: ١٠). وفى نص آخر أيضاً قال الرسل بخصوص بطرس «إنه ملاكه» (أع ١٢: ١٥). وفى العهد القديم كذلك

(١) ٤- ملحوظة: تم هنا حذف سطر يدور حول الغنوسية التى تدّعى أن الشيطان هو صانع وخالق الشر مقابل الله الذى هو صانع الخير.

قال يعقوب «الملاك الذى حمانى منذ طفولتى» (تك ٤٨: ١٦). والملائكة منوط بهم أيضاً حماية الأمم. لأن الكتاب يقول «أنه حدد تخوم الأمم بحسب عدد ملائكته» (تث ٣٢: ٨). وفى دانيال أيضاً نجد هذه الكلمات «ميخائيل رئيسكم» (دا ١٠: ١٢). وفى نصوص كثيرة فى العهد القديم نرى أن الملائكة لا تأتى من جانب الله لمجرد أن تضع الأمور فى نصابها، بل هى محمّلة بطريقة ما ومؤتمنة على مهمة، كما يتضح هذا مثلاً من نص بولس القائل «أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب ١: ١٤)، والنبى من جانبه تكلم عن «رسالة حملها ملائكة أشرار» (مز٧٨: ٤٩). لهذا السبب نحن نقول فى صلواتنا «أرسل لنا ملاك السلام» لأنه يوجد أيضاً ملاك للقتال والحروب ـ أقصد الشيطان، والسبب أن تلك أيضاً تُدعى ملائكة بحسب كلمة الخلص القائلة «اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته» (مت ٢٥: ٤١).

فى الواقع إن كلمة «ملاك» مبهمة، فإن لم نضف إليها الله أو إبليس، فإن المعنى لا يتضح أبداً: لهذا السبب لا يوجد أبداً أى نص كتابى يكتفى بقول «ملاك» لكنه يحدد دائماً أنه يقصد ملائكة الرب الذين هم منوط بهم تدبير شئون الأرض. هذا هو فى الواقع معنى تعبير «واقفون فى محضر الله»، هذا هو أيضاً معنى النص فى زكريا حيث قال أنه رأى «خيل» (زك ١: ٨) مُريداً بهذا أن يشير إلى سرعة وخفة القوات السماوية.

قال الكتاب «بعد الجولان فى الأرض والتمشى فيها»

ها أنت ترى أن السماء منيعة أمام الشيطان، هذا الكائن الفاسد.

لكن إن قيل: ما هذا؟ السماء منيعة أمامه، بينما الأرض قبلته!!

نعم.. الأرض لخيرك. لأنه إن كان مع عدو هكذا ساهر (على الفتك بنا) لم يحدث لك أن تنهض (من غفلتك)، فإن تركت هذا الهّم وهذا الانشغال (مقاومة العدو) فكم سيكون نومك؟! إن الله قد وضع أمام عينيك مثل هذا الروح المرعب ومع هذا لم تنهض!

ألم ترَ كيف أن بولس أيضاً أظهر الفائدة الناتجة عندما قال «إن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات» (أف ٦: ١٢)؟ ماذا تقصد يا بولس بإظهارك لقوة مقاومينا؟ إنك بهذا تهدم شجاعة أصدقائك.

على هذا يرد الرسول ويقول: لا، بل بالأحرى أنا أوقظهم. لأنه لو لم يكن لهم قوة كافية لهزيمة مقاوميهم، لكان معك حق، لكن إن كانوا يملكون قوة عظيمة جداً، فإن تراخيهم هو الذى سيهزمهم. لذلك فهذه هى القوة التى أسعى لإيقاظها (واستنفارها). فلا تحزن إذاً لرؤيتك الشيطان ساقطاً من السماء على الأرض، بل اشكر الله أنه أجبرك على اليقظة وفرض عليك معلماً مرعباً وقاسياً. أتريد أن أبيّن لك المنفعة التى يمكن أن تجنيها من الشيطان؟ اسمع لبولس وهو يقول «.. اللذان أسلمتهما للشيطان لكى يؤدبا حتى لا يجدفا» (١تى ١: ٢٠). أتريد أيضاً أن تسمع نصاً آخر؟ «أن يُسلّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد..» (١كو٥: ٥). ألم ترَ الجلادين الذين يرافقون الرؤساء؟ هكذا استخدم بول الشياطين. وهذه النتائج الحسنة لم يكن الشيطان هو السبب فيها، بل محبة الله للبشر هى التى سخّرت الشرير لهذا الغرض. وسنرى أن الشيطان ليس له كيان ثابت قائم بذاته ولكنه مجرد كيان عابر.

الحوار بين الله والشيطان

١٠- «قال الرب للشيطان من أين جئت؟ فأجاب الشيطان الرب وقال: من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها» (١: ٧).

ها أنت ترى أنه يوجد هنا حوار..

الله يسأل..

نحن نعرف بهذا أن الله يريد أن الشيطان يمتحن أيوب.

لماذا يسأله الله؟ إنه بهذا يقدم له ذريعة للقتال والمحاربة. ولاحظ كيف أنه قبل كل شىء أوقعه فى المصيدة من ذات أجوبته. فلكى عندما يسأله الله «هل رأيت شخصاً ما مثل عبده أيوب» لا يقول «لست أعرف، إننى لم أطوف بعد الأرض»، بل ينبغى عليه أن يقرّ أولاً (من ذاته) أنه فحص كل الجنس البشرى، وحينئذ يقدم سؤاله «من أين جئت؟

والشيطان لم يكتف بالإجابة أنه «طاف الأرض» بل أضاف عليها «أنه تمشى فيها» ليجعلك تفهم أنه أراد، ليس فقط الكلام عن الصحراء، بل أيضاً الكلام عن كل الأرض المأهولة بالسكان وكل موضع ممكن أن يوجد تحت السماء، وعلى الأخص المناطق الصحراوية التى يحبها (بالأكثر) كما قال المسيح أيضاً «إذا خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز فى أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة» (مت ١٢: ٤٣). وطرد غالبية

الشياطين إلى تلك الأماكن هو عمل من صنع العناية الإلهية (حيث بالطبيعة لا يقيم أحد من البشر فى هذه الأماكن آنذاك).

الله يمدح أيوب

١١- «فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدى أيوب. لأن ليس مثله فى الأرض؟ رجل بلا لوم، بار وكامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن كل عمل ردئ» (١: ٨).

لاحظ كيف أن المجاهد قد أُعلن (اسمه) على الملأ، وهوذا للمرة الثانية يأتى هذا الوصف له ممن حكمه نزيه. أما أنت (أيها القارئ) فلاحظ معى حماقة ورداءة الشيطان. قد شهد الله أن أيوب بلا لوم، وأنت أيها الشيطان هل تأمل أن تزايد على شهادة الله؟ ما كان الله سيقول عن أيوب أنه «بلا لوم وبار وكامل ومستقيم» لو لم يعرف مقدماً أن أيوب، حتى تحت ضغط سيل التجارب المزمعة سيظل غير مقهور. انظر كيف أنه استعد، لكى تقع المبادأة ومسئولية المناوشات الأولى على عاتق الخصم. عندما يكون لمدرب ما ملاكم (حرفياً رياضى) من الطراز الأول (أى ممتاز)، فإنه يرغب فى أن يجعله يلاقى خصومه، لكن دون أن يطلب له أيضاً أن يبدأ هو بضربة البداية لكى لا يُصاب بالغرور، بل يترك خصومه أنفسهم يأخذون المبادأة وتوجيه الضرب، لكى يكون فوزه باهراً وهزيمة خصومه أكثر شناعة. هكذا (بالمثل) عمل الله (مع أيوب).

يقول الكتاب: هل جعلت قلبك على عبدى أيوب؟

على أية شخصية بالأخص يجعل الشيطان قلبه؟ هل على من يمارس خبثه (ويكون طوع أمره)؟

يقول الله «على عبدى أيوب». إن هذه العبارة فى حد ذاتها كافية لتقدير فضيلته. اسمع أيضاً الكتاب وهو يقول فى موضع آخر «موسى عبدى قد مات» (يش١: ٢)، وأيضاً فى موضع غيره يقول «اذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك» (خر ٣٢: ١٣).

إن الشيطان اغتاظ فى الحال لسماعه الله يدعو أيوب عبده، وهذا بالتقريب ما جعله يوجه الملامات ويدفعه إلى الهجوم. وأنت أيضاً (أيها الشيطان) كنت عبداً فى السابق وأنت ليس لك جسد، بينما أيوب له جسد وعاش على الأرض، وأنت على العكس عشت فى السماء. وهذا ما يريد بولس قوله فى «أننا سندين ملائكة، فبالأولى أمور هذه الحياة» (١كو ٦: ٣).

لماذا قال الله له: هل لاحظت أنه لا يوجد إنسان شبيه له على الأرض؟ نحن نعلم من هذا أن ما دفع الشيطان على الأخص إلى هذا الشر هو أنه لم يجد أحداً شبيهاً بأيوب. ما الذى كدره؟ ما الذى أغاظه؟ هل المقارنة بينه وبين إنسان؟ لم يقل الله شيئاً إيجابياً فى صفه سوى أنه «ليس مثله على الأرض». ما المقصود ب «مثله»؟ بأى مغزى قيلت هذه الكلمة؟ هل فيما يختص بغناه؟ هل فيما يختص بشرف أصله؟ هل من جهة رفعة جسدانية؟ لا على الإطلاق، بل من جهة فضيلة نفسه. لأنه كان غالباً ما يُظهر التشابه مع أيوب فى أحد هذه النقاط، لذلك أضاف الله قوله «رجل كامل ومستقيم يتقى الله». هو رجل كامل (وبار)، وأنت على العكس، فمع أنك لست إنساناً، لم تستمر فى الفضيلة. أليس هو إنساناً (له جسد)، وهذا أمر كافى لالتماس العذر له. انظر هو أيضاً إنسان. هل رأيت وضاعة طبيعته (مقارنة بك)؟ إنه إنسان ومع ذلك أمكنه أن يحفظ فضيلته إلى النهاية. وهو فى جسد من التراب برهن على مثل هذه الفضيلة العظيمة.إن الحكم هو بغير محاباة، خصوصاً وقبل كل شيء لأن الله هو الذى نطق به، وثانياً لأن العدو كان حاضراً وسمع الملامة.

إجابة الشيطان: فضيلة أيوب نفعية (مُغرضة)

٢١- **"قال الشيطان: هل مجاناً يتقى أيوب الله؟"** (١: ٩).

إنها خاصية الناس الأشرار، عندما يُنطق بمدح أمامهم (لأحد)، ألا يوافقوه بل يسعون بكل همّة أن يقللوا من قيمته. فلنعلم أنهم تلاميذ الشيطان أولئك الذين يشعرون بالغيرة تأكلهم عندما يوّجه أمامهم مدح لغيرهم.

يقول الكتاب: إن الشيطان رد وتكلم فى محضر الرب. يا للوقاحة! هل له جسارة على الدخول فى مناقضة ((نزاع) مع الله. وهذا التصرف لا يخص فقط الشيطان بل أيضاً الأشرار. ألم يكن منهم من قال فى الإنجيل «عرفت أنك إنسان قاسٍ تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر» (مت ٢٥: ٢٤)، وآخرون قالوا من جانبهم «كل من يفعل الشر فهو صالح فى عينى الرب» (ملا ٢: ١٧).

قال الشيطان: هل مجاناً يتقى أيوب الله؟

حيث أنه لم يستطع أن يناقض ما قاله الله، لذلك سعى إلى الحط من نية أيوب (الصالحة). إنه لم يناقضه على ما هو ظاهر بل على ما هو غير ظاهر. ومع ذلك كان

يمكن القول له: لماذا أيها التعيس تؤكد أن أيوب يتقى الله بسبب غناه وممتلكاته؟ لكن الله يريد أن تكون نصرة أيوب باهرة ولا يتم مقاومتها، والشيطان يبقى فى الحدود التى رسمها له الله.

لقد قلت: ليس مجاناً يتقى أيوب الله، وأقمت اتهامك وادعاءاتك على غناه. إذاً لو نُزع منه غناه وبقى فى فضيلته، ستجد أنت بنفسك أنه «اتقى الله مجاناً». إن الله يريد دائماً أن ينتزع أحكامه من أقوال خصومه لكى لا يترك لهم أية حجة فيما بعد كما قال (مثلاً) فى هذا النص: «من فمك أدينك أيها العبد الشرير» (لو ١٩: ٢٢)، وأيضاً قال الكتاب من جهة اليهود «مُر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتى تلاميذه ليلاً ويسرقوه» (مت٢٧: ٦٤)، لذلك إذ قد أخذتم حرساً (من الجنود الرومان)، فلم يعد لكم أية إمكانية أن تقولوا أنهم سرقوه. وهكذا المخادع يقع دائماً فى المصيدة التى نصبها بنفسه. بالمثل هنا: لو نزعت عنه غناه، فلن يمكنك بعد القول أنه يتقى الله مجاناً. يا له من درس لأناس اليوم، الذين لا يكرمون الله حتى مقابل أجر! وإذا كانت التقوى من نحو الله لا تُمدح لو كانت تهدف لنوال خيرات زمنية، فماذا نقول عن الاستهانة بالله بينما يكون الإنسان مغموراً بالخيرات الزمنية؟! ليخجل اليهود الذين لا يتقون الله حتى فى وسط تلك الخيرات! وأما هذا الرجل (أيوب) فما كان أجيراً! إنه يتقى الله، لأنه عرف أن هذا شىء صالح وجميل فى حد ذاته، بينما غالبية الناس اليوم لا يتقونه حتى فى وسط غناهم.

لكن أنت (أيها الشيطان) التعيس والممتلئ كل خبث لماذا لا تتقى الله؟

١٣- **"قال الشيطان: أليس لأنك سيّجت حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية"** (١: ١٠).

لقد وضعته فى حمى سياج.

هل تلاحظ (أيها القارئ) أن الشيطان أيضاً عرف جيداً أن كل أمن أيوب أتاه من الله؟

١٤- **"قال باركت أعمال يديه وكثّرت مواشيه فى الأرض"** (تابع ١: ١٠).

هل ترى (معى) أن غناه كان عطية من الله؟ هل ترى أنه غناه لم يكن ثمرة للظلم؟ كم كان على أيوب أن يجتهد ليثبت للناس أن غناه لم يكن ثمرة للظلم! وهوذا الشيطان يشهد على ذلك، ولم يلاحظ أنه يمدحه أيضاً على هذا بأنه لم يقتن غناه عن طريق ظلمه

للآخرين أو خداعهم، بل يرجع الفضل فى غناه إلى بركة الله له وأن السلام الذى يستمتع به آتٍ من فوق، أو أنه ما كان سيستمتع به لو لم يكن تقياً بحيث أنه ـ حتى بخصوص هذه النقطة ـ دون أن يشعر كان يُمدح ومُغطى بالأكاليل. كان (الشيطان) معه حق فى التكلم عن الممتلكات الداخلية والخارجية لبيت أيوب ولكل ممتلكاته الخارجية التى امتلكها على جميع أشكالها. فلا تجربة أتته من الخارج ولا تعب من الداخل، بل كان ينعم بسلام عميق، وكان أولاده متفاهمين حسناً فيما بينهم، وكانت مواشيه تزداد، ولا هناك حرب متوقعة ولا عراك بين رجاله، لا حرب داخلية ولا خارجية تأتى بالخراب، لذلك فالشيطان كان معه حق فى التكلم عن الخيرات الداخلية لبيت أيوب. لأن الحرب الداخلية هى الحرب الأسوأ، خاصة وكل بيته كان ينعم بالسلام من الداخل كما من الخارج. وهكذا مطلوب أن الله يحل دائماً لكى يسود السلام فى الداخل كما فى الخارج، لأن الله لا يرفض ولا يخجل من تبنى هذه الحراسة للسهر على أغنامك وحفظ مواشيك على شرط وحيد هو أنك تتقيه وتحفظ وصاياه. وانظر إلى السلام الذى تمنحه حراسته «سيجّت حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية. باركت عمل يديه» (١: ١٠). أنت ترى أنه لم تكن الطبيعة هى التى تفسر (وتعلل) كثرة مواشيه الصغيرة والكبيرة.

١٥- **"لكن ابسط يدك الآن ومس كل ما له"** (١: ١١).

إنه لم يقل «أعطنى السلطان»، بل قال «ابسط يدك ومس كل ما له. بالتأكيد أنه فى وجهك يجدف عليك» (تابع ١: ١١). إن الشيطان أراد ورغب فى أن ينال هو نفسه هذا السلطان، لكنه لم يجرؤ على طلبه «لكن أبسط يدك (يا الله)». ثم لكى لا يقول: أنت وجهت له الضربات من منطلق أنه كان عبدك، لم يفعل الله إلا ما طلبه الشيطان. بالتأكيد أن الله أستطاع حتى بعمله هذا أن يدافع عن نفسه ويقول: إننى فعلت كل ما طلبت، فأنت الذى قلت لى أن أبسط يدى وأمسه. لكن الله صنع أكثر مما طلب الشيطان.

الله يتخلى عن بطله

١٦- **"فقال الرب للشيطان: هوذا كل ما له فى يدك وإنما إليه لا تمد يدك"** (١: ١٢).

إن ثقتى عظيمة فى بطلى!. أنت قد قلت «أبسط يدك»، لكنى أقول إننى سأضع فى يدك كل ما له.

«بالتأكيد إنه فى وجهك يجدف» أى أنه سيوجه لك اللعنات والإساءات علانية ودون حرج. هذا هو معنى «فى وجهك» أى دون حياء ودون مواربة.

كيف تعرف هذا أيها التعس؟ إنك بحسب أحاسيسك الخاصة خمنت أحاسيس الآخرين: فكما أنك قمت ضد سيدك (الرب) دون أن تعانى أية بلية تستوجب تصرفك هذا)، لذلك قلت: إن كنت وأنا بلا جسد قد ثُرت (على ربى)، فكم بالأولى يثور أيوب الذى هو له جسد.

«قال الرب للشيطان هوذا كل ما له فى يدك. وإنما إليه لا تمد يدك»

أى لا تمس جسده، أى لا تنتزع حياته. أترى (معى) أنه يوجد قدر معين محدد للتجارب (لا يتعداه)؟ هل ترى أن الشيطان لا يستطيع أن يمس ولا حتى مواشيه إن لم يأخذ الإذن بذلك؟

«هوذا كل ما له فى يدك»

أى فى قبضة تلك اليد الشنيعة التى لا تشبع (من قتل الأرواح والنفوس). نحن نقرأ هذا وليتنا لا ننزعج! عندما ترى الله يسلّم البار إلى الشيطان فلا تخر.

«ليس مثله على الأرض»

ماذا نقول؟ إنك أنت (يارب) الذى شهدت له بقولك أنه «كامل ومستقيم يتقى الله» فأية حاجة لتجربة أخرى (لتأكيد هذا) بعد شهادتك لصالحه؟

أجاب الرب: هذا لكى أسد فم الشيطان، ولكى أجعل البار يبدو أكثر بهاء (ويتزكى)، ولكى أترك للآتين بعد ذلك أدوية (الصبر) لمساعدتهم على التسليم (لله) واحتمال بليتهم. لذلك فنفس الحب الذى نطق الكلمات «بلا لوم وبار ومستقيم»، هو الذى نطق أيضاً «هوذا كل ما له فى يدك».

لكى تفهم (أيها الشيطان) أن شهادتى (لصالح أيوب) ليس فيها محاباة، فإننى سلّمته لك للفحص والتمحيص بالتجارب، بل إننى لن أتمسك حتى بمبدأ تكافؤ كفتى الصراع، وسأسلمك من أنا قد شهدت له.

ومثلما نريد نحن أيضاً عندما يُحبنا شخص ما أن يعرف كل العالم هذا الأمر بوضوح، هكذا الله من جهة من يحبه: إنه لا يريد أن مجرد شهادته هى التى تُظهر إعجابه، بل

أيضاً اختبار الأحداث (والتجارب)، لأن اختبار الأحداث لا يعارضه (أو يعترض عليه) إنسان، بينما كثير من الناس يعارضون شهادة الله (له).

هل ترى أيضاً أن هناك لجاماً يضبط الشيطان؟ هل ترى أنه يلزم الحدود التى وضعها الله له؟ وأنه لا يتجاوز أوامره عندما يمنعه مانع ويردعه خوف. لكى تعلم أنه رغب أن يؤذيه منذ البداية لو كان يملك هذا. ولكى تعرف أنه ليس اعتباطاً قد وضع الله له هكذا هذه الحدود.

قال الكتاب «ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب» (تابع ١: ١٢). لقد خرج من لدن الله ذاك الذى أراد عرقلة الأبرار:

تجارب أيوب

١٧- وكان ذات يوم وأبناؤه وبناته يأكلون ويشربون خمراً فى بيت أخيهم الأكبر، أن رسولاً جاء إلى أيوب وقال له: "كانت البقر تحرث والأتن ترعى بجانبها، فسقط عليها السبئيون وأخذوها وضربوا الغلمان بحد السيف، ونجوت أنا وحدى لأخبرك" (١:١٣- ١٥).

إنه قال «وهوذا رسول جاء..» هل رأيت سرعة الضربة؟ لاحظ أيضاً كيف أن هذه البلية جديرة بأن تستدر الشفقة، إذ أن هذه النكبة غريبة وغير مألوفة. وذاك الذى كان دائماً فى أمن وسكينة شديدة من النوع الذى يمكن أن يدركه من قد استمتع بإحسان الله. انظر كيف علم هذا الخبر (المشئوم) وهو الذى لم يختبر أبداً مثل هذه البلية، بل كان يعيش حياة هادئة منذ طفولته. لا يمكن القول أن بعضاً من ممتلكاته قد سُلبت بينما لا يزال يتبقى له البعض الآخر لتخفف بوجودها خسارة تلك التى ضاعت، بل تبقى له فقط من أعلمه بالكارثة! وما يزيد آلامه وحزنه أنه لم يكن حاضراً ولم ينظر هذه البلايا التى حدثت. عظيم كان حزنه (حرفياً خوفه)، ليس فقط بخصوص مواشيه بل أيضاً من جهة بيته.

إن كانت الحرب قد اندلعت، فقل لى من أين أتت ومن هو الخصم؟ أية معركة حدثت؟

(يا ترى) كيف ارتعب عند معرفته لهذا الحدث الغريب، ذاك الذى عاش دائماً فى الرفاهية؟ كيف؟ هذا أمر لم يحدث أبداً (له من قبل) ولم يُسمع به مطلقاً. علاوة على

ذلك، فإن الأرض لم يعد بالإمكان فلاحتها، وفى وقت الاحتياج كان محروماً من كل أملاكه، ومنظر هلاك الماشية هو دائماً أمر متعب جداً، إنما بالأخص عندما يحدث هذا فى الوقت الذى يتطلب الأمر استخدامها، فيتوقف العمل وهو فى ذروته، بحيث أن الخسارة تكون مضاعفة، عدم إنجاز العمل وأيضاً غارة الهجوم على الماشية.

نضيف إلى هذا أن القتل امتزج بالخراب، هذا الأمر الذى يجعل الحروب تبدو غير محتملة، إذ تسود هناك الوحشية وقسوة غير إنسانية، فهذه بلية مضاعفة مع قتل وسلب، ونجاة الشخص الذى بقى حياً تضيف أيضاً (بعداً مأسوياً) على تجاربه إذ لم يُتح له حتى أن يجهل الصفة المرعبة لهذه الغارة.

١٨- "وبينما هو يتكلم إذ جاء آخر وقال: نار الله سقطت من السماء فأحرقت الغنم والغلمان وأكلتهم ونجوت أنا وحدى لأخبرك"

(١: ١٦).

ها أنت ترى أن الضربات غير متقطعة ولم يرتض الشيطان حتى بأن يجعله يلتقط نَفَسه ولو للحظة. وكما أن هذا الخير (الذى كان له) كان فوق المعتاد، فإن الشيطان قد جعل الضربة مؤلمة (فوق المعتاد) حتى تأخذ صفة العقاب، وكأنه قال: لا تصدق أن تلك الضربات بشرية بحجة أنك سمعت عن الغزاة، بل إن الله هو الذى يحارب ضدك من فوق فى السماء.

«نار الله سقطت من السماء»

ما الذى يثبت أنها أتت من السماء؟ وكيف يحدث أنك أنت الوحيد الذى نجوت؟ ما الذى حدث؟ إلى هذه اللحظة لا يزال أيوب باقياً على تقواه. كيف لم يغيّر نفسه (ويحيد عن تقواه)، ألم يرَ تغيراً قد طرأ على حياته؟ إن كان قد اقترف خطأ عظيماً أو إن كان أيضاً قد صار غير مكترث، يمكنه أن يعزى سبب ما حدث له لسلوكه الردئ، لكنه قد اجتهد أن يبقى دائماً فى فضيلته وقد خضع لنوع من صمت الذهول. ولاحظ ما حدث، فإن الشيطان قد بدأ بالضربات الأضعف محتجزاً الضربات الأقسى لفيما بعد، مقتنعاً هكذا بسقوطه إن ابتدأ فى التزعزع من الضربات الأضعف ومؤجلاً (لفيما بعد) توجيه الضربة القاسية له. ومع هذا فالعكس حدث، لأن الضربات الأولى قد ارتاض أيوب عليها جيداً، لذلك احتمل

الأخرى بحكمة. لاحظ أن الموكلين على حراسة الماشية هلكوا أيضاً معها بحيث أنه لم يعد يتبقى له أى أمل فى اقتنائها فى المستقبل. لأنه إن تبقى له رعاة قادرون على حراسة القطيع، يمكنه أن يأمل فى استعادتها من جديد، لكن عندما يهلك هؤلاء الرعاة أيضاً، فإن الموقف يصير غاية فى السوء.

١٩- **"وبينما هو يتكلم إذ جاء آخر وقال: الكلدانيون عيّنوا ثلاث فرق فهجموا على الجمال وأخذوها وضربوا الغلمان بحد السيف ونجوت أنا وحدى لأخبرك"** (١: ١٧).

وهكذا لا يمكن اعتبار أن هذه الضربات آتية من الله (كالنار مثلاً)، وبتنوع المصاعب (والمصائب) المعلنة فإن الشيطان يضخّم المأساة، منتظراً ربما يقول أيوب من حيث أنه تقى «حيث أن الله هو الذى ضرب، لذلك يلزم الاحتمال»، فقال له الشيطان: حسناً! انظر هوذا الناس أيضاً تضربك، فليس الله فقط هو الذى يحارب ضدك. ولاحظ القوة العظيمة التى للشيطان، والطريقة القوية التى بها يحرك الجماعات. وإن أُعير للشيطان هيئة مرئية، فتفكر معى فى مهارته حتى لو لم تصدق بحقيقة النار، ومع ذلك هو اكتسى بهذا المظهر (النارى) والتهم كل شىء.

٢٠- **"وبينما هو يتكلم إذ جاء آخر فقال: بنوك وبناتك كانوا يأكلون ويشربون خمراً فى بيت أخيهم الأكبر، وإذا ريح شديدة جاءت من عبر القفر وصدمت زوايا البيت الأربع، فسقط على الغلمان فماتوا ونجوت أنا وحدى لأخبرك"** (١: ١٨، ١٩).

تأملوا معى هنا أيضاً فى الصفة العميقة المثيرة للشفقة لهذا الموت، ليس فقط للموت فى حد ذاته، بل لأن أولاده كانوا غير عاديين (فى المحبة والوفاق بين بعضهم البعض)، وأيضاً لأنهم كانوا فى ريعان شبابهم. فإن كان ينبغى فى حالة البهائم أن نحسب، ليس فقط الكمية بل أيضاً نوعية البهائم المقتولة التى كانت ولودة وعديدة، فبالنسبة إلى حالة الأولاد أيضاً، ينبغى أن نعتبر ليس فقط العدد بل نوعية الضحايا المختارة وهى فى ريعان شبابها، دون التحدث عن الظروف، فهم كانوا يأكلون والمائدة كانت محمّلة بالخمر والأطعمة اللذيذة.

يقول النص «وإذا ريح شديدة جاءت من عبر القفر».

لاحظ أيضاً كما فى حالة الغنم، أنه لم يذكر موتاً عادياً، فهو لم يكن موتاً طبيعياً ولا موتاً بطيئاً (ناتج عن مرض)، إذ لم يتبق أحياء ليخففوا خسارة الذين هلكوا، إذ أن البيت

صار مقبرة جماعية للكل، لأن الشيطان، قد أسقط السقف على الكل بحيث أنه لم يعد ممكناً من الآن التعرف على كل جثة على حده لدفنها. أى شئ مثير للشفقة أكثر من هذا المشهد؟ أية بلية أعظم من هذه النكبة؟ ففى اللحظة التى كانوا يأكلون ويشربون، وعندما كان يسود الانسجام، وفى الساعة التى سادت فيها البهجة والفرح، أنه قال «ونجوت أنا وحدى»..

فى الحالات السابقة كان يمكن إلى حد ما تبرير عبارة «نجوت أنا وحدى»، لكن فى الوضع الراهن، فإنها تزيد آلامه، إذ بينما كل أولاده قد ماتوا، فإن من أبلغه هو فقط الذى نجا. لهذا السبب أنا أعتقد أن الشيطان شخصياً هو الذى جاء ليعلمه هذا الخبر. وأيضاً طريقة التعبير هذه لا تتفق مع سابقتها. ويوجد رسولان قالا أن الموت جاء من فوق، ولم يكن (موتاً) موافقاً للعرف الشائع. ففى أعلاه فيما يختص بالغزاة، وهنا بالنار الآتية من السماء والريح الشديدة الآتية من عبر الصحراء.

انتصار أيوب

١٢- "عند هذه الكلمات قام أيوب ومزق ثيابه" (٢٠:١).

لا تظن يا عزيزى أن هذه علامة على الهزيمة، بل هى على الأخص علامة نصرة. لأنه لو لم يصنع أى شئ لكان بدا أنه عديم الإحساس لكن بعمله هذا أظهر بأنه حكيم وأب وتقى بآن واحد. أية خسارة عاناها آنذاك؟ إنه يندب ليس فقط فقد أولاده أو فقد مواشيه، بل أيضاً يندب الطريقة التى ماتوا بها. من لا يضطرب لهذه الأحداث؟ أى رجل فولاذى لا يتأثر بها؟ إن بولس أيضاً قد جاز هذه الخبرة أمام الدموع وقال «ماذا تفعلون تبكون وتكسرون قلبى» (أع ٢١: ١٣)، لكن لأجل هذا كان هو جديراً بالإعجاب، كذلك فإن أيوب استحق أيضاً أن يكون موضع إعجاب، لأن على الرغم من الانفعال الذى دفعه لعمل هذه الإشارة العاطفية (تمزيق ملابسه)، فإنه لم ينطق بأية كلمة غير لائقة.

«قام أيوب ومزق ملابسه»

بينما كسر موسى (لحظة غضبه) لوحى الشريعة (خر٣٢: ١٩)، فإن يشوع (عند هزيمة بنى إسرائيل أمام قرية عاى) قد مزق (هو أيضاً) ملابسه (يش ٧: ٦)، فإن لم يمزق أيوب ثيابه، لكان قد قيل أن الله جعله إنساناً عديم الإحساس، لكن كان يليق أن

الأحزان تجتاح البار، لكى تعلم أنه ظل حكيماً حتى وهو فى الحزن. أنت ترى بأى فساد (وخبث) قد احتجز الشيطان الضربة الأخيرة الأكثر قسوة، فإن أيوب قد احتقر الضربات السابقة ولم يتزعزع أمام الخراب، لكن عند علمه بالضربات الأخيرة فإن ضعف الطبيعة (البشرية) هو الذى ظهر، أو بالأحرى حكمة البار. إنه كرّم أولاده كمجاهد (إذ مزق ثيابه حزناً عليهم) وكرّم الله أيضاً بما تلا ذلك.

٢٢- "**وخر على وجهه وسجد**" (تابع ١: ٢٠).

لكى لا تعتقد أن عملية تمزيق ملابسه كانت تعنى أنه جدف وأنه قد اغتاظ لما حدث، اسمع ما قاله، فحتى ملابسه قد تركها للشيطان بدءاً من الآن.

٢٣- **يقول النص "وجز شعر رأسه وخر على الأرض وسجد، وقال عرياناً خرجت من بطن أمى وعرياناً أعود إلى هناك**" (١: ٢٠، ٢١).

هنا أيضاً تكلم حسناً. فإنه من الآن سيندفع إلى الجهاد عارياً.

«وخر على الأرض وسجد وقال: عرياناً..»

هل ترى كيف أن فظاعة البلية لا تقلب من هو تقى رأساً على عقب؟

«قال أيوب: عرياناً..»

هل رأيت أية ضربات وجهها للشيطان، وكيف خرّ على الأرض؟ إنه سقط على التراب وهناك صرع الشيطان، إنه أظهر عاطفته وتقواه. لم يمكنه وهو إنسان ألا يتألم لهذه الأحداث، ولأنه أيوب، فإنه بالأكثر لم يستطع أن يثور، ففى موقف أظهر طبيعته وفى الآخر أظهر شجاعته.

ألا يفعل هكذا اللاعبون قبل أن يتوجهوا إلى المباريات والمصارعات إذ ينحنون أمام الحكام، ويفعلون هذا بالمثل بعد إحراز الانتصار. فهكذا أيوب أيضاً «خر على الأرض وسجد». ولاحظ أية قوة للشيطان هذه التى لم تستطع إلا تمزيق ثيابه (فقط)!

لكن لو أن أحد المدّعين الحكمة المفرطة قال إنه ما كان يجب أن يتصرف هكذا، فليعلم هذا أن بولس أيضاً بكى وكذلك يسوع ذرف الدموع، وليعلم أيضاً ما هى العاطفة (الأبوية) نحو الأولاد.

حسناً! فلنسمع أية خواطر حكيمة قد تفكر بها (أيوب) فى بليته هذه، وهذا بالضبط ما كان سينصح وبه يعزى من معنى بالأمر.

وهو (بدوره) لم يتوقف عن ترديد أقوال تقوية (تتسم بالتقوى) واللهج بها. هل هو لم يتصرف هكذا؟ أما كان سيوصف بالقسوة وعدم الإحساس والبربرية؟

ما هذا؟ أما كان بحسب رأيه أن يتألم لمن قد أجهد نفسه كثيراً فى تربيتهم وتهذيبهم؟ هل فقد بنيه وحسب؟ إنه فقد أيضاً تلاميذ أتقياء (له)، كان موتهم مبكراً وفجأة. ألا تلاحظ أيها الإنسان الأحداث التالية؟ فهذه البلايا التى أصابته كانت لأول مرة، وهبطت كلها عليه مرة واحدة، ولم تمكّنه حتى من أن يتلقط أنفاسه. إن الشيطان أظهر كأن الله هو الذى كان يحاربه. لكن لننظر كيف هزم خصمه بمجرد سجوده، لأنه بسجوده قد آل على نفسه ألا يقول من الآن أى شيء لا يليق. إن فكره قفز فى الحال نحو الله دون اعتبار زائد لظروفه الحالية.

قال أيوب «عرياناً خرجت من بطن أمى وعرياناً أعود إلى هناك»

انظر كيف تعرى، انظر كيف انحل من كل حب (أرضى لأولاده). هل قال إننى أملك شيئاً؟ لاحظ كيف أنه بأقواله (هذه) يحقق كلمات الرسول القائلة «لأننا لم ندخل بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء» (١تى ٦: ٧). انظر كيف أن الكلمات التى نطق بها كانت نافعة، ليس فقط له هو شخصياً بل لنا نحن أيضاً «عرياناً خرجت من بطن أمى.. « أى ألا ينبغى لى أن انفصل فيما بعد عن هذه الممتلكات؟ هل هذه الممتلكات كانت لى؟ هل أنا الذى اقتنيتها أليس هذا الغنى وديعة؟ هذه الممتلكات كانت غريبة عنى، لأنها لم تصحبنى عند دخولى إلى العالم، ولا هى ستخرج معى عند خروجى منه. هكذا ينبغى أن تكون مبادئنا نحن أيضاً أيها الأحباء. لنكن غير مكترثين بالغنى. لأجل هذا خلقنا الله عراه منذ البدء، وأنه جعلنا مائتين لكى نتعلم هكذا أن الأموال التى تحيط بنا هى خارجة (عنا).

ولأجل هذا نحن نرحل أيضاً فى هذه الحالة (عراة) إلى العالم الآخر. ولأجل هذا أيضاً يُدعى المال (باليونانية) الممتلكات المستعملة، لأنها قد أُعطيت لنا هنا (على الأرض) لنستخدمها.

٢٤- الرب أعطى والرب أخذ. فليكن كما يقرر الرب" (تابع١: ٢١).

ها أنت ترى أنه اعتقد أن الله هو الذى أخذ. لكن ألا نستطيع نحن أن نقول هذا؟ هوذا التعزية الثانية: وما قد أُخذ منا لا يخصنا، وأن الله هو الذى أخذه حتى لو كان يخصنا. إن هذه تعزية عظيمة جداً خصوصاً عندما يتعين علينا أن نحزن على الممتلكات التى نُزعت منا.

«ليكن كما يقرر الرب»

ما الذى يُقارن بهذا الموقف؟ إنه لم يسع أبداً بفضول لا لمعرفة ولا لقول لماذا سبب الله لى هذا؟ لماذا أخذها؟ وبالحقيقة هذا حدث من جهة الكل. وقد حدث ما كان ينبغى أن يحدث فيما بعد بقليل، كما لو كان ليس بأمر مستغرب ولكنه أمر معتاد. هكذا كانت دوافعه. إنه قال: لا شىء مما يحدث لنا خارق للعادة، لا شىء يحدث لنا مضاداً للطبيعة، فهذا كان أمراً طبيعياً.

٢٥- "ليكن اسم الرب مباركاً إلى الأبد"

لاحظ بأية وسائل يتدبر تعزية (لنفسه). فأول كل شىء يقول فى نفسه «هذه الممتلكات ليست لى»، ثانياً إنها ما كانت ستدوم لى لأننى سأغادر العالم بدونها. فضلاً عن ذلك، حتى لو كانت هى لى فمن قد أخذها قادر على تعزيتي.

لكن حيث أنها لم تكن لى، فمن أخذها هو عظيم، وحيث أنه أخذ ما هو له فكيف يليق الحزن؟

«ليكن كما قرر الرب»

قل لى: لماذا قرر هذا الأمر؟

لا أريد أن أقول شيئاً.

فلماذا لم تسألنى عندما نلت هذه الممتلكات قائلاً: لماذا قرر هو هذا؟

عندما يغنينى (الله) لا أسأل لأعرف لماذا أعطانى هذا الغنى، ولا حتى الآن أسعى لمعرفة لماذا نزعها هو منى. هل هو أعطانى إياها لأنى استحقها؟ هل أنا نلتها مقابل أعمالى الصالحة. إنه قرر أن يعطيها وفعل هذا، وقرر (أيضاً) أن يستردها (وأيضاً) فعل

هذا. إن هذا التصرف علامة على روح تقية تستسلم لمشيئة الله ولا تطالب بتقديم حساب أو تفسير للأمر.

كيف نعرف أن الله قرر هذا؟

فيجيب (أيوب): لقد سمعت أن النار قد سقطت من السماء (١: ١٦)، وهذا أمر لم يكن موافقاً للناموس الطبيعى. ثم إنه «هو الذى حفظنى» (٢٩: ٢)، فما كنت سأعانى أية شرور لو لم يتخل عنى. وهكذا بينما بذل الشيطان كل جهده ليجعل أيوب يجدف لأجل فقدان ما له، إلا أن أيوب كان يشكر على أنها أُعطيت له.

أيها الأحباء، ليتنا نصدق أنه إن لم نملك شيئاً لنا خاصةً، فلن نحزن أبداً. إنه أورد نفس التعليلات من جهة أولاده، لأنه نسب كل شيء، ليس للطبيعة بل لله. لاحظ أيضاً أنه كان فى القفر دون أن يكون قد تربى عليه منذ البدء حتى يستطيع أن يحتمله بسهولة، لكنه رأى الفقر هبط عليه فجأة، الأمر الذى كان متعباً جداً، فبغتة ذاك الذى كان لديه أولاد كثيرون، وجد نفسه بلا أولاد، وكان من الأفضل ألا ينالهم، من أن ينالهم لمجرد أن يفقدهم بعد ذلك (دفعة واحدة). لذلك فإن السلام والهدوء والصفاء الذين كانوا له سابقاً قد جعلوا بليته متعبة بالأكثر، لكن هل كان متضايقاً عندما تكلم هكذا؟ إطلاقاً.

«ليكن اسم الرب مباركاً إلى الأبد»

ليس فقط الآن عندما أخذ الرب، ولا فقط فى اللحظة التى فيها أعطى، بل إلى الأبد ودون توقف. ليس فقط أنه لم يجدف، بل أنه بارك أيضاً. إنه لم يكتف باحتمال بليته فى صمت، بل مجّد الله، ليس فقط لأجل الحاضر، بل أيضاً لأجل المستقبل. لأنه إن كان المستقبل مجهولاً، فلا ينبغى مع ذلك أن نقلل الشكر مهما حدث. إنه أسكت حتى من أرادوا أن يجدفوا، ووضع لجاماً على ألسنتهم. لماذا لم يقل هذا منذ البدء وبارك الله بدلاً من أن يأتى بتعليلات مملوءة براً؟

لو كان قد بدأ بقول «ليكن اسم الرب مباركاً» لكان بدا أنه مجرد فيلسوف، لكنه عمل هذا وفى نفس الوقت تعلل بتعليلات مملوءة براً، وبهذا قطع كل حجة لمن يريدون أن يلوموا الله.

لنفترض أن أيوب لم يكن هو الضحية، لكن أياً كان أول قادم (مبُتلى)، سيقول له أيوب (ليعزيه): لماذا تشتكى؟ ألا تخص ممتلكاتك الله؟ فيجيب: نعم؛ لكن لماذا أعطانى إياها إن كان سيأخذها؟

ينبغى أن ترتضى (بأخذها منك)، طالما أنت قد (قد ارتضيت بنوالها) استخدمتها. كذلك لو أن شخصاً ما أقرضك مالاً، فما هذا إلا وديعة. ومن كانوا أغنياء سواء لم يعانوا من فقد ممتلكاتهم أو سواء رأوا غناهم يفلت منهم، ينبغى أن يقولوا: عرياناً دخلت إلى العالم وعرياناً سأغادره. ومن هو غنى فليقل أيضاً: لماذا أكدس المال؟ أية منفعة ستأتينى من الغنى؟ إننى سأمضى عرياناً «لأننا لم ندخل العالم بشىء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشىء» (١تى ٦: ٧).

أتنظر أية منفعة اقتبلها (أيوب)؟ هل ترى أن البلية صارت مصدراً للغنى (الروحى)؟ إنه فقد المال ولكنه وجد الفضيلة. إنه صار فقيراً لكنه اغتنى (روحياً). إنه جحد ذهبه، لكنه صعق الشيطان جيداً.

الختام: أيوب بقى بلا لوم

٦٢- يقول النص "فى كل هذا لم يخطئ أيوب ولم يفرط حتى بشفتيه ولم ينسب لله جهالة" (١: ٢٢).

وكما يُكتب داخل إطار العنوان أسفل اللوحات المرسومة «هدية من فلان» كذلك هنا عندما رسم كاتب السفر بالكلمات صورة بطله، أضاف أسفل الصورة واصفاً كما لو على إطار العنوان «فى كل هذا لم يخطئ أيوب ولا حتى فرط بشفتيه». لا تظن أنه صمت أمام الناس وليس أمام الله، بل أنه لم يخطئ ولا حتى بالفكر.

ماذا يعنى تعبير «لم يفرط ولا حتى بشفتيه»؟

يحدث كثيراً عندما نبُتلى بالحزن فندع كلمة غير لائقة تفلت منا، هذا ليس لأن العقل أعطى موافقته، بل لأن اللسان، انجرف باليأس. أما بطلنا فلم يختبر حتى هذا وذهنه كان خالياً من التجديف، ولسانه كان خالياً من الكلمات الرديئة.

يقول النص «فى كل هذا..»

إنه فعل حسناً بقوله «فى كل». لا تظن أن هذه الأحداث كانت عديمة الأهمية بحجة أنه لخص الرواية، فإنه لخص البلايا التى حدثت له على فترة طويلة.

لكن إن أردت فلنفحص قليلاً هذا التعبير وستفهم ما تعنيه هذه الكلمات «فى كل هذا». انظر هوذا الحقول قد هُجرت، لأن البهائم قد هلكت، والأرض صارت قاحلة (حرفياً عقيمة)، والكل يفيض بأغانى الحزن، والمراثى تملأ البيت، وكل شىء قد سُلّم للظروف العشوائية، لأن كل شىء قد سُحق تماماً. أية حرب وأية معركة وأية غارة قد هوت هكذا على رأس البار؟ ماذا نقول؟ هل أن جملة من المصائب قد حدثت له؟ هل حدثت كلها دفعة واحدة بطريقة عقاب مرعب؟ هل حدثت فجأة دون أن يشعر أبداً أنه اقترف أية خطية؟ من أين نبدأ؟ من أين نتابع؟ هل ينبغى له أن يتفكر فى عمر الأولاد؟ أم فى فضيلة نفوسهم؟ أم فى قسوة العقوبة، أم أنهم كانوا شباباً فى ريعان الصبا وينتمون إلى نفس العائلة، وكانوا يأكلون ويشربون عندما سقط عليهم السقف ودفنهم. إن كاتب السفر مُحق فى قوله «فى كل هذا..». إنه كم من البلايا يضخّم المأساة جداً. إن الضربات كانت متلاحقة، وكثيرون لا يقولون شيئاً أمام الناس، ولكنهم يتذمرون على الله فى الفكر. أما أيوب، فلم يذهب مذهبهم بل بقى غير مزعزع.

وقال النص «لم ينسب لله جهالة»

ماذا يعنى هذا القول؟ إنه (نص) غامض، لكن هذا بالضبط ما قاله داود أيضاً «وفى الليل (أصرخ)، وليس ذلك جهالة منى» (مز٢١: ٣ بحسب النص). هذا بالضبط ما حدث هنا أيضاً، أى أنه لم يتهم الأحداث بالظلم، ولم يقل: إن الأحداث قد تمت اعتباطاً ودون هدف. ولم يقل: إننى بار ولا أشعر بأنى قد اقترفت أية خطية، وأولئك الناس ناجحون، بينما أنا غارق فى بلايا بلا حصر، لماذا (يحدث لى هذا)؟ أى إثم وأية خطية اقترفتها؟ هل يعتنى الله بأمور حياتنا؟

لكنه لم يقل شيئاً ولم يفكر أبداً بفكر شبيه بما يحدث الآن لعديد من الناس عندما يرون آخرين ينعمون بالأيام السعيدة، بينما هم أنفسهم غارقون فى أسوأ البلايا. فليست هى الأحداث بل فساد الذهن هو الذى يجعلنا نتشكك فى صلاح الله، وإلا لكان أيوب تشكك أيضاً.

أى شىء لك – أيها الإنسان – لم تأخذه؟ (١كو ٤: ٧). هل فقدت ابناً؟ قل «الرب أعطى والرب أخذ» (١: ١٢). وقل هذا بخصوص كل شىء (تفقده). هل أنت استمتعت بالأمان (السلام)، ثم سقطت بعد ذلك فى المهالك؟ هذه الكلمة يمكنك أن تستخدمها كعلاج لكل ظرف، و(هى) تأتى لمساعدة كل نوع من البلايا وكل صنف من النكبات، ويمكنها أن تقضى على كل نوع من اليأس.

"ليكن كما يقرر الرب" (١:٢١)

وبنفس المعنى أيضاً قيل فى نص آخر من الكتاب «ليفعل الرب بى حسبما يحسن فى عينيه» (٢صم ١٥: ٢٦)، وفى نص غيره قيل «هو الرب، ما يحسن فى عينيه يعمل» (١صم ٣: ١٨). وفى الإنجيل علّمنا المسيح (هذا) بقوله «لتكن مشيئتك» (مت ٦: ١٠).

الإصحاح الثانى

تجارب جديدة – تدخل جديد للشيطان

١- "وكان ذات يوم أنه جاء ملائكة الله ليمثلوا أمام الرب، وجاء الشيطان أيضاً فى وسطهم ليمثل أمام الرب" (٢: ١).

لماذا يُظهرهم الكاتب على أنهم يتراءون هكذا أمام الرب كل يوم؟ هذا لكى نعلم أن الأحداث الجارية لا تغيب عن العناية الإلهية، ولنعلم أيضاً أن الملائكة يقدمون تقريراً عما يحدث كل يوم، وأنه يتم إرسالهم كل يوم لترتيب بعض الأمور ولو أننا نجهلها. لأنهم لأجل هذا قد خُلقوا، وهذا هو واجبهم كما يقول الطوباوى بولس «أليس جميعهم أرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب١٤: ١).

«وجاء الشيطان فى وسطهم»

ها أنت ترى لأى غرض تراءت الملائكة، لكن لأى غرض تراءى هو؟! هذا لكى يجرب أيوب، أما هم فلخدمة أمور خلاصنا.

لماذا سأله الله مرة أخرى أمام الملائكة بالذات؟ حتماً لأن الشيطان قال أمامهم أيضاً «بالتأكيد إنه فى وجهك يجدف» (١: ١١).

أية طبيعة وقحة هذه! إنه تجاسر على العودة مرة ثانية!

٢- "فقال الرب للشيطان: من أين جئت؟ فأجاب الشيطان الرب وقال: من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها" (٢: ٤).

لاحظ أيضاً أنه يجول فى الكون كل لحظة. كون الملائكة يجولون فيها أيضاً، فهذا أمر أعلمنا به زكريا (انظر زك ١٠:١، ١١). لكن هذا التعيس لم يكتف بمجرد الجولان، والجولان كل يوم هو فى الواقع عمل من أعمال العناية الإلهية، لكى يكون الشيطان – فى نفس الوقت – مداناً بأكثر شدة، ونحن أيضاً نكون أكثر يقظة. لهذا السبب هو يُدعى «رئيس الظلمة الأبدية» (أف ٦: ١٢ بحسب النص)، أى رئيس الشر.

تكلم أيها الشيطان ما الذى أنجزته؟

فيقول: إننى جلت فى الأرض كلها ودُرت.

أى عمل أديته؟

لا شيء مفيد أو صالح.

وهو لم يجرؤ على أن يقول شيئاً سوى أنه جال وحسب.

تقريظ جديد لأيوب

٣- **"فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدى أيوب، لأن ليس مثله فى الأرض، رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر"** (٢: ٣).

الرب من جديد يثيره لجولة ثانية من القتال ويواصل كلامه له بقوله «وإلى الآن هو متمسك بكماله وقد هيجتنى عليه لإهلاك أملاكه بلا سبب» (تابع ٢: ٣).

ألم تكتف أيها الوقح بالثقة فى تقرير الله عنه؟ أما كان ينبغى لك بعد هذه التجربة أن تثق فيه بعد الآن؟ ألم يقل لك أنه كان بلا لوم (كامل)؟ ألم تبرهن لك تلك التجربة على ذلك؟ فكيف عدت من جديد للهجوم؟ وماذا نتعلم من هذا؟ نتعلم أنه حتى لو أخفق الشيطان ألف مرة، فإنه لا يكف على الإطلاق، بل يواصل حملاته بدون حياء.

«إنك هيجتنى عليه باطلاً لإهلاك أملاكه».

هل كل ما حدث لأيوب كان اعتباطاً وبلا سبب؟

فى الحقيقة إنه لم يكن «بلا سبب» بل كان لأجل منفعته.

«لكن أنت هيجتنى عليه لإهلاك أمواله بلا سبب»

إن الله لم يقل أن أملاكه قد ضاعت سُدى، بل قال «أنت هيجتنى عليه لإهلاك أمواله بلا سبب». لأن أيوب قد نال مجازاة تفوق المعتاد لأجل فقد ممتلكاته. فهل سعى أيوب لأن يُعاد له ما قد فقده؟

ولو أن الله قال للشيطان: إنه أنت الذى بلا سبب واعتباطاً قد وشيت بهذا الإنسان، إلا أن هذا المرذول لم يخر (يأساً) أو يندم، بل سعى إلى تجربة ثانية ليلقى به مرة أخرى فى

(حلبة) المصارعة «لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة» (مت ١٨: ١٦)(١).

لكن لاحظ غباء الشيطان الشديد. إنه الله قد قال إن أيوب «متمسك بكماله»، و(كأنه) يقول له: ما الذى تأمله من ضربك لجسده؟ إن الشيطان وجد أيوب غير متمرس (على المحن والأتعاب) ووضع عليه مثل هذا الحمل الثقيل من البلايا دون أن يقوى عليه أبداً، (بل) وجده أكثر قوة منه (أى من الشيطان)، إذ حتى فى هذه الظروف لم يتقهقر إلى الخلف.

لاحظ بأى أتضاعٍ يجيب الله الشيطان معلّماً إيانا (بذلك) ألا نتباهى بنجاحنا، لأنه مهم جداً أن يكون الإنسان متضعاً حتى فى الانتصار.

فماذا سيفعل الشيطان، ذاك الكائن الشره الذى لا يكف أبداً عن أذيتنا كل يوم؟

طلب جديد للشيطان: أضربه فى جسده

٤- **"فأجاب الشيطان الرب وقال: جلد بجلد، وكل ما للإنسان يعطيه لأجل نفسه"** (٢: ٤).

حتى لو كان على أيوب أن يبذل حياة أخرى، فلن يرفض هذا. أى حتى لو ضحى فى السابق بأولاده، فهذا أمر معتاد عند البشر، فلا شىء أغلى عند الإنسان من نفسه.

إنه لم يكن قد مس بعد ممتلكاته الأساسية، ومع ذلك أنت قلت «إن نزعت عنه أملاكه، سيجدف عليك».

لكن لماذا لم يطالب الشيطان بهذا منذ البدء؟

هذا ما حسبه الشيطان وقاله: لو حدث أن أيوب سينهزم، فمن الأفضل إحراز النصر عليه على أرضية أكثر ضعة، ولكن لو ـ على العكس ـ لم أحرز النصر عليه من جهة ممتلكاته، فعلى الأقل سأحرزه من جهة جسده، وستكون هزيمته مخزية لو أنه جدف لأجل ممتلكاته. لكن لو لم يجدف، يتبقى لى أن أهاجمه على الأرضية الثانية (أى جسده). لأجل هذا قد أبقاه الشيطان (لجولة ثانية).

إن الشيطان قال «كل ما للإنسان يعطيه لأجل نفسه» فهل أيوب هو الذى أعطى (قدم) ممتلكاته؟ إنك أنت الذى انتزعتها. هل عُرض عليه حقاً الخيار بين هلاكه أو هلاك

---

(١) يقصد ذهبى الفم بهذا الاقتباس: أى لكى يتزكى أيوب بأكثر من جولة من التجارب.

ممتلكاته؟ وهل اختار هو الشق الثانى؟ فكيف صار أنه لم يجدف أيها المرذول؟ إن ما يريد الشيطان قوله أن الشيء الأكثر أهمية عن كل ما عداه بالنسبة للإنسان هو نفسه وكل شيء آخر هو ثانوى.

أنظر مرة أخرى كيف أن الشيطان قد وقع فى مصيدة ردوده ذاتها. ولكى لا يتبقى له بعد أية حجة أو دافع لأن يقول أنه لم يضر ممتلكاته الأساسية وأنه ولا حتى استولى على الأساس منها، فإنه أخذ قصب السباق (أى بادر) ليعلن أن كل ما للإنسان يأتى (فى المرتبة الثانية) بعد حياته ذاتها، وأنه سيجحد بسهولة كل شيء ليحفظ ويقى نفسه، وأن لا شيء على الإطلاق أكثر أهمية له من نفسه. وما أريد أن أركز عليه هو أن الغنى ليس له قيمة عظيمة فى عين البشر.

فلنتعلم أيها الأحباء حتى ولو خجلنا من التعلم من الشيطان، أنه ينبغى ترك كل شيء لإنقاذ النفس.

وهذا أمر طبيعى للبشر، ولو أننا لن نُمنح أى غفران عندما يجعلنا الغنى نجدف، وهو (أى الشيطان) قال إن الغنى لا يمثل أية أهمية، لأننا نبذل كل شيء لإنقاذ نفسنا ذاتها (فليتنا نتصرف هكذا على المستوى الروحى).

موافقة جديدة من الله

٥- ومن جديد طلب الشيطان قائلاً "ولكن ابسط الآن يدك ومس عظمه ولحمه فإنه فى وجهك يجدف عليك" (٢: ٥).

لقد تكلم الشيطان بخبث، فهو لم يقل لحمه وحسب، بل عظمه (أيضاً) لكى تتولد البلية فى داخله. فماذا قال الله من جهته؟ «**فقال الرب للشيطان ها هو فى يدك ولكن احفظ نفسه**» (٢: ٦)، أى بمعنى لا تميته، وعلى ذلك فالشيطان لا يستطيع أن يعمل شيئاً، ما لم يأخذ الإذن به. فإن جعلته يموت، فلن يمكننا بعد أن نهلل للمشهد. وهكذا يمكن للشيطان أن يميت الإنسان لكن لا يمكنه أن يؤذيه. انظر هذا، نحن نتعلم من هنا أن الشيطان يغير من الناس الأتقياء، لكن على الرغم من غيرته لا يستطيع أن يؤذيهم من ذاته قبل أن يأخذ الإذن من الله، الإذن الذى يمنحه الله أحياناً، لكن بدلاً من أن يعطيه حرية التصرف يُقصر. أحياناً على الممتلكات وأحياناً على الممتلكات وأحياناً على الأشخاص (أى أجسادهم). وهذا فى الواقع ما تلّمح إليه واقعة أنه أخذ الإذن للمرة الثانية. ولنتعلم

من هذا أن كل قوة الشيطان مشروطة بالإذن له، وأنه حتى لو انهزم فإنه لا يستسلم، بل يمضى قُدماً فى مخططاته، لكن أن يُمنح الموافقة أو الرفض فهذا أمر يختص بالله. لماذا لم يقل: فقط لا تمس حياته، بل قال «لكن احفظ نفسه»؟ إنه (بذلك) غمره بخوف عظيم. لا تقل لي: لن ألمسه، بينما تميته بطريقة ما. إننى أطلب منك حفظ حياته، وكلمة «احفظ» هى تعبير أقوى من كلمة «لا تمس». وهو فى الوضع الراهن يخيف خصمه، حتى إذا نظر قوته العظيمة لا يمس حياة أيوب. وهذا حدث لأنه كان من المحتمل أن يرسل له الشيطان مرضاً يهلك جسده ويقول: إننى لم أمس حياته. لهذا السبب قال له الله «احفظ نفسه». إننى لم أقل هذا وحسب «احترس ألا تمس نفسه، بل أيضاً أقول «احفظ نفسه» لكى لا تعانى (نفسه) أى ضرر، وأنا أقول هذا من جهة حياته.

تجارب جديدة لأيوب

٦- "فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح ردئ من باطن قدمه إلى هامته" (٢:٧).

من جديد يخرج الشيطان وفى كل مرة يلتفت إلى عمله بعد أن ينال الإذن. لاحظ جيداً كيف أنه لا يسوّف بل يتجه بسرعة إلى التنفيذ فى الحال. نحن نتعلم من هذا أن ترخيصاً ما، ينظم ما يجيزه الله للشيطان، ونتعلم أن الشيطان يطالب بتجارب ويتكالب عليها ليس بناء على أمر من الله، إنما لأنه يجد لذّته فيها ويلتمسها منه. وأنت ترى أن «الله لا يجرب أحداً» (يع١: ١٣)، لكن فى كل مرة يبدأ الشيطان الهجوم فيُسمح له ببعض الأمور، وأمور غيرها لا يُسمح (له بها). وإن قيل بخصوص من يسقطون: لماذا سمح الله بهذا؟ (إنهم سقطوا) حتى يقتنعوا فى كثير من الأحوال بمظهريتهم وريائهم.

فمثلاً فى حالة يهوذا، سمح الله للشيطان بأن يهاجمه ليقنعه بأنه قد ضل سواء السبيل، بينما لم يسمح بهذا فى حالة سمعان، حيث على العكس جاء لمساعدته، وهكذا يعطى الله أحياناً الإذن لإسقاط الإنسان وزعزعته وأحياناً يرفض إعطائه. ويعطى أيضاً الإذن لتجربة إنسان وأحياناً يرفض إعطاء الإذن حتى لا يسقط الإنسان.

لهذا أيضاً نحن مدعوون إلى الصلاة بقولنا «لا تدعنا نسقط فى التجربة التى لا نستطيع احتمالها» (انظر مت٦: ١٣).

هل تلاحظ أيوب عندما سقط مريضاً وصار عليلاً؟ في اللحظة التى حُرم فيها من عبيده، لأن الفقر أمر مؤلم حتى عندما يكون الإنسان في صحة جيدة، لكن عندما يُضاف إليه علّة تستدعى عدد كبير من العبيد، فإن المرض يصير أيضاً أمراً صعب احتماله. انظر لجنون الشيطان: إنه لم يعفِ أى جزء من الجسد، بل أفسد كل جسده تماماً. وكما يختص بمصارع قدير يحارب في جسده ضد الشيطان الفاسد، وكمثل من هو محروم من كل أسلحته، فإما أنه يُجبر على ضرب رأس خصمه بيده التى بلا سلاح أو لا يحرز النصر إلا بعد تلقى ضربات (كثيرة). إن الله قد ربط يدى أيوب في اللحظة التى استعد فيها لإطلاق خصمه عليه.

«قال الرب للشيطان ها هو في يدك»

إنه لم يتحدث عن مبارزة فيها مواجهة (متكافئة)، بل بعد أن قيّده قال «ها هو في يدك»، ولكن بالرغم من هذا فلن تهزمه.

أنظر أية قوة لخدام الله، وما هو ضعف الشيطان، فإنه لا يستطيع هزيمة الأبرار حتى لو كانوا مقيدين وبلا حركة.

٧- **ربما تظن أن علّته خفيفة إذ أنك تسمع كلام عن قرحٍ، لكن اسمع التالى "وأخذ أيوب شقفة ليحك بها الصديد"** (٢: ٨).

كيف يمكن بالكلام وصف هذه البلية؟ ماذا نقول؟! حتى رؤيتنا عياناً للمريض لن تجعلنا ندرك قسوة المرض، فقط الخبرة (العملية) هى التى تتيح لنا معرفته حسناً. لماذا كان يحك أيوب نفسه بنفسه؟ إنه كان وحيداً ولم يكن له إنسان يخدمه، لأن هذا الأمر كان أيضاً من نتاج عمل الشيطان بأن جعله محل بغضة وكره من الكل. والذين كان ينبغى عليهم أن يعينوه بالأكثر في بليته، فإن الشيطان قد حرمه من معونتهم مقدماً، والعزاء الوحيد الذى بقى له – أقصد زوجته – ليس فقط لم يتركها لتعزية زوجها بل أيضاً جندها ضده.

لماذا من ناحية أخرى لم يستخدم يديه وأصابعه ليحك بها نفسه؟ لكى يتحاشى أن يصير الاهتمام بقروحه فرصة لأن يشمئز من نفسه جداً، فعندما لا يستطيع احتمال الاعتناء بنفسه فكيف يستطيع أن يجد آخرين يقومون له بهذا العمل؟! لقد كان هو ذاته جلاداً لنفسه ليس بوخز جنبيه، بل بحكه لقروحه المتقيحة. لأنه حتى لو كان لديه

عبيده بعد، فهذا المنظر لم يكن ليثير الشفقة (من جانب العبيد لأنهم سيعافون منه)، لكن واقعياً كان هو نفسه يعتنى بنفسه. إنه قد ظهر «كمنظر» عام لكل الأنظار (انظر ١كو٤: ٩). إن المصارع قد تجرد من ملابسه وانهمك فى الصراع. فماذا نستحق نحن الذين لا نحتمل حتى مجرد سماع ها النص؟ أى تعذيب يوجد أكثر إيلاماً من هذا؟ ليرجع كل شخص إلى خبرته ليفهم (ليدرك) الأمر دون أن يكتفى بالالتزام (بالتوقف عند) بكلمات النص. إنه رأى نفسه يفنى ببطء بطريقة مخزية وبغيضة، إلا أنه عرف كيف يحتمل نفسه. إنه طُرد خارج بلدته. يا للخزي! وكان جالساً فى وسط الرماد.

٨- يقول النص «وكان جالساً فى وسط الرماد خارج البلدة» (٢: ٨). لماذا؟ لأن أهل مدينته لم يحتملوا رؤية هذا المنظر الرهيب رغم أنه كان مثيراً للشفقة، وكأنه نوع من الوحوش غريب المنظر. هل رأيت البلية فى كمالها؟ هل رأيت هذا الإنسان الفولاذي، هذا الإنسان الحديدى؟ لماذا لم يحبس نفسه فى حجرته بل جلس فى العراء ظاهراً أمام كل الأعين؟ فى ظنى أن هذا كان لإثارة الشفقة بالأكثر. ويمكن من جهة أيوب القول «إن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً» (٢كو ٤: ١٦)، وليتفكر فى طبيعته (البالية) كل من يتباهى بجمال جسده. كان جسد أيوب مملوءاً صديداً ويعمل كغذاء وطعام للدود. إن كانت أية رائحة كريهة أو تشوه يدفع البعض منا إلى الاختباء، فليتأملوا هذا البطل. أى شىء كان مثيراً للغثيان أكثر منه؟ أى شىء أبشع منه؟ أى شىء منفّراً أكثر منه؟ لكن لا شىء كان عطراً أكثر من نفسه! إن طبيعته الجسدية كانت تنحل، بينما نفسه بقيت غير فاسدة. لماذا كان يجلس على الرماد؟ لكى يوارى فى كومة القذارة ما يسقط منه (من صديد). لماذا جلس فى العراء؟ لكى يكون له بعض الراحة. لو كان حابساً نفسه فى غرفة لكان هواء الغرفة على قلّته قد فسد، ولكان هو نفسه قد اختنق من رائحته الكريهة. لذلك اعتقد أنه كان من الأفضل له احتمال الضيق الذى يسببه تعرضه على الملأ عن أن يعانى من الرائحة الكريهة التى يثيرها الهواء الفاسد وهو فى حمى سقف. وفضلاً عن ذلك، فأنا اعتقد أن وجعه لم يكن إنسانياً (أى يفوق قامة البشر): كمثل من فهم أن الله هو الذى دّل الشيطان على هذا الأمر، فلم يخز أو يخجل، بل عرّض نفسه لسخرية الجميع.

ضلال امرأة أيوب

٩- "فلما مضى وقت طويل قالت له امرأته: حتى متى تصمد قائلاً هوذا أنا صابر قليلاً منتظراً رجاء خلاصى" (٢: ٩).

من بين المكائد السابقة فهذه أقوى المكائد التى جعلها الشيطان فى آخر الأمر.

آه لو كنت أخذتَ أيضاً هذه المرأة!

آه لو كنت أخذتها (كما حدث هذا) مع أولادها أيضاً!

إن البعض يظن أن هنا أيضاً لم تكن المرأة هى التى فاهت بهذه الكلمات، بل الشيطان هو الذى قالها متخفياً فيها، لأنه ما كان ممكناً أن تصير امرأته هكذا، وعلى الأقل يمكن القول أن البلية هى التى قلبت تفكيرها (واتزانها) وجعلتها هكذا.

يقول النص «فلما مضى وقت طويل..»

انظر كيف أنها تحاول هدمه بفصاحتها. إنها ـ فى الواقع ـ تمتلك حججاً كثيرة لإقناعه، فالمدة فوق كل شئ آخر قد طالت، لأنه لم ينقض يوم أو اثنان أو ثلاثة، بل مر عدد كبير من الشهور. وهى قالت «حتى تصمد قائلاً..». إن الكلمات التى كان ينبغى أن يسمعها من آخرين غيرها لم تتوقف هى عن توجيهها له، لأنها ارتأت بما قالته أنه من المحتمل أن هذه النصيحة لم تكن الأولى بل إنه سمع كثيراً مْن فم زوجته بل أكثر إيلاماً من هذا.

حواء المُغوّية

انظر للخبث الشيطاني: إنه تفكر فى حواء. قال الشيطان هوذا حواء هى التى أسقطت الإنسان الأول (آدم)، وهى التى يمكنها أن تُسقط أيوب.

لكن أيها الأحمق المسكين، هذا (حدث) لأنها وجدت آدم عاجزاً عن كبح شراهته، لذلك استطاعت أن تبث فيه سُمّها. ها أنت ترى أيوب على العكس، فهو كان عاقلاً وانتصر على طبيعته أيضاً. فهو لم ينثن أمام فقدان أملاكه أو أمام الموت المبكر لأولاده أو أمام الآلام الجسدية القاسية أو أمام طول مدة التجربة. ومن لم تنجح الأحداث (المرعبة) فى إخضاعه، هل تظن أن الكلمات ستخضعه؟

فيجيب الشيطان: نعم لأنه يحدث أحياناً أن يصمد كثير من الناس فى الأحداث (المرعبة) بينما تصرعهم الكلمات، خاصة عندما تكون آتية من الزوجة. ولا يمكن القول (حينئذ) أن الحسد أو الغيرة هو الذى أملى هذه الكلمات، لأنها زوجته. إن الأحداث نفسها هى التى ألهمت محادثتها معك (على هذا النحو)، ونصيحتها لك ليست محل شك فهى تعينك، إذ لأجل هذا قد أُعطيت المرأة للرجل. نعم لكنها كانت أيضاً مثل المرأة الأولى (حواء).

يقول بولس الرسول «لست آذن للمرأة أن تعلّم ولا تتسلط على الرجل» (١تي٢: ١٢)، وهذا لم يقبله أيوب (كذلك). وانظر إلى ضلال هذه المرأة، فهى انتظرت مرور وقت طويل قبل أن تهاجم، لأنه آنذاك على الأخص يتم لفظ دواعى الرجاء، وآنذاك على الخصوص تكون كل قوى المقاومة قد نفذت تماماً. وضعفه كان مضاعفاً، لأن العليل ليس فقط قد وهن بسبب طول مدة التجربة، بل أيضاً بسبب أنه لفظ الرجاء بالأولى.

هل ترى أنه لم يكن لها فى السابق مثل هذه الجرأة فى الحديث؟ بهذا القدر قد شكّلها أيوب حسناً!

ولو أن وجهها كان يعبّر عن الشفقة، فإن كلماتها كانت قاسية وغير إنسانية. ولو أن أحاسيسها ودوافعها كانت لامرأة شفوقة، فإن نصائحها كانت لامرأة أرادت دفعه إلى الهاوية. إذاً فلا ننظر لأى غرض قالت هى هذا، بل لننظر إلى ما دبرّته. وفى الحقيقة لو تم تهديدى بخنجر أو بسّم قتّال فأنا لا أبحث عن نية الفاعل لأن شهوة الأذية لديه واضحة. فليس لنا أن ننظر إليها من حيث كونها امرأة (أى زوجته)، بل لننظر لما تنصح به. وأنا (بالمناسبة) استحث أناس عصرنا أيضاً ألا ينظروا إلى مراكز الأشخاص، بل ينظروا إلى صفة المشورة (ذاتها). إنها امرأة (قد خُلقت) لتعين الرجل، لا لتجعله يزل.

«حتى متى تصمد قائلاً..»

لماذا توهنين المجاهد؟ لماذا تجعلينه يرخى يديه (أى يستسلم)؟ آنذاك كان ينبغى القول كما قال الرب «بعد قليل أيضاً..» (يو١٦: ١٦)[1]، وهذا ما كان من المحتمل أن أيوب قد قاله لمن يلومون الله، متخذاً جانب الدفاع وعالماً أن للتجارب نهاية. إنه كان ينتظر تغييراً ما، الأمر الذى كان علامة على إيمان عميق ورجاء نبيل، إذ كان يعرف (جيداً) صلاح الله

---

(١) ٢- هنا اقتبس ذهبى الفم فقط ما يؤدى غرضه ألا وهو قصر مدة التجربة مهما طالت.

(وخيريته). وحيث أن أيوب كان يعطى أهمية كبرى لآلام الآخرين أكثر من ألمه الشخصى، فإنه كان يعزى ضعفهم. لكن زوجته سعت إلى حرمانه من هذه التعزية فقطعت الطريق على أن يقول أى شخص هذه الكلمات ليقوى عزيمته.

١٠- وهى أضافت قولها "هوذا ذكرك قد مُحِيَ من الأرض، (مات) أبناؤك وبناتك، آلام ووجع أحشائى الذين ولدتهم باطلاً فى التعب والآلام" (تابع ٢:٩).

انظر إلى المرأة المشاكسة فى ضلالها وخبثها. إنها لم تستحضر تذكار الغنى ولم تحشر (فى الكلام) فقدان الماشية، لكنها ذكرت فى المقام الأول ما يمكن أن يؤثر فيه بالأكثر، فهى كانت تعلم أن أيوب كان سخياً وأنه يعدّ خسارتهما (المادية) كلا شيء. لذلك لكى لا تُضعف من (حدة) الألم، ولكى تثير الموقف الدرامى (بالأكثر)، فهى وضعت فى المقدمة الأمر الذى لا يُطاق بالأكثر فوق كل شيء والذى يجعله يتألم بالأكثر، والذى يجعل الأحزان العميقة تعتمل فى صدره بالأكثر. ولاحظ بأى لهجة مزعجة ومثيرة للشفقة قالت «هوذا ذكرك قد مُحى من الأرض». إنها لا تزل بعيدة عن إظهار البلية من جديد، وتجديد تذكار الأحداث التى قد أسلمها هو إلى النسيان، فهى لم تتحدث عن الحاضر، بل عن الماضى إلى درجة أثارت ارتباكاً (شوشرة) عظيماً فى ذهنه.

وبنفس مقدار الخبث الذى يرهن به الشيطان على براعته فى استخدامها، قدمت هى نصيحتها مُزعجة إياه بتذكر أولاده، وآملة بهذا أن تغير أفكاره.

ثم انظر كيف أنها تلقى الضوء على أهم بلاياها. فهى لم تقل «إنهم قد ماتوا» تلك العبارة التى هى تعبير شائع يشير إلى بلية مشتركة لكل البشر، وهى لم تستخدم التعبير المعتاد، لكن ما الذى قالته؟ «ذكرك قد مُحى».

فى اعتقادى أنها أرادت باستخدامها هذا التعبير أن يدرك بالأكثر بشاعة البلية. وهذا هو ما أرادت قوله: أى تغيير تأمل فى أن تراه يحدث؟ هل ممكن للأموات أن يقوموا الآن؟ هل الذين اختفوا من مسرح الحياة يعودون إليها؟ إن كنا نريد أولاداً، فهذا على الأخص لكى نطيل تذكارنا بطريقة لا تفنى. وهذا على الأخص ما يسعى إليه البشر، وهو أن يتركوا تذكاراً بعدهم. وهى هنا تقول: ها أنت نفسك تموت وأنت فاقد لأولادك، قد استؤصلت وصرت بدون نسل وبدون أولاد.

لاحظ أنها تعطى له هذه النصيحة المشئومة بالقدر الذى لا يدفعه إلى الغضب بل لتستمله إلى الشفقة. إنها لم تقل: إن الله هو الذى أخذهم أو أهلكهم، لكنها استخدمت تعبيراً محايداً.

هى تقول «أبناؤك وبناتك» وقد ذكرت كلا الجنسين. ثم أنه تعبير مثير للأشجان أن تقول «آلام ووجع أحشائى»، وذكر كلا الجنسين هو علامة على أم ولودة ومُحبّة.

هى تقول: إنك تحتمل بلاياك بنفس عظيمة لكن أشفق على تعبى وعليّ. هى لم تضع أملها فى بلايا أيوب لتجعله ينثنى، بل سردت بؤسها بانفعال عظيم قائلة «آلام ووجع أحشائى»: وجع الولادة وآلام (أتعاب) التربية. إننى أنا (أمهم) الضحية الأكثر إثارة للشفقة من غيرى «فأنا قد ولدتهم فى التعب والآلام باطلاً».

لاحظ كيف أن رثائها لأبنائها خرج عن الحدود اللائقة. وهى إن تكلمت هكذا، فلكى تُظهر أنها أيضاً تشاركه بليته. عندما يستعد المرء لنصح ووعظ من هو مُبتلى، لا ينبغى للناصح أن يبقى غريباً عن بلاياه، لأن الذين يتبرعون بإسداء النصح، لن يقنعوا المتألمين كثيراً، حتى إن ارتدوا عباءة الحكماء. ولأنها مزمعة أن تنصحه بالموت، فلكى لا يبدو أن الكراهية هى التى أملتها هذه النصيحة، فهى تُظهر أنها لم تزل تحتمل بلايا أكثر رعبة، وهى رفعت من قدر بلاياها فى كلماتها.

زوجة أيوب تستحضر بؤسها

١١- إنها تقول "أنت نفسك جالس على المزبلة (حرفياً العفونة) وسط الدود وتمضى كل الليالى فى العراء، أما أنا فتائهة وأجيرة" (تابع ٢: ٩).

لاحظ كيف أنها تخلط سيرتها بسيرة أيوب:

هوذا ذكرك قد زال	آلام ووجع أحشائي
أنت جالس على المزبلة وسط الدود	وأنا تائهة وأجيرة

هى لم تكف عن إقامة موازنة فى حديثها بين موقف زوجها وموقفها لكى تستدر عطف من يسمعها.

(وقالت): فما لم تستطعه بلاياك، نالته بلاياى.

«بالنسبة لك..» إنها قالت بتشديد أكثر.. «بالنسبة لك» فأنت البار والمثير للإعجاب والقوى والمتزن الذى يجسم فى أعيننا كل الفضائل. أنت نفسك جالس على المزيلة وسط الدود وتمضى كل الليالى فى العراء، وعلى مدى الليل والنهار لا تجد من يأويك تحت سقفه، ولا شخص يشاركك آلامك ويشفق عليك، ولا من يتضامن معك فى آلامك.

«وأنا نفسى تائهة وأجيرة».

آه يا للبؤس! لا يوجد من يشفق على زوجته ولا يخفف من عوزها, وربيبة القصور صارت خادمة وتحيا فى العراء !!

فى ظنى أن بليتها جعلتها تعيش عيشة الخارجين على القانون: بلا مأوى، بلا مدينة، بلا بيت. وهى تقول: أنا تائهة عبر المدينة دون أن أجد حتى بيتاً كعبدة، دون أن تؤهلنى طباعى الحميدة لتلقى حتى مجرد أجر فاعلٍ أجير وأظل واقفة على أبواب الآخرين كما لو كان يلذّ لى أن أُعرّف كل الناس ببلاياى، ولم يكن ممكناً ولو فى منزل واحد أن أخفف خزى عوزى، وينبغى فى كل موضع أن أسلّم نفسى للاستهزاء والمهانة علانية. كم أن هذه البلية أكثر إيلاماً من موت أولادي! إننى أطوف فى كل موضع لأحكى بلاياى.

كما قلت فى البداية إن كان الله قد سمح لتجربة أيوب بأن تطول فلكى لا يتشكك أحد فيما بعد فى (عظم) البلية التى أصابته بعد تبدل الأحوال، وإن كان قد عاش فى العراء فهذا لكى يراه الجميع. ويمكن أيضاً قول هذا من جهة امرأته، لكى عندما يرى الناس التبدل والتحسن فى موقفها وأنه قد صار لها أبناء كثيرون وبنات جميلات، فلا يتشكك – من جهة بليتها الأولى – الناس الذين أعطوها أجراً لأتعابها.

زوجته تدعوه إلى الثورة

١٢- وتكمل حديثها قائلة "تائهة من موضع لآخر، منتظرة اللحظة التى فيها تغرب الشمس" (تابع ٢: ٩).

كان هذا أمراً طبيعياً، لأن هذه المرأة تلقت تعليماً يليق بإنسان حرة «لكى أستريح من أتعابى وأوجاعى التى طوقت عليّ وضغطتنى بالفعل» (تابع ٢: ٩). إنها أرادت التحدث عن تعبها الطويل وحياتها التائهة والأجيرة.

«إذاً قل كلمة على الرب ومت!»

لاحظ أنها بعد أن سردت المأساة بتدقيق، قدمت مشورتها الوقحة. إنها لم تجرؤ على قول هذا من قبل، لكنها، وفى حرص شديد على إخفائه، أطلقت سُمّها فقط بعد أن أظهرت قوة إقناع كافية فى حديثها معه. وهى لم تقل «جدف» بل قالت «قل كلمة على الرب ومت».

لماذا؟ إذاً فأنت تعلمين أن من يعمل هذا يموت، لكن أية تعزية سيجلبها لكِ موتى؟ أية راحة ستحصلين عليها؟ لأن الذين يعطون نصائح رديئة لا يجرؤون على إزالة النقاب عنها بل يسعون إلى أن يُغلِّفوا بالغموض نصائحهم الملتوية. فهذا الذى لا تجرئين على النصح به (علانية) كيف تحثيننى على قبوله؟ لماذا لا تفصحين عما تقصدين؟

ها أنت (يا أيوب) أن كل المنافذ مسدودة من كل جانب، أولادك ماتوا و(أنا) زوجتك فى أسوأ المواقف المثيرة للشفقة، وأنت جسدياً فى حالة تستطيع أنت نفسك أن تتيقن من سوئها. ولم يعد يتبقى إلا تعزية وحيدة وطريقة وحيدة تنجو بها (من هذا العذاب) وهى «أن تقول شيئاً ضد الله».

ما الذى تقولينه يا امرأة؟ فبينما ينبغى أن نسترضى الله ونجعله فى صفنا، تُثيرينى أنتِ لكى نغضبه بالأكثر! فإن كان الله هو الذى سبب هذه البلايا، ينبغى أن ندعوه (ليفرّج عنا) لا أن نجدف عليه، وبالمقابل إن لم يكن هو الذى سببها فلا ينبغى حينئذ أن نجدف عليه. لماذا تزيدين حمل بلاياى بحجة أنك تريدين إنقاذى؟ كيف يمكنك أن تظنى وتفكرى هكذا؟ كيف يتأكد لك أننى سأقول هذا وأموت؟ وإن حدث وقلت هذا، أما كنت سأندفع إلى أسوأ أنواع البلايا..؟

لكنها لم تذكر شيئاً عن هذا (أى لم تفكر فى عواقب كلامها).

وكيف لم تقل له: انتحر؟ لكن هذا ما كان يرغبه الشيطان بالأكثر أن تنصحه به وتحثه عليه. إنه سابقاً استخدم الحية، بينما الآن يستخدم المرأة.

قالت حواء: إن قمت بملامة الله، فأيوب لن يقبل مشورتى. سأعمل على تضخيم بلايانا (مستعطفة إياه) قائلة: أشفق عليّ.

وأية تعزية عن بلاياك ستحصلين عليها لو مات أيوب؟ أية راحة (ستكون لك)؟ ألن يزداد شقاؤك بالأكثر؟ لأنه لا تزال للآن هناك إمكانية فى الرجاء بحل أفضل، أما لو مات لن تعد هناك أية إمكانية وستصيرين أرملة بلا عزاء.

وأنا اعتقد أنها خجلت وخزت (لما قالته).

١٣- من لا يضطرب لهذه النصائح؟ من لا تجعله هذه النصائح يُصاب بالدوار؟ فماذا سيفعل بطلنا التقى والنبيل؟

"إنه ألقى عليها نظرة" (٢: ١٠).

إن الكتاب مُحق فى قوله «أنه ألقى عليها نظرة» لأنه بهذا أظهر غضبه، إذ أن الكلمات لم تكن كافية لتؤثر فيها. ثم لاحظ بأى لطف تصرف: إنه لم ينطق بأية كلمة تفصح عن غضب أو استياء. إنه سلّم بها كزوجة له، لكنه لم يقبل مشورتها ولم يقل لها: أنت حمقاء وجاهلة. لكن ماذا قال؟

نصر جديد لأيوب

١٤- **"لماذا تتكلمين كإحدى الجاهلات"** (تابع ٢: ١٠).

أى أنت لم تقولى شيئاً يليق بك أو بتعليمك وتهذيبك الذى نلتيه منى، وهذه الكلمات لا تليق بك. فهو لم يسعى لمجرد تبكيتها بشدة، بل أيضاً لردها عن هذه الأفكار الخاطئة.

١٥- قال أيوب لها «**هل الخير نقبل من الله والشر لا نقبل؟**» (تابع٢: ١٠)، أى إن كان لا يوجد إلا شرور فينبغى أن نحتملها. إنه رب وسيد، أليس له سلطان على كل ما يرسله لنا؟ لماذا أعطانا خيراتنا؟ ليس هذا لأننا نستحقها. فلا ينبغى لنا بعد اليوم أن نتضايق لفكرة أننا نعانى دون أن نكون مستحقين. إنه حر تماماً حتى لو لم يعطنا إلا الشرور (أى البلايا). لو أنه أعطانا الخيرات، فمما كنا نشتكى؟

لاحظ أنه لم يذكر فى أى موضع لا خطايا ولا أعمال صالحة، بل فقط قال أن الله له السلطان على عمل ما يريده.

ذكّر نفسك بسعادتك فى الماضى وأنت لن تتعب فى احتمال الصعاب الحالية. يكفى لتعزيتنا أن الله هو الذى أرسلها لنا، فلا نتحدث عن عدل أو ظلم.

٦١- ولاحظ أن الكتاب يعلن مرة أخرى نصرة المجاهد إذ يقول «فى كل هذا لم يخطئ أيوب، ولا حتى (فرّط) بشفتيه أمام الرب» (تابع ٢: ١٠). ولا نستطيع القول «أنه بدون شك قد تكلم هكذا إلى زوجته، لكن عمق قلبه كان ممتلئاً (بالغضب) بالسخط والإحباط.

ولو! فإن شفتيه لم تنطق بشيء!

وصول أصحاب أيوب الثلاثة

١٧- "فلما سمع أصحاب أيوب الثلاثة بكل الشر الذى أتى عليه، جاءوا كل واحد من مكانه: أليفاز ملك تيمان، وبلدد حاكم شوح، وصوفر ملك نعمان، وتواعدوا أن يأتوا ليرثوا له ويعزوه" (٢: ١١).

وكما كان أيوب يأمل فى أن يجد تعزية وتشديداً حناً من زوجته فلم يجد إلا الخراب (وهدم المعنويات)، فنفس الشىء وجده عند أصحابه. إنهم جاءوا لتعزيته وما عملوه كان العكس، وحتى قبل أن يسمعهم كان يكفى البار أن يراهم لكى ينكسر قلبه. لأن رؤيتنا لسعادة الآخرين هى التى تجعلنا على الأخص نلاحظ بلايانا بوضوح أكثر. تفكر كيف أنه كان شىء متعب أن يرى نفسه وسط هذه البلايا، بينما يرى أصحابه ومعارفه محتفظين بسعادتهم السابقة. وفى رؤيته لهم لا يمكنه إلا أن يتذكر سعادته الماضية ويتفكر فى الموقف الذى وجد فيه نفسه، وفى تلك الفكرة الرهيبة أن أخبار بليته قد انتشرت فى كل موضع، لأنه إن كان أصدقاؤه الذين يعيشون بعيداً قد سمعوا عنها فكم بالأولى الذين كانوا قريبين. لكن الذى أحزنه بالأكثر لم يكن عظم بلاياه بقدر كونه بدا أنه يعانى هذه البلايا بسبب إثمه وظلمه ومعارضته ومعاداته لله وللرياء الذى قد عاشه فى السابق. إنه لم يشغل نفسه بأن يرى جسده يتحلل، بل لرؤيته سمعته قد صارت مثارً للشك، ليس أن الرجل كان يعتز بذاته ولا أنه كان يعيش لينال رضا الجموع، بل لأنه رأى أن كثيراً من الناس قد تعثر بسبب هذه الأحداث. فهكذا كان موسى يغار أيضاً لمجد الله وكذلك القديس بولس الرسول وآخرون غيرهم. واسمع ما قاله موسى: «لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم فى هذا الموضع» (خر ٣٢: ١٢).

ففيما تفكر أيوب؟ إنه تفكر فى هذا أن جموع الذين تلقوا منه إحسانات، والذين انتزعهم من الفقر وأولئك اللاتى ساعدهن على احتمال الترمل، والأيتام الذين عالهم والذين كان هو لهم ملجأ وملاذاً، فإن سمعوا عنه أن أمواج النكبات تتقاذفه دون أن يستطيع أن يجد

أية تعزية، فأية عاصفة من الاعتراضات لن تجتاحهم بالضرورة؟ لذلك فإن بلايا أيوب قد قلبت (وأزعجت) أفكار الآخرين. لننتظر قليلاً وسنعرف من فم الواقفين لديه (أى أصحابه) أن الأمر هو هكذا.

١٨- **"ورفعوا أعينهم من بعيد ولم يعرفوه فرفعوا أصواتهم وبكوا ومزق كل واحد جبته وذرّوا تراباً فوق رؤوسهم. وجلسوا معه على الأرض سبعة أيام وسبع ليال ولم يكلمه أحد بكلمة لأنهم رأوا أن كآبته كانت عظيمة جداً"** (٢:١٢، ١٣).

إن كل هذه إشارات جميلة وتليق بأصدقاء برهنوا على تعاطفهم معه لكن ما تلا ذلك – على العكس – لم يكن أبداً مشابه لهذا، بل على النقيض تماماً بل وأسوأ جداً. انظر إلى ما حدث. فلكى لا تظن أنهم تكلموا بعد ذلك لكى يقاوموه عن سوء نية، فأول كل شىء فإنه من كل هذه الأحداث قد قطعوا الشك فى ذلك (فى أنهم كانوا مبيتين النيئة السيئة ضده)، إذ أن من يحكم على كلماتهم (فيما بعد) لا يدع مجالاً للشك أنهم كانوا أعداء.

يقول النص «ولم يكلمه أحدهم بكلمة»

لاحظ أن بليته تجاوزت التعزية التى يمكن أن تجلبها الكلمات، وهم أيضاً برهنوا على ذكائهم بتعزيته بتصرفهم فى جلوسهم معه على الأرض وتمزيقهم لملابسهم.

الإصحاح الثالث

تظلمات أيوب – أيوب يلعن يوم مولده

١- "بعد هذا فتح أيوب فاه وسب يومه. وأخذ أيوب يتكلم فقال:ليت هلك اليوم الذى وُلدت فيه والليل الذى قيل فيه قد حُبل برجل" (٣:١-٣).

إن أصدقاء أيوب بصمتهم قد شهدوا على الصفة المرعبة لما حدث. وهم ما كانوا يجترئون على تعزيته لو لم يأخذ المبادرة ويتحدث أولاً. فماذا يعنى قوله «ليته هلك اليوم الذى ولدت فيه؟». هذا ما قاله الجامعة أيضاً «فغبطت أنا الأموات الذين قد ماتوا منذ زمان، أكثر من الأحياء الذين هم عائشون بعد. وخير من كليهما الذى لم يولد بعد» (جا٤:٢، ٣). ليتنا لا نكتفى فقط بفحص كلماته بل لنر بأى روح نطقها، فهى فى الواقع تُفصح عن نفس يائسة ومضطربة. لأن داود قال أيضاً «وأنا قلت فى حيرتى..» (مز٣١: ٢٢)، فهذا ما قاله فى حيرته، وفى نص آخر يقول «وأنا قلت فى طمأنينتى أنى لا أتزعزع إلى الأبد» (مز ٣٠: ٦)، فأيوب قد تكلم (هنا) فى بليته. ألا تر يا عزيزى أن الذين يتم بتر عضو منهم يطلقون صرخات مدوية؟ فهل نلومهم على ذلك؟ لا على الإطلاق، بل نحن نلتمس لهم العذر.

فإن لم يعبّر أيوب عن نفسه هكذا لكان بدا لنا أنه لا يشاركنا الطبيعة البشرية. ألا تسمع ما يقوله موسى؟ «إن كنت تفعل بى هكذا فاقتلنى» (عد ١١: ١٥)، فقل لى فيما يفرق هذا عن تعبير أيوب «ليته هلك اليوم الذى ولدت فيه»؟ وهذا أيضاً قاله إرميا النبى «ملعون اليوم الذى ولدت فيه» (ار ٢٠: ١٤). فلا تنظر لمجرد الكلمات، بل افحص المعنى العميق للكلمات. فها أنت سمعت مراراً القول بأن أيوب «لم يخطئ (يفرّط) ولو بشفتيه». أما كونه لم يخطئ حتى بعد هذه الكلمات فاسمع الله ذاته يقول أيضاً «هل تعتقد أن سلوكى نحوك (يا أيوب) لم يكن له هدف آخر سوى إظهار برك؟» (٤٠: ٨ بحسب السبعينية). إنه ما كان سيحصل على ضعف الممتلكات التى كانت له من قبل ما لم يبرهن على فضيلة مضاعفة. إذاً ينبغى أن ننتبه لما قاله فى ضوء رؤيتنا لإعلان الله بشأنه (٤٠: ٨)، وإن وجدنا شيئاً آخر نقوله فحسناً، وإلا فلنشكر الله (ونصمت).

"ليته هلك اليوم الذى ولدت فيه والليل الذى فيه قيل قد حُبل برجل" (٣:٣).

ماذا يقصد بكلمة «هلك»؟

لنتأمل ونفهم أن الكلمات كانت بالحق متصفة بالإحباط - وليس بالخبث أو الإثم – لأنه لم يفن قط (من جراء البلايا والأمراض التى حلت به). وهل كان من الممكن أن يعود ذلك اليوم وأن يولد من جديد؟ إنه تكلم هكذا كما لو على شىء خيالى.

٢- قال أيوب «ليكن ذلك اليوم ظلاماً. لا يعتن به الله من فوق ولا يشرق عليه نهار. ليملكه الظلام وظل الموت. ليحل عليه سحاب، أما ذلك الليل فليكن ملعوناً وليمسكه الظلام ولا يدخل فى عداد (أيام) السنة ولا يُحسب فى أيام الشهور وليمتلئ هذا الليل بالغم ولا يعرف فرح أو مسرة، بل يلعنه لاعنو اليوم الذين سيقهرون التنين العظيم ولتظلم نجوم تلك الليلة، ولتنتظرهم دون أن يصلوا ولا يعطوا نورهم ولا يُرى إشراق نجم الصبح، لأنه لم يغلق أبواب بطن أمى إذ هكذا كان سيُبعد الشقاء عن عينى» (٣:١٠- ٤).

هل تدرك أن هذه الكلمات تفصح عن الإحباط؟ قل لى هل يوم مولده يمكن أن يثير كل هذا؟

٣- ثم تابع أيوب كلامه قائلاً «لماذا لم أمت من الرحم؟ عندما خرجت من البطن، لماذا لم أُسلم الروح؟ لماذا أعانتنى الركب ولماذا الثدى حتى أرضع؟ لأنى قد كنت الآن مضطجعاً ساكناً. حينئذ كنت نمت فى سلام مستريحاً، مع ملوك ومشيرى الأرض الذين يتباهوا بسيوفهم، أو مع رؤساء لهم ذهب بوفرة، المالئين بيوتهم فضة. أو كسقط لُفظ من الرحم. كأجنة لم ترى نوراً» (٣:١١- ١٦).

ماذا تقول يا أيوب؟ ألست أنت القائل «هل الخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل؟» (٢: ١٠). ما الذى حدث؟ فجأة غيّرت رأيك ولعنت يوم مولدك وجعلته السبب فيما أصابك، وهذا الأمر تم فى محضر سامعيك. وأنت (أيها القارئ) ألا تندهش قائلاً: إن هذه الكلمات التى قيلت (ربما) ليست له بل لشخص آخر حصل له لبس معى، لأن هذه الكلمات التى

نسبها لها الكتاب مغايرة لرقته ومضادة لصلاحه الشديد، وأنه فى الواقع لم يرد أن يقول شيئاً شبيهاً (بهذا)، وأنه كما احتمل ما احتمله عن جدارة، فإنه تمنى أيضاً بطريقة حكيمة ومستحقة التقدير ألا تحدث. وهذا بالضبط ما قاله المسيح أيضاً عن يهوذا «كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد» (مت٢٦: ٢٤). فهذا تماماً ما قاله أيوب أيضاً «لماذا ولدت؟ كان أفضل ألا أولد».

ثناء للموت

٤- **"هناك يكف المنافقون عن ثورة غضبهم، وهناك يستريح المتعبون. الكل معاً إلى الأبد. لا يسمعون صوت المسخّر. الصغير كما الكبير هناك والعبد حر من سيده"** (٣: ١٧- ١٩).

ماذا تريد أن تقول يا أيوب؟

(هو يود القول) «وكيف وأنا لست منافق أو فاسد لم أصادف مثل هذه التعزية (أى أموت)»

وواصل أيوب كلامه قائلاً «لماذا يُعطى لشقى نور وحياة لمرّى النفس. الذين ينتظرون الموت وليس هو (بموجود). ويحفرون عليه مثل الذين يبحثون عن كنز قد يجلب لهم سعادة غامرة، لأن الموت راحة للإنسان الذى الطريق قد خفى عليه وقد سيّج الله حوله» (٣: ٢٠- ٢٣).

انظر إلى أيوب هذا وتعجب من تقواه. كيف أنه يتلهف على الموت دون أن يناله ولكنه (مع ذلك) لم يجرؤ على الانتحار. إن هذه ليست مشاعر من يلوم (الله)، بل هى مشاعر من هو مُحبط ولم يكتشف ذنبه. عندما قال المسيح :كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد» (مت٢٦: ٢٤)، لم يكن يريد أن يقول شيئاً آخر سوى أن البلايا والصعاب تنتظره. بالمثل هنا، فأيوب عندما قال «لو كنت فقط لم أولد» فهو لا يهاجم العمل الخلاّق لله، بل يُظهر عظم بليته. لماذا «لو كنت فقط لم أولد»؟

هل أنت (يا أيوب) عانيت بعض الظلم؟

فيجيب: لا، إنما أنا لا أحتمل بليتى.

ولاحظ تقواه. فهو صب كل غضبه على يوم مولده دون أن يجرؤ على تخطى هذا الحد ودون أن يتوقف عن التكرار المستمر لنفس الكلمات «الليل والنهار.. النهار والليل..» ولا شىء أزيد من هذا. وتكفى الكلمة الأولى لتشرح كل شىء. فبقوله «ليته هلك اليوم الذى ولدت فيه» (٣: ٣)، فتعرف كل ما هو موجود فى هذا النص. لماذا قال «لا يشرق عليه نهار» (٣:٤)، وكل التعبيرات الأخرى الشبيهة؟

إن هذه عادة لمن يتألمون أن يكرروا الكلام. ونحن لا ندين كلمات أيوب «لأن الذى يبرره الله من سيدينه؟» (انظر رو ٨:٣٣، ٣٤).

قال أيوب «ليكن ذلك اليوم ظلاماً. لا يعتن به الله من فوق ولا يشرق عليه نهار. ليملكه الظلام وظل الموت» (٣:٥، ٤).

فيما تختلف هذه الفقرة عن الأخرى؟

ومن جديد يقول «ليلعنه لاعنو اليوم والذين سيقهرون التنين العظيم» (٣: ٨). وقال أيضاً «حينئذ كنت نائماً فى سلام، مستريحاً مع ملوك ومشيرى الأرض» (٣: ١٣، ١٤).

وهذا بالضبط ما قاله إيليا أيضاً «هذا يكفينى! هل أنا أفضل من آبائى؟» (١مل ١٩: ٤).

وقال أيوب "ومع رؤساء لهم ذهب بوفرة" (٣: ١٥).

يبدو لى أنه يسعى بآن واحد أن يحط من قدر هؤلاء العظماء ويقنعهم ألا يعتبروا الأشياء المادية (حرفياً البشرية) ذات قيمة عظيمة، لأنه ليس اعتباطاً أو بدون هدف أنه أدخل الملوك فى هذا النص.

وقال أيوب "الذين تباهوا بسيوفهم" (٣: ١٤)

لاحظ أيضاً الكلمات الممتلئة حكمة فى ضوء بليته: أن غناهم ـ فى الحقيقة ـ لا يوفر لهم أية حماية، وقوتهم عديمة الفائدة لهم فالموت قد أتى على كل شىء.

وقال أيوب "أو مثل سقط لُفظ من الرحم" (٣: ١٦).

انظر كيف أنه ـ لكى لا يبدو أنه يتباهى بنفسه ـ مضى إلى تشبيه نفسه بالسقط.. بمثل هذا القدر كان أيوب متواضعاً ومثيراً للشفقة.

أيوب يشرح بليته

٥- وقال أيوب "هناك يكف المنافقون عن ثورة غضبهم"

وبعد ذلك يأتى تقريظ للموت لأن بفضله يبتعد البعض عن البلايا والبعض الآخر يتحرر من بؤسه، فأولئك يجدون فيه ملجأ ضد بلاياهم وهؤلاء يجدون فيه عقبة ضد خبثهم.

والنقطة المهمة أنه لم يعد يمكنهم بعد، الخوف من جديد من البلايا السابقة، بل ينبغى أنه بعد الموت ينعموا بالاستمرار فى هذه الراحة، لأن هذا الموت سيكون نهاية لكل تجاربهم (وبؤسهم).

كيف تريدنى أن أستريح كما ترغب؟ لماذا لا أرحل من هنا (بالموت)؟

هذه ليست كلمات من يحتج، بل هى كلمات من هو مضطرب ولا يرغب فى شىء إلا بالموت.

يقول أيوب: الذين هم فى الأبدية (الهاوية)، الكل سوياً، لن يسمعوا لصوت المسخر، فالموت هو شىء عام على الكل. وليس فقط لم يعد هناك إمكانية لمعاناة أية بلية بل إن خبر البلايا لن يصل إلى الأذن.

"الصغير كما الكبير هناك، والعبد حر من سيده" (٣: ١٩).

لن يفلت أحد أبداً من طغيان الموت، لا عبد ولا حر، وكل الأمور البشرية يلاشيها الموت، الغنى كما الشرف. عظيم هو عدم المساواة فى الحياة الحاضرة، لكن أعظم منه هو العتق الذى بعد الرحيل من هنا. وكما أن الأمر بالحق يبدو مرعباً، فإنه فلسف الموت بسبب ضغط البلية مريداً إظهار أن الموت أفضل من الحياة لمن هم معذبون فى الدنيا. وقال أيوب إن الكل يتساوى أيضاً فى نوال هذا الشرف، وهناك لا توجد أية إمكانية للخوف من

تغيير مثلما يحدث هنا. فالموت سيصل حتماً إلى الكل، وسيقهر الكل بدون تمييز وسيعيق البلايا ويضع نهاية للبؤس، والذى كنا نعتبره من المصائب لن يعود هكذا.

وقال أيوب "لماذا يُعطى لشقى نور، وحياة لمرىّ النفس؟" (٣: ٢٠).

وهنا أيضاً حاشا لله أن تكون هذه لغة من يحتج (أو يلوم)، بل هى لغة من يسعى (لأن يموت) ومن يتألم، لأنه عندما تكون الكلمات منطوقة بروح مختلفة، فلا ينبغى أن نفسرها بنفس الطريقة: لذلك عندما يعلن (سليمان) الحكيم «لماذا يُعطى الجاهل غنى؟» (أم ١٧: ١٦)، فهو لا يريد أن يقول شيئاً آخر سوى أنه كان لا يستحقها ونتعلم من هذا أنه ليست الحياة مفيدة فقط، بل الموت أيضاً.

"الذين يشتهون الموت دون أن ينالوه" (٣: ٢١).

لهذا السبب يقول الجامعة «لكل شىء زمان (مناسب)» (جا٣: ١). ونص آخر يقول «أيها الموت كم أن ذكرك حلو» (انظر بن سيراخ ١٤: ٢). وإن قال أيوب هذا فلكى ـ عندما تسمع أنت زوجته تنصحه قائلة «قل كلمة على الله ومت» (٢: ٩) ـ فلا تظن أنه لم يقل هذه بدافع من حبه للحياة بل بالأولى بسبب تقواه. لأن الذى اعتبر الموت كشىء مرغوب فيه ونظره كخير عظيم، فإنه عندما كان يمكنه الحصول عليه (بالانتحار)، لم يجرؤ على ذلك.

قال أيوب «إن الموت هو راحة للإنسان»

وهذا هو ما أعلنه. لكن إن كان الموت راحة، فلماذا غالبية الناس لا تندفع نحوه؟ لأن الله قد جعل الحياة مستحبة لكى يمنعنا عن الركض إلى الموت.

وقال أيوب: "إن الطريق مخفى" (ع ٢٣).

فى اعتقادى أنه يتكلم عن الموت، لكن البعض اعتقد أنه يتكلم عن طريق الإنسان (فى الحياة)، لكن الذى يبرهن بوضوح أنه يتكلم عن الموت، ما قيل من قبل وعلى الأخص تعبير «الذين يسعون إليه كمن يحفرون بحثاً عن كنز بالتأكيد مخفى». وقال أيوب: إن المستقبل غير معروف. نحن لا نجد الطريق.

لا تكلمنى عن الذين ينتحرون، لأن أيوب تكلم عما هو موافق للطبيعة ولوصية الله. وقال أيوب أيضاً «لأن الله قد سيّج حوله» (ع٢٣)، وبحسب كلمة الإنجيل «يوم الرب آت كلص فى الليل» (انظر ١تس٥: ٢). لكن عندما يُقال له لماذا لم تختر الموت (أى ينتحر)؟ يجيب: إن الله سيّج حولى، والأبواب كانت مغلقة.

٦- ثم عرض أيوب بليته فى تعبيرات درامية فقال «إننى أبدأ فى التأوه وانتحب أمام طعامى مجبراً بالخوف» (٣: ٢٤)، وانتحب على الحاضر وعلى المستقبل، فوقت الأكل بالنسبة لى هو وقت الدموع. والكتاب يقول «لأنك أطعمتنى خبز الدموع» (انظر مز ٨٠: ٥).

"لأن الخوف الذى ارتعبت منه أتانى والذى فزعت منه صادفنى" (٣: ٢٥).

انظر إلى حكمة الرجل!

إنه لم يكن مثل من قال فى المزمور «بالتأكيد لن أتزعزع ولن أعانى أية خسارة من جيل إلى جيل» (مز١٠ : ٦)، ولا مثل الذى قال «أنا قلت فى طمأنينتى لا أتزعزع إلى الأبد» (مز ٣٠: ٦)، لكنه حفظ أفكاره البشرية بينما كان يستمتع بسعادة عظيمة، فإنه كان يتوقع كل يوم الصعاب. ولم يحتج إلى عناء كثير لكى يحتملها، وكان أيضاً متمرساً جيداً على الرجاء.

٧- **قال أيوب "لم يعد لى سلام أو راحة والغضب أتى علىّ"** (٣: ٢٦).

إنه لا يتكلم عن الماضى بل عن الوضع الراهن ويقصد أن يقول: إننى قد شبعت من الخوف والحرب والاضطراب ومن الجهاد ضد نفسى. إن البلايا التى ضغطتنى من الخارج كان تعبها أقل من الصراع الذى جزته فى ذهنى. ولم يكن يسود فى نفسه أى هدوء، وعلّة هذا السبب هو فى مجيء غضب الله. ولاحظ كيف أن زيادة على بلايا جسده، فإنه كان يكتئب لبلايا نفسه، لأن بلايا نفسه هى المتعبة والمزعجة والمرعبة بالأكثر.

من المفيد لنا أيضاً أن يكون لنا استعدادات شبيهة بأن نعتبر كل شىء وقتى (وزائل)، والذى له الخير كمن ليس له، وهكذا لا نشعر بفظاعة البلية ولا يمكننا أن نتعالى بالنجاح

ولا نتوقف وسط هذه التقلبات عن الاستمتاع بالهدوء والسلام. والأمر الذى كان محيراً تماماً أنه مع هذه الحياة النقية والكاملة، كان أيوب يتوقع النكبات، وليس فقط كان يتوقعها بل كان يخشاها، متفكراً فى الأمثلة الماضية، ومنها على سبيل المثال حالة إبراهيم. ونحن الذين نعيش كل يوم فى الشر، ألا نخشى أية بلية؟

لاحظ كيف أنه كان حكيماً حتى قبل التجربة، لأن الذى يتوقع انقلاب الحال وسط حياة تقوية لا يشابه من هو أجير (أى من يسلك بالاستقامة مقابل حمايته من تقلبات الدهر)، لذلك فإن عظمة فضيلته هى التى يظهرها التعبير «الخوف الذى أخشاه جاء علىّ» (٣: ٢٦).

الإصحاح الرابع

حديث أليفاز – طبيب بطّال

١- "أجاب أليفاز التيمانى وقال: هل تحدثت كثيراً وأنت فى الألم؟ ومن يحتمل عنف كل كلماتك؟" (٤: ١، ٢).

إن أيوب قد عمل حسناً فى أخذ سبق التقدم ليشير إلى البلايا التى وقعت عليه ولتراكم مصائبه، إذ أنهم أرادوا أن يطأوه ويهينوه، بينما هو منطرح على الأرض، لأن الكل عاجز عن القدرة على التكيف مع مثل هذه البلايا، وكثير من الناس يُلهبون فى الغالب جُرح المبتلى، البعض منهم عن سوء نية، والبعض الآخر عن غباء. لأن من الواضح أن من هو مكلف بإعطاء كلمة عزاء يحتاج لمهارة لا تقل عن مهارة الطبيب الذى يشرط القروح. لهذا فإن الذين يهيجون القروح، وعن خبث، قد نالوا من أيوب ـ عن حق ـ لقب «أطباء بطالون» (١٣: ٤).

إذ سيصير أمراً مؤذياً فى عاصفة هكذا هائجة أن يبرهن الإنسان على سوء النية بغيرته ممن هو مطروح على الأرض، فيدفع إلى بلايا لا تعد، من هو جدير بالشفقة. ولاحظ كيف أن كلماتهم لم تكن فقط عادمة من التعزية، بل توعز أيضاً حتى بيأس عميق وتتحول ملياً إلى أحاديث توجيه الاتهامات. لهذا أيضاً قيل «لا تضف تعباً للنفس التى فى حالة ضيق» (سيراخ٤: ٣). لكن لننظر إلى ما قاله أليفاز ولنحترس ألا نقتدى به. فماذا قال؟

أليفاز يوبخ أيوب بأنه أخطأ فى كلماته

٢- «هل تحدثت كثيراً وأنت فى الألم[1]؟»

ويمكن أن يعنى الكتاب الخطية بكلمة الألم، فهذا ما قاله (المرنم) «تحت لسانه مشقة وإثم» (مز ١٠: ٧). إن أليفاز لم يقل له «هل اقترفت عملاً رديئاً؟ بل قال: هل تحدثت؟ إذ أن بهاء حياته كان يشع فى كل موضع وكان له عدد كبير من الناس يشهدون لفضيلته،

(١) ١- إن كلمة ألم وكلمة إثم التى ستجيء فى أول شاهد تالى (مز٧:١٠) جاءت فى النص الفرنسى بكلمة واحدة، ونفس هذا المعنى تقريباً يرد فى بستان الرهبان حين يقال فيه «ألم الزنا، ألم الكبرياء.

فقال له أليفاز «لا تقل أن أفعالك جميلة وحسنة، لأنه يحدث أحياناً أن الخطأ يكون فى الكلام (وليس فى الأفعال).

لكن لاحظ فى هذا التعبير «هل تحدثت كثيراً» أن التردد وعدم التيقن لا يأتى من تواضعه، بل من كون أليفاز لم يستطع أن يمسك عليه (حرفياً يقنعه) خطأ واضحاً.

«عنف كلماتك»

فماذا قال أيوب (من خطأ)؟ إنه تمنى أن يموت وينطلق من الحياة الحاضرة. هل هو قال: لماذا بالرغم من برى وفضائلى العظيمة أجوز مثل هذه البلايا؟ لا بل هو قال: كنت أريد أن أموت مع المنافقين ومع خدمى ومع الأجنة السقط وأنال نفس مصير المنافقين. إنه لم يقل: أنا لى مثل هذه الصفات وذو شأن عظيم.

هل أيوب عزى الآخرين ولم يستطع أن يعزى نفسه؟

٣- «لأنه إن كنت أنت أرشدت كثيرين وشددت أيادى الضعفاء وأقمت بكلامك الذين تعثروا وثبّت الركب المرتعشة» (٤: ٣، ٤).

لاحظ أنه إلى الآن يتحدث عن المعونة والمساعدة التى تجلبهما كلماته، مُظهراً أن هذا أمر لا يمكن التغاضى عنه. لأنه لو قال: لو أنك قد عضدت الآخرين بأموالك، كيف لا يمكنك أن تشدد نفسك؟ لكان يمكن اعتبار حالة فقره. لكنه قال: إن كنت بالكلمات (فقط) شددت كثيرين وأقمت عديداً من الذين كانوا فى البلايا، فكيف صار العلاج بلا فاعلية فى حالتك؟ أنت الذى حللت مشاكل الآخرين بكلماتك المشجعة والناصحة، كيف لم تستفد بطريقة الشفاء التى لك فيما يختص ببلاياك؟

أليفاز يقول: خوف وآمال[1]

٤- "**لكن الآن إن أدركك الألم (أى بلية) ومسك، صرت مضطرباً**" (٤: ٥).

ماذا يعنى تعبير «صرت مضطرباً»؟

يعنى انزعجت وانقلب حالك وأُصبت بالدوار واشتهيت الموت ولم تعد تضبط نفسك.

---

(١) ٢- يقصد خوفه من البلايا التى يتوقعها فى المستقبل (٣: ٢٥)، وآماله فى موت يهرب به منها.

٥- "**أليس خوفك أحمقاً كما رجاؤك وطريقك الفاسد؟**" (٤: ٦).

إنه قال: حقاً إن كلماتك حمقاء إن كنت بعد أن ساعدت آخرين، أنت نفسك لم تستطع مساعدة نفسك ولم تعطِ نفسك النصائح التى قد نصحت بها آخرين، ألا يتضح من هذا أنك خال من كل نوع من الفضيلة؟ لأنه إن لم يستطع الإنسان أن يكون نافعاً لنفسه، فكيف يمكنه أن ينفع الآخرين؟ بهذا سعى أليفاز لأن يلقى ظلال الشك على مجد أعمال أيوب الفاضلة فى السابق، وهذا أيضاً فى ظنى هو فكر أليفاز عن عبارة «هل تحدثت كثيراً وأنت فى الألم؟»، أي، ألم تتكلم كثيراً فى ألم الآخرين.

«من يستطيع أن يحتمل عنف كلماتك؟» تلك التى تتباهى بها دائماً. لكن الآن هوذا قد ضاع كبرياء كلامك.

فى الحقيقة كان طبيعياً للبار أن يتكلم عن بعض أعماله الصالحة السابقة كما الآن، حيث هو ساقط فى البؤس، لهذا السبب أضاف قوله «فى الألم». فمن يمكنه بالحق أن يسرد هذا أو يحتمل افتخارك الباطل؟ لكن افتخارك قد ضاع الآن. ليتك قد ساعدت آخرين!

وانظر كيف أنه تباهى فهو لم يتكلم عن الأعمال الصالحة التى عملها عندما كان غنياً، بل قال إن كان قد أسدى خدمات لبعض الأشخاص بكلماته، فهذا على الأقل ما يلومه عليه.

«أليس خوفك أحمقاً كما رجاؤك وطريقك الفاسد؟»

أى النية التى تصرفت بها هكذا. إنه يريد أن يقول: سواء أنت لم تتصرف أيضاً هكذا، أو أن حياتك ممتلئة بالإثم، أو أنت لم تخف الله بنية مستقيمة، لكن كل هذا كانته الكلمات «رجاؤك كان أحمقاً».

فلماذا قال له كلماتك كانت ممتلئة بالحمق؟ أية ضرورة دعت لهذا؟ ألم يكن له بعد أن ساعد كثيرين مراراً، أن يقع هو فى البلايا عينها؟ إنه قال: هذا لم يكن ممكناً. لذلك هو أضاف أيضاً سبباً عديم القيمة. وحيث أن أيوب قال «الخوف الذى خشيته جاء عليّ» (٣: ٢٥)، لذلك قال له أليفاز «هذا الخوف كان أحمقاً، ورجاؤك أتى من فساد قلبك، لأنه

لو كانت أفعالك خالصة (نقية) وحياتك طاهرة، فلن تخشى هذه الشرور، بحيث أنك لن تقنع نفسك بأن تكون لك حياة أثيمة وفاسدة، لأنه سيكون من الحمق، عندما تكون صالحاً ومستقيماً أن تكون لك مثل هذه المخاوف ومثل هذه الآمال، لأنك قد صرفت حياتك فى إصلاح بلايا الآخرين، فكيف يمكنك أن تقول « الخوف الذى كنت أخشاه جاء عليّ؟» والذى جعلك تخاف مثل هذه الشرور هو «فساد طريقك».

انظر كيف يهاجمه أليفاز ويتشاجر معه ويبذل كل جهده لكى يُظهر أن فساده هو الذى جعله يستحق هذه الأتعاب.

من كان باراً وهلك؟

٦- **قال أليفاز لأيوب "ذكّر نفسك". إنه لم يقل له "انظر" بل قال له "ذكّر نفسك من كان باراً وهلك؟"** (٤: ٧).

أى استعد تذكر الماضى بسرعة، تجد أن هذا الأمر واضح وأكيد. وحيث أن هذا التعليل كان سهل دحضه، فلذلك قدم أليفاز التعليل الثانى الذى يبدو أنه لا يُعارض.

٧- **"أو متى أُبيد المستقيمون تماماً؟"** (تابع ٤: ٧).

إنه يسعى لأن يضربه خلال بلية فقده لأولاده.

حسناً فليكن: يمكنك القول أن آخرين قد جازوا بلايا، لكن تلك البلايا لم تدرك نسلهم، ولم يرجعوا إلى بدء حياتهم بأن يصيروا بدون نسل (مثلك). وحيث أن التعليل الأول قد دُحض، فإنه قدم الثانى الذى كان يبدو متيناً والذى يذكّره ببليته الشخصية.

٨- **وقال أليفاز "كما قد رأيت ما يحدث لمن يحرثون إثماً"** (٤: ٨).

أى هذا هو الشر الذى يصيب من يقترفون الإثم. من هلك مثل الذين نراهم هكذا؟ أو «من كان باراً وهلك؟».

"كما قد رأيت أن الحارثين إثماً والزارعين شقاوة يحصدونها"

(تابع ٤: ٨).

إن أليفاز معه حق فى التكلم عن الزرع والحرث. إذ لكى لا يقال: فلماذا لم يهلكوا فى الحال؟ قال «ولا حتى الزرع ينضج (حرفياً ينتج) فى الحال».

٩- "**هذا بتدبير من الله الذى يهلكهم وبريح أنفه يفنيهم**" (٤: ٩).

لاحظ أيضاً شيئاً آخر مرعباً. إنه قال له: لا تظن أن الشياطين الأردياء أو الناس الممتلئين خبثاً هم المسئولون عما حدث (لك)، بل الله نفسه هو الذى يعاقبك، لذلك لا مفر من أن العقوبة عادلة.

لا استثناء لقوانين الطبيعة

١٠- "**هل انقرضت زمجرة الأسد وصوت اللبوة ومكر الحية؟**" (٤: ١٠).

لنفحص ما يقوله. إنه قال أن الأمور الطبيعية لا يمكن أن تحدث إلا بحسب ما تنظمه الطبيعة، بالمثل هنا ـ على سبيل المثال ـ فيما يختص بموت الأشرار وهناء الأبرار. هل رأيت مسار الطبيعة قد اختل بالصدفة؟ كقول النبى من جهة الأشياء المستحيلة: «هل يسير اثنان معاً عن لم يتواعدا؟ هل يزمجر الأسد فى الوعر وليس له فريسة. هل يعطى شبل الأسد زئيره من خدره إن لم يخطف؟ هل يسقط عصفور فى فخ الأرض وليس له شرك؟ هل يُرفع فخ عن الأرض وهو لم يمسك شيئاً؟ (عا٣:٣-٥)[١] أو يقول أيضاً «هل تركض الخيل على الصخر؟ وهل تبقى صامتة وسط الإناث (من نوعها)؟» (عا ٦: ١٢). ولاحظ أنه ذكر أموراً طبيعية، أى لا شيء جديد أو خارق، بل (ذكر) قوانين تنظم كل شيء ولا شيء تغيّر منها. لأنه إن كان باقياً ما يختص بالحيوانات المفترسة، فكم بالأولى ما يختص بنا. إن كان لا يمكن ضبط واحتواء زمجرة الأسد، فلا يمكن بالأولى منع البار من أن تكون له صراحة شجاعة: لأنه لا يوافق أيضاً طبيعة الحيوان المفترس أن يمتلك القوة (للزمجرة والتعبير عن نفسه) ولا يكون كذلك للبار أن يمتلك القوة والقدرة (ذاتها). وفى الواقع أنه أسهل بكثير للأسد أن يصير جباناً من أن يخضع البار لكل ريح بسهولة.

١١- "**هل الليث هالك لعدم الفريسة وهل تبددت أشبال الأسود عن بعضها البعض؟**" (٤: ١١).

يُقال أن الليث لا يمكنه أن يغتذى بنفسه، ولكن هل هلك مع هذا؟ لا على الإطلاق.

---

(١) ٣- ملحوظة: باستمرار فيما يختص باقتباسات العهد القديم التى هى من السبعينية سأسجل النص البيروتى عندما لا يوجد فرق يُذكر فى المعنيين.

والأمر المدهش والشاذ هو أن هذا الحيوان يظل عائشاً (ولو) دون غذاء، لأنه يتمتع بحماية سماوية. فكيف يمكن للعناية الإلهية التى تضطلع بهذه المهمات دون توقف أن تلاشى القوانين التى تختص بالعدل؟ لننظر! هل الله يعتنى جداً بالحيوانات ويغفل البشر؟ ثم إنه ذكر نوعاً من الحيوانات هى قطعاً غير مفيدة لجنسنا، بل إنها على العكس مؤذية وقاتلة أيضاً. إذاً فالذى لا يغير شيئاً فيما يختص بالحيوانات المؤذية، والذى يحفظ فى حالة جيدة من هم خطرون علينا رغم أن الطبيعة لا تقدم لهم غذاءهم، فكم بالأولى جداً فيما يختص (بالعناية) بالبشر، هل سيكون له كل هذا الاعتناء بشبل الأسد ولا اهتمام له بالبار؟

«هل تبددت أشبال الأسود عن بعضها البعض؟»

إنه شيء طبيعى أيضاً أن تتحد هى فى جماعات. ولو أن هذا أمر يسير، مع ذلك فهذا لا يبطله الله أيضاً ويعضد ما تقيمه الطبيعة. فانظر وتأمل فيما يختص بحيوان مفترس!

١٢- **"لكن لو أن كلماتك قد احتوت كلمة صدق، لما حلّت عليك هذه البلايا"** (٤: ١٢).

وفى هذا الوضع الراهن يريد أليفاز – فى ظنى – أن يلّمح إلى أن أيوب كثيراً ما نطق بمثل هذا الكلام، ربما ليدفع الآخرين إلى الغيرة وربما بنية أخرى غيرها.

افهموا هذا يا من تضعون الآن أسئلة شبيهة ويا من هم على شاكلتهم، لأنه إن كان أليفاز قد تكلم هكذا فى هذه الظروف دون أن يحصل على المغفرة، فكم بالأولى نحن الذين نتمسك بآراء شبيهة بعد برهان الأحداث والذين يمكننا أن نعطى أسباباً عديدة لما حدث لأيوب مثلما ظنوا هم أنهم قد وجدوا فرصة للومه ومهاجمته دون أن ينتظروا برهان الأحداث.

ألم ينذرك الله فى الأحلام؟

١٣- **قال أليفاز "ألم تتلق أُذنك إعلانات غريبة؟"** (٤: ١٢).

وما قاله يعنى إما «ألم يصادفك أبداً أية رؤية فى نومك وهل لم تضطرب؟» أو ما قاله يعنى «ألم تسمع مثل هذه الأحداث؟». وقال له أليفاز:هل أنا أكذب؟ ألم تتلق أذنك إعلانات غريبة؟ لأن الله يلقى بالرعب والاضطراب فينا، ليس فقط أثناء النهار، بل أيضاً

فى الرؤى الليلية، وأنا من جهتى لى اختبارات كثيرة من هذا الصنف: فالله يعلم أن الأحلام كافية للإزعاج وفرض العقوبة. وإذ يمكن معارضة منطقه بالقول أنه يوجد كثير من الناس الأثمة لا يقاسون شيئاً شبيهاً بهذا أبداً، فيقول أليفاز: حسناً! فإنهم يعانون فى الأحلام. وحيث أنك لم تر الله ولا شعرت بيده موضوعة عليك، فلا تندهش لأنك عوقبت بطريقة غير مرئية، أما بالنسبة لى فقد انزعجت مراراً فى أحلام دون أن أدرك ما حدث لى سوى «أننى سمعت صوتاً منخفضاً» (٤: ١٦). وهذا فقط يكفى للإزعاج بحسب ما يستطيع الله أن يعمل وأنت لا تندهش.

وإن قال كل هذا فلكى يُظهر أن «الغضب آت منه» (انظر سيراخ ١٦: ١١). لكن أنا اعتقد أنه يريد أن يلّمح لشيء آخر. وحيث أن أيوب قد أمضى كل حياته الأولى فى الهدوء، فماذا يريد أن يقول؟ كيف تعلم (يا أيوب) إن كنت قد انزعجت فى الأحلام، وإن كنت قد أُعطيت إنذارات لتخيفك وتجعلك تحترس؟ لكن أنت لم تأخذ حذرك، أما أنا فقد جزت اختبارات كثيرة من هذا الصنف. ألا تعتقد أن الحياة غير محتملة لمن هم عادة منزعجين ومضطربين (فى أحلام نومهم) حتى لو كانوا يعيشون سعداء فى النهار؟ لأن احتمال المشقات أثناء النهار أسهل كثيراً فى رأيى من رؤية ميناء راحة الإنسان (أى النوم) قد أُغلق (بسبب عواصف الأحلام المزعجة).

إن كان المسافر الذى يجاهد كل النهار ضد حرارة الشمس والتعب، يريد أن ينزل فى فندق ليستريح، فإذا به يرى نفسه عاجزاً عن الراحة لسبب الأحلام والأصوات الخيالية، ألا تعتقد أنه يعانى عذاباً أسوأ من الذى جازه على مدى النهار؟

١٤- قال أليفاز "إن الله يثير مخاوف غير عادية، هاجس الليل، رعبة تسقط على الناس. أمسكتنى رجفة خوف ورعشة هزّت كيانى (حرفياً عظامي)، وريح مست وجهى وشعري، وجسدى اقشعرا خوفاً، فقمت ولم أر شيئاً ونظرت لكن لم يظهر أمام عينى شكل واضح: وسمعت فقط صوتاً منخفضاً" (٤: ١٤، ١٦).

ألم تسمع (يا أيوب) كلاماً يقول إن كثير من الناس قد عوقبوا بهذه الطريقة؟

بعد ذلك لكى يجعل أليفاز روايته جديرة بالتصديق أعطى نفسه مثالاً بقوله أنه دون أية إنذارات وأى ظهور، هبط على ذهنه فجأة انزعاج وخوف، وهذا أيضاً ما يقوله الحكيم بخصوص تلك الظلمة قائلاً أن خيالاً ظهر له فى الليل فى هذه الظلمة (انظر حكمة سليمان ١٧)، وهذا كافٍ لعقابهم. ثم من جديد يكشف ويعبر من (المثال) العام إلى الخاص. ولاحظ فإن أليفاز إذ رأى أن صيت البار يتعارض مع كلماته، فإنه أراد تدميره بحجج كثيرة.

حتى الملائكة ليسوا أطهاراً أمام الله

١٥- قال أليفاز "فماذا! هل المائت سيصير طاهراً أمام الله أم أعماله ستجعله رجلاً بلا لوم؟" (٤: ١٧).

شخصية أخرى فى هذا السفر قالت «لأنه كيف يتبرر مائت» (٤: ٢٥)، فلا نأخذ أيها الأحباء هذه الآراء (بطريقة مطلقة)، وهو فعل حسناً بإضافته (أمام الرب)، كما قال أيضاً النبى «هل يتبرر قدامك حي؟» (مز ١٤٣: ٢)، وغيره قال «إن كنت تراقب الآثام يا رب فمن يقف؟» (مز ١٣٠: ٣)، لأن صلاحنا هو خبث إن قورن بصلاحه وقس على هذا كل شيء آخر.

«هل أعماله ستجعله رجلاً بلا لوم؟»

انظر أنه يناقض الله. وحيث أن الله قد قال «إنه رجل بلا لوم» (١: ٢)، فإنه يناقض الله بقوله إن أيوب لم يكن «بلا لوم».

١٦- إن الله يتشدد فى حكمه على أصدقائه. "إن كان لا يأمن عبيده وإن كان يظن فى ملائكته بشيء من عدم الكمال.." (٤: ١٨)[1].

فى رأيى أنه يتحدث هنا عن القوات السماوية. فماذا يقال عن البشر إن كان الملائكة أنفسهم ملومين؟ لكن ماذا يعنى تعبير «لا يأتمنهم»؟ (أى) كما يفعل مع الأبرار غير

(١) ٤- ورد هذا العدد فى النص البيروتى هكذا «هوذا عبيده لا يأتمنهم وإلى ملائكته ينسب حماقة»، وعلينا أن نشدد على أن هذا الكلام وإن جاء فى الكتاب لكن لم يقله أليفاز بوحى من الروح القدس، فالله فى حقيقة الأمر يعلن سره لعبيده الأنبياء (عا ٣: ٧)، وخلق الملائكة كاملين فى الحدود التى أرادها لهم، ولذلك الذى قال عن كل ما خلقه أنه حسن أو حسن جداً، لا يمكن أن ينسب الحماقة للملائكة الأطهار.

الملومين وغير القادرين على الخطأ. ويبدو لى (من هذا) أن طبيعتهم قادرة على الإتيان بدوافع متعارضة.

ماذا يعنى بقوله «يظن بعدم الكمال»؟

إنه قال: إنه لا يحتمل أن طبيعتهم تتضمن الكمال، وأليفاز معه حق فى قوله «أنه يظن» لكى لا تجعلهم عظمة طبيعتهم يتكبرون ولكى لا يتوقفوا عن الخضوع لله. وهذا فى الواقع ما حدث للبشر، فمع أن طبيعة الإنسان لم تتضمن الخلود إلا أنه مع ذلك لم يتورع عن التكبر، لكن إن كان خالداً بطبعه فماذا كان سيحدث؟

وقال أليفاز (أيضاً) «السموات غير طاهرة أمامه» (١٥: ١٥)، أى أن طهارة هذا الكيان العظيم الطبيعية هى نجاسة أمامه، ليس بأن السموات تمتلك قوة الإرادة والتصرف، بل لأن النص يقارن بين الطهارة التى للطبيعة إلى طهارة الكيان الإلهى.

فكم بالأولى البشر

١٧- قال أليفاز: "تعساء الذين يعيشون فى بيوت من طين[١]" (٤: ١٩).

فماذا ينبغى أن يقول عن البشر؟ أولاً فإنه يوجه ضربة لطبيعتهم بدءً من بيتهم، ثم أنه يحط من قدرها أيضاً من مصدر آخر. إنه لم يكتف بالقول أننا من طين (انظر ١٣: ٢١)، وكان ينبغى أيضاً تحديد أى نوع من الطين: من التراب الذى هو أكثر وضاعة والذى منه أُشتق اسم طبيعتنا[٢]. هذا صدق تماماً إذا لم يقل فيما يختص بنا إن كان تركيب طبيعتنا مسئولاً عن أخطائنا، بالمثل بالنسبة للملائكة يوجد شيء يخصهم، يجعل الله يظن فيهم شيئاً يوضِّعهم ويخفضهم، وعلى ذلك فيما يختص بنا أيضاً يوجد ما «يظنه الله» مُريداً إظهار حكمته بتعبير «أنه ظن» ليس للتشديد على أن الله يبذل جهداً (فى التفكر)، بل هو بهذا أظهر فكرة عبقرية وفذّة.

١٨- بعد ذلك جعل أليفاز كلامه ممهداً أكثر لكى لا يمّل (حرفياً يتعب) أيوب فقال «نحن أيضاً مكونين من نفس الطين» (٤: ١٩)، ثم بطريقة أخرى يُظهر أيضاً قوة الله وضعفنا بقوله «إنه يسحقهم (حرفياً يضربهم) مثل ديدان الأرض» (تابع ١٩:٤)، أى أنه سهل عليه سحق حتى أعمق أجزاء كياننا.

---

(١) ٥- يقصد بيت خيمتنا الأرضي، أى الجسد كما ورد فى (٢كو٥:١).

(٢) ٦- آدم بالعبرية مشتق من الأديم الذى هو تراب الأرض.

قال أليفاز "بين الصباح والمساء يحطمهم" (٤: ٢٠).

أى يكفى يوم (لإنجاز هذا)، وكل هذا يحدث بسرعة (حرفياً بدون توقف).

١٩- **"ولا يستطيعون أن يجدوا مخرجاً لأنفسهم ويهلكون"**

(تابع ٤: ٢٠).

أى لا أحد يستطيع أن يقوم ضد الله ونحن لا نستطيع أن ننجد أنفسنا بالأولى بسبب سمو الطبيعة الإلهية على طبيعتنا التى تتسم بكثرة البلايا (المعرضة لها). «لأن الذى تقرره اليد الإلهية من يرده؟» (إش ١٤: ٢٠).

"إنه ينفخ فيهم فيموتون ويهلكون بلا حكمة" (٤:٢١).

لا أحد أكثر قوة من الحكيم (انظر أم٢٤: ٥). هذه هى الحالة البشرية التى تتيح لله أن يطّوعهم بسهولة. لذلك قبل كل شىء فإن طبيعتهم أيضاً تجعل قيادتهم سهلة، وبالتالى أيضاً ضلالهم وإثمهم.

الإصحاح الخامس

بقية حديث أليفاز

الخاطئ هو الذى يلاشيه الله

١- قال أليفاز "ادع للنجدة لترى إن كان أحد سيصغى إليك وهل يلاحظك أحد من الملائكة القديسين" (٥: ١).

وبهذا أظهر تفوق الله. إذ كان من الطبيعى أن أيوب يفحص موقفه بدءً من براهين عقلية، ناظراً لما قاله أليفاز (فيرد قائلاً): لا تتكلم هكذا. إن الله عظيم، وصنع أشياء كثيرة نجهلها. وعظيمة هى وضاعتنا ونحن نربض فى جزء ما بعيداً عنه. وماذا يقال عنه إن كان لا يمكن قول نفس الشىء على عبيده (أى نحن نجهل أيضاً عبيده الملائكة). بالتالى فإنه صنع حسناً ما فعله.

٢- وقال أليفاز "وعلى ذلك فإن الأحمق يلاشيه غضبه والضال (عن الحق) تهلكه غيرته" (٥:٢).

لكن الحكيم يفحص كل هذا بعنايةٍ، بينما الأحمق لا يرى فيه شيئاً. بدون شك هذا يريد القول أن الله «هو الذى يلاشى الأحمق بغضبه وبغيرته (أى غيرة الله) يهلك الضال.

«غضبه يلاشى الحمقى»: يعنى فى رأيى يلاشى الخطاة.

إن أليفاز قال: إن الأحمق هو الذى يلاشيه غضبه، بالتالى لن يلاشى أبداً من هو عاقل، والغضب لن يجد له موضعاً فى هذه الحالة. لكن الكتاب يقول فى موضع آخر: «الغضب يهلك أيضاً العاقلين» (أم١٥: ١)، فكم بالأولى جداً فى حالة الأحمق.

٣- "وأنا من جهتى رأيت أغبياء يتأصلون لكن مسكنهم اُبتلع فى الحال" (٥: ٣).

لاحظ كيف يأخذ أليفاز محاذيره الخطابية، (فيجيب): لا تقل لى «أحياناً يكون لهم أولاد». نعم، لكن ليس بطريقة دائمة. لأنه فى الواقع كان من الطبيعى القول: فكيف كان أيوب يستمتع بهذه الخيرات العظيمة لو كان خاطئاً؟

فيرد أليفاز قائلاً: نعم «أنا من جهتى رأيت أغبياء يتأصلون».

ها أنت (أيها القارئ) ترى أنه بكلمة الأغبياء يقصد الخطاة، والتدبير الإلهى يُراعى ألا يتلاشى الخطاة فى الحال، بل تُعطى لهم مهلة لكى يتوبوا أو لكى لا يُجبر الآخرون على عمل الخير قسراً.

٤- **وقال أليفاز "بنوه محرومون من السلام ويُستهزأ بهم لدى أبواب من هم دونهم"** (٥: ٤).

أى أن يتشتتوا ويتبددوا. «ولا يوجد من ينقذهم» (تابع ٥: ٤).

٥- **"لأن الذى حصدوه أكله الأبرار، أما هم فلن ينجون من بلاياهم وتنفذ قوتهم"** (٥: ٥).

أى لتتبدد قوتهم، وفى نفس الوقت يكونوا هدفاً للشماتة.

البلية هى أمر طبيعى للإنسان

٦- **"بالتأكيد أن البلية لا تخرج من التراب والجبال لا تزهر المشقة"** (٥: ٦).

وأليفاز يقول: إن الإنسان يحمل البلية فى داخله.

لاحظ (أيها القارئ) كيف أن أليفاز مُجبر أن يُظهر من جديد أن كلماته متطابقة مع الطبيعة لكى لا يمكن انتقاد حديثه فقال: إن الطبيعة البشرية – فى الواقع – تفعل هكذا «إن الأرض لم تطعم من هو أكثر بؤساً وشفقة من الإنسان» أى نحن لا ينبغى أن نندهش أو نُفاجأ، فنحن قد ولدنا للألم والمشقة. وهذا أيضاً ما قاله النبى «غالبية أيام سنينا هى تعب وبلية» (مز ٩٠: ١٠)، ويعقوب من جهته يقول «أيام سنى حياتى قليلة ورديئة» (تك ٤٧: ٩).

٧- **ويتابع أليفاز كلامه فيقول "لكن الإنسان مولود للمشقة"** (٥: ٧).

أى أن هذا الأمر مغروس فى طبيعتنا ويستحيل الهروب من البلية. إن أليفاز لا يريد الاعتراض من جديد على برّ أيوب، ويقول: إنه بار لكن الطبيعة البشرية قد تطبعت على معاناة البلايا.

لاحظ (أيها القارئ) أن أليفاز ابتدأ الكلام عن الطبيعة البشرية ليؤكد أن أيوب لم يكن بلا لوم. وقال أليفاز «تعساء هم الذين يعيشون فى بيوت من طين» (٤: ١٩)، وأيضاً

قال: «فماذا! هل سيكون المائت طاهراً أمام الله؟» (٤: ١٧)، أو أيضاً: إذ أنه من المستحيل مغادرة هذه الحياة دون آلام، فقال «الإنسان مولود للمشقة» (٥: ٧).

واضح ـ فى الحقيقة ـ أنه ليس الكائنات العديمة الإحساس والحيوانات عديمة العقل هى التى ستشعر بالإحباط، بل هذا سيوجد لدى الإنسان (فقط)، ولاحظ طبيعتنا المشتركة، وستجد أن الأمر هكذا.

٨- **وقال أليفاز "إن النسور الصغيرة تطير نحو الأعالى"** (تابع٥: ٧).

أى أنها بلا هم أو اهتمامات. فماذا، هل هى تستمع برعاية عظيمة جداً (أكثر من الإنسان)؟ حاشا لله! إذ الأرض والجبال لم يُعطيا إلا عدم الإحساس كصفات لهم، ويبدو لى أن هذا الطائر أيضاً عديم الإحساس لأنه شريب دم وآكل لحم.

أنا أطلب إلى الله بدلاً منك

٩- **"ولكنى طلبت الرب ودعوت القدير"** (٥: ٨).

وقال أليفاز: عندما وجدت نفسى فى هذا الموقف، لم يشابه اتكالى أبداً اتكالك، لكنى انتظرت معترفاً أن الله هو الرب، لأنك أنت اغتظت، أما أنا فانتظرتُ الله دون أن أتوقف عن الدعاء ودون أن أفقد الرجاء، فهو دائماً قادر على تبديل وتغيير الظروف. إننى وجدت نفسى وسط البلايا، لكن الله يستطيع أيضاً أن يقيمنى وسط الخيرات تماماً كما عبّرنى من موقفى السابق إلى الحالي.

«القدير» أى ضابط كل الظروف والأماكن والأشياء.

ثم بسط قوته التى جعلها على كل نوع من الكائنات التى تكلم عنها أولاً بالجنس وبعد ذلك بالنوع (ربما يقصد هنا ما جاء فى سفر التكوين).

لأن الله صانع عجائب

١٠- **"هو الفاعل عظائم لا تُفحص وعجائب لا تُعد. المنزل مطراً على وجه الأرض والمرسل المياه على البراري"** (٥:٩، ١٠).

وهذا (المطر هو) أولاً دليل على جوده، ثانياً يُستخدم ليس فقط لدوام حياتنا، بل أيضاً هو علامة على تغير فى الموقف.

١١- **"الذى يرفع المتواضعين ويقيم الموتى بإنقاذهم"** (٥: ١١).

وهذا المثال عندما يُنظر إليه من جهتيه يمثل وجهاً منظوراً ووجهاً غير منظور، لكنه مثال مناسب تماماً.

١٢- **"هو المبطل أفكار المحتالين"** (١٢:٥).

أى الذى يغير ويحوّل خطط المحتالين «ولن تدرك أيديهم أبداً الحقيقة (التى يريدونها من وراء حيلهم)» (تابع ١٢:٥).

وأليفاز يقول إنه فى حالة من لا يدركون الحقيقة فهناك أيضاً عمل القوة والحكمة الإلهية بألا يستطيعوا تحقيق مأربهم وبأن يجعلهم حمق: لأنه أمر يخص الله تماماً أنه يستطيع الانتصار على نفسٍ محتالة أكثر من الجسد القوي.

٣١- **"الآخذ الحكماء بحيلتهم"** (٥: ١٣).

أى بالانتصار والسيادة عليهم «ويقلب مشاريع الماكرين» (تابع ٥: ١٣)، أى يجعلهم عاجزين.

إن أليفاز قد عمل هذه التلميحات ضد أيوب كما لو كان أيوب يتباهى ويتشامخ، ثم أشار هو إلى أية بلايا شمله الله بها.

١٤- **قال أليفاز "فى النهار يصادفون ظلاماً وفى الظهيرة يتحسسون (طريقهم) كما أثناء الليل!"** (٥: ١٤).

وأضاف قوله أن الله يعمل العكس عندما يختص الأمر بالضعفاء.

"ويجعل البائس يفلت من يد القوى، ويجعل للذليل رجاء ويجعل فم الظالم يستد!" (١٥:٥، ١٦).

وهذا ما يعمله الله لكى، ليس فقط يترجى البائس السعادة، بل أيضاً لكى لا يتكبر القوى. وحيث أنه قال فى السابق «ادع للنجدة لترى إن كان يوجد شىء يفلت من العناية الإلهية بحجة أنه لن يسمع لك، فإنه قال: لا حتى وإن لم يُرى الله فهو مع ذلك يعمل أشياء عديدة. وأليفاز مهتم تماماً باستخلاص النتيجة بأن يعطى حديثه دفعة من جهة أيوب، لكى يمكنه تحطيمه، لأن لو كان الله معتاداً على رفع البؤساء، لكنه يخفض الأقوياء ويُربك الماكرين.

ثم لكى لا يجعل حديثه مؤلماً ولكى لا يهاجمه، أضاف قوله أن طريقة العقوبة ليست هى فقط عبارة عن معاقبة الأردياء، بل توجد حالات تتحول فيها العقوبة لصالح من يُراد تقويمهم، أو بالأحرى هو لم يقل هذا، لكن الذين هم أسوأ الأردياء، هؤلاء بعقابهم سيجنون منفعة.

عقوبة الله مفيدة للإنسان

١٥- قال أليفاز "طوبى لرجل يؤدبه الله على الأرض فلا ترفض تأديب القدير" (٥: ١٧).

فإن كانوا ينالون عفو (الله) حارسهم، فهذا لأنهم كابدوا مثل هذه التجارب. ثم يتحدث عن قوة الله ليعبر إلى الموقف المضاد قائلاً إن الله يعمل معنا خيراً بعقوبته (لنا)، وفى الحال يغير الألم (أى يلاشيه) بمجرد أن يعطى (الألم) تأثيره (المرجو منه).

ولكى لا يقال: بدون شك الدواء مفيد، لكنه أيضاً مرّ، ولن أستطيع أن احتمله، فإنه بسبب هذا أضاف قوله: نعم، لكنه ليس مستمراً، بل بمجرد أن يأتى الدواء بتأثيره، فإن الله يرفعه. أيسمح الله بأنك تحتاج لطبيب آخر؟ فتأمل أنه هو نفسه يعتنى بك. ومن الواضح أنه الآن أيضاً يعتنى بك ويجعلك تتألم.

١٦- "لأنه هو يجرح وهو أيضاً يعصب، يضرب ويداه تشفيان" (٥: ١٨).

إن كان الله هو الذى يضع نهاية للبلايا ويحولها إلى ما يضادها ويجعل الإنسان ينعم بسلام عميق، فهذا لا يفعله بفكر مختلف، إنما فى الواقع العملى هو الذى يقود (فى كلا الأمرين).

١٧- "فى ست شدائد ينجيك وفى السابعة لن يدركك سوء" (٥: ١٩).

أى أنه لا يتصرف دائماً بنفس الطريقة، لكنه يسمح أولاً بأن تجوز الألم وبعد ذلك لا يسمح لك حتى أن تذوقه.

١٨- "فى وقت المجاعة ينتشلك من الموت وفى وقت الحرب ينجيك من بطش السيف ويحميك من سوط اللسان ولن يكون لك أبداً شيئاً تخافه ن البلايا التى تهاجمك" (٥: ٢٠، ٢١).

إن هذا امتياز ليس بقليل بل هو عظيم القدر.

«لا شىء من الخير يُرجى من ثرثار» (انظر أم ٢: ١٢ بحسب النص)، لأنه لا شىء أسوأ من اللسان الذى ينطق بكل أنواع الغدر والوشايات: هذا هو الأكثر رعبة وإخافة من أى نوع من أنواع السيوف.

إنه قال «لن يكون لك أبداً شيء تخافه»، أي: ليس فقط لن تعانى من شيء، بل حتى لن يكون لك شيء لتخافه (بالمرة) «وعند مجيء البلية ستضحك على الأردياء والأثمة» (تابع ٥: ٢١). وهذا أيضاً أفضل: أنه هو نفسه ليس فقط سيكون فى مأمن، بل إنه سيضحك على الآخرين. وما لزوم التكلم عن البشر؟ بل إن الحيوانات المفترسة لن تكون مخيفة لك.

١٩- "لن تخشى وحوش الأرض، لأن الحيوانات المفترسة ستحيا فى سلام معك، وستكون خيمتك آمنة ويكون بهاؤك محمياً دون أى خوف من التعثر، وسيكون بيتك فى سلام" (٥: ٢٢- ٢٤).

أى بيتك أيضاً سينعم بسلام عميق، ولا شيء فى الواقع يساوى الفرحة من رؤية السلام يسود فى بيتك. إذ ما هى الفائدة فى أن يكون الإنسان خالياً من الحروب الخارجية بينما هو ممتلئ متاعب من الداخل!

٢٠- قال أليفاز "إن تموين خيمتك لن ينقصه شيء بالتأكيد" (٥: ٢٤).

أى لن يعوزه شيء ولن يكون معرضاً للمشقة أو البلية. وبالتالى فإن السعادة ستمتد إلى نسلك أيضاً والموت لن يهبط عليك قبل الأوان.

٢١- "فتعلم أن زرعك (أى نسلك) كثير، وذريتك كعشب الأرض. تدخل المدفن فى شيخوخة كرفع الكدس (أى رفع أكوام القمح إلى الجرن) فى أوانه. وانظر هذا ما قد اكتشفناه وهذا ما سمعناه، أما أنت فتأمل فى ذاتك لترى إن كنت قد اقترفت إثماً ما" (٥: ٢٥- ٢٧).

لاحظ كيف أنه أهلك كل النفع من كل ما قيل ووجه لأيوب ضربة قاسية. كيف وبأية طريقة؟ بإظهاره أن أيوب لم يكن ضمن الذين نالوا إنذاراً أو حفظوا الرجاء. وعلى ذلك فما قاله طبّقه بالتأكيد على شخص أيوب.

لكن حديثه كان له صفة العمومية، لأنه قال هذا هو ما رأيناه وسمعناه. لكن إن لم يكن هذا ما حدث فى حالتك وإن بقيت فى بلاياك فأنت الذى يختص بك أن تعرف ضلالك.

الإصحاح السادس

رد أيوب

من يستطيع أن يدرك آلام أيوب

١- **"أجاب أيوب وقال: آه لو كان أحد يستطيع أن يضع السخط الذى عليّ فى الميزان، ويضع فى نفس الوقت أوجاعى مقابله، لأتضح أنها أكثر ثقلاً من رمل البحر"** (٦: ١- ٣).

إنها عادة عند من يعانون ألماً حاداً أن يرغبوا فى أن يعرف الحاضرون بكثير من التحديد عظم الأوجاع التى يعانون منها.

وهذا بالضبط ما قاله أيوب كما لو كان تحت صيغة صلاة: «لو كان أحد» عوضاً عن «أنا أستطيع..». وهو فى هذا النص دعا يأسه سخطاً، وهذه الطريقة فى الكلام توجد فى نصوص كثيرة فى الكتاب كما عندما قال «الذى أزعج الملوك..» (إش٢٣: ١١)، أى الذى أحزنهم وضايقهم.

وهذا ما يريد أن يقوله أيوب: أنتم تظهرون الحكمة فى بلايا آخرين غيركم، ولأنكم بعيدين عن بلاياى، فأنتم تعظوننى بكل هدوء.

إن هذه الملاحظة ترد على الكلمات التى قالوها سابقاً «أنت قد أرشدت كثيرين» (٤: ٣)، «أنت قد ثبت الركب المرتعشة» (٤: ٤)، «لكن الآن لما أدركك الوجع (البلية) اضطربت» (٤: ٥).

لماذا قال له «أنت قد اضطربت»؟

(قال أيوب): إننى أردت أن تصير بليتى واضحة، وأن تدركوا أنه لم يجوز أحد مثل هذه البلايا. إنما تأملوا أنتم سوء حظى. والذى كان من المفترض أن يهبنى الغفران هو الذى بالذات أوقعنى تحت الدينونة.

وقال أيوب (أيضاً): إن عظم بليتى ليس فقط لا تترافع لصالحى، وليس فقط لا تجعلنى أبدو جديراً بالشفقة، بل على العكس تديننى. إن من كان ينبغى أن يجعلنى محل شفقة هو الذى جعلنى مكروهاً ومداناً ولن أستطيع أن أنال الشفقة مهما قلت.

أما البلية التى نسبها أليفاز إلى الأثيم، والتى عارضه فيها بقوله: «ذكّر نفسك إن كان المستقيمون قد أُبيدوا تماماً» (٤: ٧)، هى عينها التى قالها البربر بخصوص بولس الطوباوى «هذا الإنسان قاتل لم يدعه العدل يحيا ولو نجا من البحر» (أع ٢٨: ٤).

إن البشر وعلى الأخص عامة الناس الذين يحكمون على الأحداث بطريقة ساذجة وبالمصادفة، لا يرتكنوا إلى أعمال الإنسان لكى يجلبوا حكمهم عليه، إنما يرتكنوا إلى العقوبة والمجازاة التى يعانيها. فلأن أليفاز قال «فمن هو المائت الذى يتطهر قدام الرب»؟ (٤: ١٧)، لذلك جزم أيوب بقوله: إننى لا أستطيع أن أجيب أو أقول أننى أعانى هذه البلايا المرعبة والعديدة دون أن أكون قد اقترفت أية خطية، لأن عقوباتى تتكلم ضدى. لكننى مع ذلك ألوم القدير، أى أعاتبه (حرفياً أناقضه).

سهام الرب اخترقتنى

٢- "لكن يبدو لى أن كلماتى عديمة القيمة، لأن سهام الرب فى جسدى وعنفها يشرب كل دمى وتنخسنى وفى كل مرة أبدأ فى التكلم" (٦: ٣، ٤).

فماذا يعنى هذا؟ إن كانت تنخسنى هكذا، فهذا ليس لمجرد أنها اخترقت جسدى، بل أيضاً لأنها حرمتنى من حكم عادل. ومع أنه يبدو أن أيوب أراد أن يقول العكس فلماذا أعلن: كل مرة تنخسنى لذلك أنا أتكلم»؟

إن أيوب فى الغالب يترافع عن الكلمات التى جعلته سابقاً يلعن يوم مولده، إذ قال: إننى نطقت هذه الكلمات ليس عن ضلال أو عن طياشة، بل تحت تأثير وخز الوجع. فمن سيصير تعيساً بما فيه الكفاية ومنحوساً، ليريد أن ينتحب دون وزنه للأمور (أى ينتحب بخفة وطياشة)؟

ولأن أليفاز قال «لا ترفض تأديب القدير» (٥: ١٧)، فإن أيوب قد اقتدى بالمثل بأصدقائه الذين صوّروا ـ بالفن الدرامى ـ الحيوانات بالتكلم عن زمجرة الأسد.

لا أحد يشتكى بدون سبب

٣- **"فماذا: هل ينهق الحمار الوحشى على لا شىء، إن لم يكن يسعى للطعام؟ أو أيضاً هل يجأر الثور عند المزود عندما يكون له علف؟"** (٦: ٥).

وحسناً أضاف قوله «عند المزود» لأنه يجأر فى مكان آخر. وفضلاً عن ذلك «هل يؤكل الخبز بدون ملح؟ وبالمثل هل يوجد طعم للكلمات الفارغة؟» (٦: ٦).

إنه قال: كما أن الحمار لا يفضّل (حرفياً يختار) أن ينهق دون سبب، ولا الثور يجأر عند مزود العلف، كذلك أيضاً لا يفضّل أحد أن يأكل الخبز دون ملح ولا أن يصيخ الأذن للكلمات الباطلة.

إن أيوب بالحق جلب الأمثلة المستحيلة ثم قال: كذلك ولا أنا أفضّل أن انتحب هكذا إن لم تكن هناك ضرورة تدفعنى لذلك (حرفياً تنخسني)، لأنه إن كان من غير المستحب أكل الخبز بدون ملح، فلا أقله بالنسبة لى أن انتحب وأتضايق وأنطق بكلمات باطلة. من يفضّل أن ينتحب بغباوة (أى بدون سبب يدعو لذلك)؟ أية لذّة توجد فى الكلمات الباطلة؟ إن التذوق يعنى تلذذ. لقد بدأ أيوب بمثال بعيد ليصل إلى مثال أقرب: بدأ بمثال الحمار ليصل إلى مثال الخبز.

(يقول أليفاز) «لكن لو كانت كلماتك (يا أيوب) تحوى كلمة صدق لما صارت عليك هذه البلايا» (٤: ١٢).

لهذا السبب قال أيوب: لكن يبدو لى أن كلماتى عديمة القيمة (٦:٣).

٤- **"إن نفسى لا يمكنها أن تجد راحة - لماذا يا أيوب - لأنى أرى طعامى له رائحة مقززة كتلك التى للأسد"** (٦: ٧).

إن أيوب لم يكن يكفيه تقرح أو صديد، بل أضاف أيضاً عذاباً آخر فقال: إن المرض قد أفسد كل حسه (تذوقه للطعام) إلى درجة أن طعامه صار عذاباً له، لأن الرائحة المقززة للقروح المتقيحة قد نزعت تمييز حواسه (مذاقه). أى شىء يمكن أن يكون أكثر إيلاماً من هذا العذاب؟ فلا النوم كان يريحه ولا الطعام كان يغذيه!

قال أيوب: «إن رائحة طعامه تذكّره برائحة الأسد»

إن هذا الحيوان المفترس يفيح برائحة سيئة للغاية. وكما أن الأسد له تفوق طبيعى (على سائر الحيوانات)، لكن الله من جهة هذا الأمر لم يعطه ميزة فى هذا الشأن.

أيوب يدعو إلى الله

٥- **"ليت الرب يقبل طلبتى ويحققها ويمنحنى رجائى وليسحقنى ويلاشينى تماماً وليكن قبرى مدينتى التى على أسوارها قفزت"** (٦: ٨-١٠).

قال أيوب: إن الأجل الوحيد والراحة الحقيقية من هذه البلايا هى فى الموت.

ماذا يقصد أيوب بقوله «قفزت»؟ إنه يريد القول: كنت ابتهج آمناً.

٦- **"إننى بكل تأكيد لن ألجأ إلى المداراة، لأننى لم اعترض على الكلمات المقدسة لإلهي"** (تابع ٦: ١٠).

قال أيوب: بالتأكيد لن ألجأ إلى المداراة بالاعتراض، فأنا لا أشعر بأننى اقترفت شيئاً يشبه ما تقولوه، لكنى لا أقول هذا[١]، بل فقط أقول إننى تحملت عقوبات تفوق طبيعتنا، وأن جسامة بلاياى تتخطى ما يمكن للجسد البشرى أن يحتمله.

أما أنت يا أليفاز أخبرنى كيف أن أيوب، حتى ونحن نراه فى هذا الكرب العظيم، فهو على أية حال لم يقبل بأن يسرد أعماله الحسنة، بل أنه إلى الآن يخفيها، وهو الذى كان يسلّم أحياناً أخطاءه إلى التشهير العلنى بصراحة عظيمة أمام جمع كبير من المشاهدين، قد سكت بالمقابل عن أعماله الحسنة على الرغم من مشاهدته فى هذا الكرب الشديد، وهو لم يقل بالتحديد: إننى قد عانيت مثل هذه البلايا مع أننى بار، بل إنه قال إنه لم يستطع احتمالها، تماماً ما قال داود «ارحمنى يا رب لأننى ضعيف» (مز ٦: ٢). إن طريقة الكلام هى التى تميز الذين ليس لهم الحرية فى التعبير، إذ يلجئون إلى ضعف الطبيعة (البشرية)، لأن قول «إننى ضعيف ولست حجراً» (انظر ٦: ١٢)[٢]، هو ليس كلام من

(١) ٢- أى أنا أصرّ على القول بأننى لم اقترف إثماً.

(٢) ٣- أرجو الملاحظة أننى حين أذكر أرقام الشاهد فقط فهنا أعنى سفر أيوب.

يقرّ بأنه يُعاقب بطريقة لا يستحقها، بل من على العكس يقرّ أنها حق إنما هو عاجز عن احتمالها، وبالتالى هو يطلب الحصول على العفو[1].

أيوب لم يكن إلا إنسان ضعيف زائل

٧- **قال أيوب "ما هى قوتى حتى أقاوم وما هو عمرى حتى تصبر نفسى"** (٦: ١١).

ماذا يقصد أيوب بقوله «ما هو عمري»؟

إنه يقصد «أنا إنسان قليل العمر» (انظر حكمة سليمان ٩: ٥).

هل أنا لديّ عمر طويل حتى أقايض به؟ ألعلى آمل أن أحيا طويلاً؟ «ما هى قوتى حتى أقاوم؟»

إذاً فليست قوته هى التى تتيح له المقاومة إنما تقواه ومخافته من الله، لأنه لو أراد أن يقاوم، فلن يقاوم إنما سيدمر نفسه، بحيث أنه حتى لو لم يعلّمك أى نص آخر، فمن ثمَّ تعلّم بالتمام من إنسان تقى، فمع كونه إنساناً، فإنه احتمل ضغوطاً أكثر قوة من الحجارة بفضل مخافته لله، وبخروجه من وضعه الحرج الذى فيه ومن التفكير فى نهايته (أى عمره)، وبلجوئه إلى الصلاة وليس إلى ثقته الخاصة.

٨- **قال أيوب "هل لحمى من نحاس؟ أولم أثق فيه (فى الله)؟ لكن المعونة بعيدة عنى، الرحمة لفظتنى، وانتباه الرب لم يلق عينيه علىّ"** (٦: ١٢-١٤).

وحيث أن أليفاز يحضه قائلاً «أدعو الرب القدير» (٥: ٨)، فيجيبه أيوب قائلاً «ألم أثق أنا فيه؟»

تأمل فى أنه ليس فى بدء بليته تكلم أيوب هكذا، بل بعد فترة طويلة من الزمن، وفى اللحظة التى أوشكت فيها المحاربات على الانتهاء.

٩- **قال أيوب "أقربائى لم يزودونى باحتياجاتى، لقد اجتازوا بالقرب منى ولم يرونى مثل سيل طافح أو مثل موجة عابرة. كل الذين يحترموننى انقلبوا علىّ"** (٦: ١٥، ١٦).

إن إغفال الله له هو بالضبط الذى جعل حتى أقرباءه يحتقرونه وسط مثل هذه البلايا. فكل مرة يبتعد الله ويحرم الإنسان من معونته، يصير الكل مُعادين ومعارضين له.

---

(١) ٤- كانت هذه الفقرة كلها موجهة من ذهبى الفم إلى أليفاز دفاعاً عن أيوب.

قال أيوب: لم يعرفنى أحد فى بليتى، لكن هذا لم يكن بالأمر المهم.

«كل الذين كانوا يحترموننى انقلبوا علىّ»

وهذا هو الشىء الأسوأ: المضى إلى الدوس بالأقدام على من هو مطروح على الأرض!

ويبدو لى أن أيوب يشير بهذا إلى أصدقائه.

١٠- قال أيوب "مثل ثلج أو جليد متجمد، عندما يذوب بفعل الحرارة فلا تعد تعرف حالته الأولى، هكذا أنا أيضاً قد تخلى عنى الكل، ليس فقط أنا دُمرت، بل صرت منبوذاً" (٦: ١٦- ١٨).

أى أنه لم يعد يتبقى أى ذكر أو أثر لسعادتى السابقة. وهذا الأمر أسوأ ما فى البلية. «لو كان أحد يمكنه أن يزن سوياً كل بلاياى!» (٦: ٢). وهو يجتهد فى تفصيلها فيقول «أنا أرى طعامى له رائحة مقززة» (٦:٧). كنت أتمنى أن أموت ولم أمت: فهذا لأنى إنسان ولست حجراً حتى أعانى هكذا، إنسان زائل أنا ولم أتمتع بالعضد السماوى. البعض من بين خلاّنى مروا بجانبى دون أن يرونى، والبعض الآخر داسونى بأقدامهم، ولم يعد يتبقى أى أثر لسعادتى السابقة.

أيوب ينقلب ضد أصدقائه الذين ليس لهم شفقة

١١- "انظروا طرق تيمان وإلى مسالك الأثمة، يا من تجيدون النظر. اخزوا يا من ترون. إن الذين وضعوا اتكالهم على المدن (الحصينة) والأموال، قد صاروا مدانين" (٦:١٩- ٢٠).

قال أيوب: انظروا وتأملوا، أى ذكّروا أنفسكم بحالكم، فالمستقبل غامض ونحن كلنا فى نفس الموقف، وهذه الخواطر طبقوها على أنفسكم واخفضوا من كبرياءكم.

١٢- "أما أنتم أيضاً فقد دستمونى بالأقدام بدون شفقة" (٦: ٢١)

إنه يريد القول بدون شفقة وبدون فحص (قضائى)، وبدون تهم (أكيدة).

«وأيضاً عند رؤية جُرحى (بليتى) فزعتم» (تابع ٦: ٢١).

وقال أيوب: لأنه لا شىء جعلكم أكثر شفقة، لا الصداقة ولا الإخلاص السابق ولا أى شىء آخر، فحتى رؤيتكم لجروحى كان ينبغى أن تملأكم بشفقة عظيمة.

١٣- "فماذا! هل طالبتكم بشيء؟ هل احتجت لقوتكم لتخليصي من يد الأشرار أو انتزاعي من يد القدير؟" (٦: ٢٢، ٢٣).

وهذا ما يريد أيوب قوله: لم أطلب منكم شيئاً لا سابقاً ولا الآن، وأنتم من تلقاء ذواتكم قد أتيتم إليّ وبالتحديد لكي تعزوني، فلماذا تتصرفون كأعداء؟

١٤- "علّموني وأنا سأصمت. عرفوني إن كنت قد اقترفتُ خطأ ما" (٦:٢٤).

ومع هذا فحتى في هذه الظروف لن أرفض التعلم بشرط أن تقولوا لي شيئاً مفيداً، وأنا سأصمت إن نطقتم بكلمات لائقة.

إنهم لم يستطيعوا بالتأكيد أن يضعوا ـ مقدماً ـ اتهامات دامغة، ولكنهم أصدروا مجرد اتهامات تخمينية، وكما أن حياته كان واضح امتلاءها بالفضيلة، فإنهم (فقط) بعد البلايا التي حلّت به خمنوا أنها لم تكن حياة فاضلة.

١٥- "لكن كما يبدو لي فإن كلمات الإنسان الصادق بدون قيمة" (٦:٢٥).

قال أيوب: لكن لم يمكنني أن أقود الجهاد حسناً، لأن بليتي تقف عائقاً، أو لأنه إن قيل الحق وتم التعبير عنه بصراحة فإن سامعيه لن يحتملوه، إذ أن كلمات البار تعتبر بلا قيمة في عرف كل العالم، وهذا الخاطر كان من فم أيوب بصفة عامة ولم تكن بليته هي التي حركته عليه.

أيوب لم يطالبهم بشيء ولم يسكت

١٦- قال أيوب "لأني لم أطلب منكم لا كلمة (تعزية) ولا قوة، واتهامكم لن يوقف كلماتي" (٦: ٢٥، ٢٦).

نعم حتى لو كان ينبغي أن تحاكموني بمقتضى الظروف الفعلية، فلن أوجه لكم أي التماس، وبالأحرى لن أقدم هذا الالتماس الآن.

«لأني لم أطلب منكم لا كلمة ولا قوة واتهامكم لن يوقف كلماتي. ولا حتى سأحتمل لغوكم، إذ أنكم تهاجمون اليتيم (من التعضيد الإلهي) وتهينوا واحداً من أصدقائكم» (٦: ٢٥- ٢٦).

إن أيوب قال لا البلية ولا الصداقة جعلتكم تنثنون عن ملامتى. ومع ذلك إن أردتم فلنرجع إلى الكلمة «أنا لا أطلب..» فحتى لو وضعتم أنفسكم فى الفريق المعارض، سأرد عليكم لأن ضميرى لا يوبخنى بشىء.

١٧- **قال أيوب "لكن الآن تفرسوا فيّ حسناً، فإنى لا أكذب، وحاولوا ألا يكون ظلم فى حكمكم، إنما وقروا العدل"** (٦: ٢٨- ٢٩).

أبدئوا الآن «لأنه لا يوجد ظلم فى لسانى ولم يعد حنكى يهتم بالإدراك» (٦: ٣٠).

لاحظوا كيف أن الرجل مهتم دائماً بسمعته ويخاف من أن يُعتبر شريراً أو منافقاً.

الإصحاح السابع

بقية رد أيوب

حياة الإنسان هى مشقة

١- قال أيوب "أليست حياة الإنسان على الأرض مشقة؟" (٧: ١).

إن أيوب بدوره يردد عبارة أليفاز القائلة «إنما الإنسان مولود للمشقة» (٥: ٧). ماذا يعنى هذا بالنسبة لأيوب؟ إن ما يحدث ليس هو بالظلم الوحيد، إنما الطبيعة نفسها هى التى تثير هذه المحن. وهكذا فإن الله هو الذى قرر أن تكون الحياة البشرية شاقة. لكن أيوب أضاف عبارة «على الأرض» إذ لن يكون الأمر هكذا فى السموات.

«ألا تشبه حياته حياة أجير؟» (تابع ٧: ١).

إنه يريد القول بصفتها الشاقة. وكما أن الأجير يتعب ويعانى طوال اليوم، فبالمثل حياتنا قصيرة وشاقة (كيوم عمل) ولا تنال أية منفعة تُذكر، وكمثل الأجير الذى يتعب أثناء النهار دون أن يجنى أية منفعة، هكذا الإنسان أيضاً. أليس هو مثقلاً بالأتعاب والمخاطر أيضاً؟

٢- "أو كعبد يخاف سيده وكمن هو أمسك الظل (أو خيال)"(٧: ٢).

إنه قال: إن كنت أخذت هدنة صغيرة كما يلتقط العبد نَفَسهُ قليلاً، والتقاط النَفَس لا يتم فى أمان أو بكل هدوء إذ تأتى عليه الهجمات الكثيرة من كل جانب. وفى اعتقادى أنه يريد التكلم عن عبد هارب مثل ذاك الذى لكونه هارباً من سيده، فهو فى رعب وخوف بدون توقف.

«أو كما الأجير الذى ينتظر أجرته» (تابع ٧: ٢).

فالأجير لا يرتاح إلا فى تلك اللحظة التى يأخذ فيها أجرته.

ليالى أيوب كانت شاقة ومخيفة

٣- "وأنا أيضاً صبرت باطلاً على مدى شهور" (٧: ٣).

(أنا صبرت باطلاً..) فى رعب وفى الضيق والخوف. لكنه لا يقول هذا لكل الناس بل لنفسه.

"ليالى شقاء قد حُجزت لي. إذا اضطجعت أقول متى أقوم؟ وعندما أقوم أقول متى يأتى المساء؟ لأنى ممتلئ أوجاعاً، من المساء إلى الصباح يسبح جسدى فى عفونة الدود، وأبلى (أفسد) بحكى للقشور الملوثة بالصديد" (٧:٣- ٥).

إنه قال: لأن حياة الإنسان على الأرض مشقة» (٧: ١)، وقال كذلك «أنا أيضاً صبرت باطلاً على مدى شهور» (٧: ٣). لماذا باطلاً؟ لأننى تألمت دون أن أنال المجازاة، وأنا فى البلايا دون أن أجنى أية منفعة تُذكر، بينما أنا أجاهد بشدة ضد العرق والحمى.

قال أيوب «ليالى شقاء قد حُجزت لى» ومع ما هو أسوأ من هذا أنه كان تعيساً كل الوقت «فلا نور النهار كان يهدئنى ولا راحة الليل. كل لحظة ثقيلة علىّ، ولا أسعى للتخلص من موقفى الحالى الذى هو بالضبط من نصيب التعساء».

بعد ذلك تحدث أيوب عن تعاسته فقال: «إننى أبلى (أتحلل ـ أفسد) بحكى للقشور الملوثة بالصديد» لأنه يبدو لى أنه فى بؤسه لم يعد يحك بشقفة كما كان يفعل من قبل، إنما الآن يحك بالتراب.

٤- **"حياتى أسرع من الوشيعة وتنتهى بغير رجاء"** (٧: ٦).

وبينما الكتاب يقول «انتظر الرب» (مز ٦٢: ٥) ـ وهو نفسه يكافئك» فإن أيوب يقول: لم يعد يتبقى لى وقت للحياة، وحياتى تنقضى بسرعة حتى قبل أن تظهر إذ قصيرة هى حياتنا! ولا يمكن القول أنه بعد استمتاع طويل بالحياة أو على وشك الاستمتاع بها أيضاً ـ احتمل هذه البلايا المرعبة. «أنا فنيت بغير رجاء»لأنى انتظرت تغير ونجاة (وشيء من هذا لم يحدث).

٥- **"تذكر أن حياتى هى نسمة"** (٧: ٧).

لاحظ أنه لم يطلب أن يخلص نتيجة لأعماله الحسنة، إنما للطبيعة الزائلة لكيانه. وقال «تذكر أن عينى لن تصعد لترى السعادة» (تابع ٧:٧).

إنه يتكلم عن الرجوع إلى الأرض، ويبدو لى أن أيوب كان يجهل عقيدة القيامة، لأنه لو كان يعرفها لما صار مثقلاً هكذا. هذه هى الكلمات التى كان يضعها أمامه ويتفرس فيها ويتأمل ويحفظها فى روحه.

٦- "**لا ترانى عين ناظرى، عيناك عليّ، ولست أنا موجود بعد. مثل سحابة تُزاح فى السماء، لأنه إن نزل إنسان إلى الهاوية، لم تعد هناك أية فرصة للصعود منها ولا يعود إلى بيته ولا يكون معروفاً فى الموضع الذى كان فيه. لذلك لا أضع لجاماً على لسانى أو ذهنى، لكنى سأتكلم فى ضيق روحى**" (٧: ٨- ١١).

لاحظ أولاً كيف أنه يعرف كيف يجلب الاستحسان لكلماته. إنه فى الغالب يطلب من قضاته التبرير، ويدّعى أنه يتمتع بالغفران بحجة أنه ليس هو بل عناؤه هو الذى دفعه إلى نطق هذه الكلمات.

٧- **قال أيوب "سأفتح فمى لأن مرارة نفسى تضيّق عليّ. أبحر أنا أم تنين حتى تجعل على حارساً؟"** (٧: ١١، ١٢).

أى لكى تمارس كل هذه المراقبة عليّ، وبكلمة «حارس» يقصد خوفه.

٨- "**إننى قلت فراشى يعزينى وسأنهى فى السهر الحوار مع نفسى فى فراشى**" (٧: ١٣).

أى النوم سيجلب لى راحة.

٩- "**لماذا تخيفنى بالأحلام أثناء نومى وترهبنى برؤى؟**" (٧: ١٤).

وبالطبع هذه المخاوف كانت بفعل الشيطان. لأن لم تهاجمه أية تجربة من قبل الله، لكن كل البلايا أتته من يد الشيطان.

ابتعد عنى يا رب فحياتى ليست أبدية

١٠- **قال أيوب "ستفصل حياتى من روحى ونفسى من جسدى، لكن ستضع عظامى فى حمى من الموت. لأننى لن أحيا إلى الأبد حتى أصبر. ابتعد عنى لأن حياتى قد فنيت"** (٧: ١٥، ١٦).

إنه لم يقل «انزعنى»، فهذه ستكون كلمات غير محتملة. فما هى الكلمات غير المحتملة؟ إنه (فقط) تكلم (هنا) عن بليته وطالب بالموت وبالعقوبة.

قال أيوب «لأننى لن أحيا إلى الأبد حتى أصبر»

ها أنت ترى (أيها القارئ) كيف أنه كان محروماً حتى من هذا الرجاء.

وقال أيوب أيضاً «ما هى أيام عمرى حتى أقاوم؟» (٦: ١١).

ها أنت ترى أن الذى جعله يضطرب بالأكثر أنه لم يستطع حتى أن يأمل فى تغيير ولو قصير الأمد.

«لأنى لن أحيا إلى الأبد» وهكذا لو علم أنه سيحيا إلى الأبد لكان صبر.

«ابتعد عنى لأن حياتى قد فنيت»

إن هذا الكلام يبدو خطير، لكن لنفحصه. فماذا قال داود أيضاً؟ «أبعد عنى سوطك» (مز ٣٩: ١٠).

«لأن حياتى قد فنيت» فهذه الحياة فى حد ذاتها تعقبنى.

وقال أيوب: هل أنا ذو قيمة لأعانى هكذا؟ «أيامنا تشبه ظل وحلم» (مز ١٠٢:١١؛ ١٤٤: ٤).

١١- **"فما هو الإنسان لتعظمه وتهتم به"** (٧: ١٧).

وهذا بالضبط الدليل الذى يجلبه هذا التعظيم، فالإنسان بصفة عامة قد أُعتبر جديراً بالعقوبة، أو هوذا الدليل على أن الإنسان فى فكر الله.

«من هو الإنسان حتى تذكره» (مز٨: ٤).

هذا بالضبط أمر من يطالب بالأتعاب والعقوبات التى تبرهن على أن الإنسان ذو قيمة.

لماذا تهتم بالإنسان؟

١٢- **قال أيوب "لماذا تفتقده منذ الصباح؟"** (٧: ١٨).

أى لماذا تشغل بالك به؟

«ولماذا تقاضيه حتى (إلى) وقت الراحة (أى الموت)؟» (تابع ٧: ١٨).

ولماذا تهتم به كثيراً؟

لاحظ هذا الخلط فى الكلام، فالبعض منه ممتلئ بالحكمة والبعض الآخر بالألم. إننى اعتقد أن شدة الألم هى التى دفعته للتكلم هكذا.

ما معنى «حتى وقت الراحة»؟

إنه فى اعتقادى يريد أن يقول «أنت ترتب له الموت والراحة.

١٣- قال أيوب "إلى متى سترفض أن تتركنى هادئاً وتدعنى أنطلق؟" (٧: ١٩).

(إنه قال) كما قال داود «إلى متى يا رب تنسانى تماماً؟ حتى متى تصرف وجهك عنى؟إلى متى أجعل هموماً فى نفسى وأحزن فى قلبى ليلاً ونهاراً» (مز ١٣:١- ٢).

وقال أيوب «إلى متى فى وجعى أبلع ريقى؟» (تابع ٧:٩١)، أى إلى متى أكون يابساً وأصير مائتاً بالحياة.

١٤- قال أيوب "إن كنت قد أخطأت فماذا يمكن أن أعمل لأجلك؟" (٧: ٢٠).

أى ماذا أفعل الآن؟ فإن خطيتى قد عبرت.

انظر كيف يدين نفسه قائلاً أنه عوقب أيضاً لأجل خطاياه وهو الذى شهد له الله أنه كان «باراً وبلا لوم» (١: ١).

ما المقصود بعبارة «ماذا يمكننى أن أعمل لأجلك؟» أى ما الذى ينبغى أن أعمله الآن لأزيل خطأى لأهدئك وأصالح نفسى معك.

عقوبتى صارت عثرة للآخرين

١٥- قال أيوب "أنت الذى تعرف فكر البشر، لماذا جعلتنى متهماً لك (أى خصم لك)؟" (٧: ٢٠).

إن أيوب قال هذا ليس لأنه شخصياً يتهم الله، حاشا، إنما لأن ما حدث له ولّد فيه اتهاماً عظيماً ضد الله. لهذا قال «أنت تعرف فكر البشر» لأنه حتى ولو لم يتكلموا، فأنت تعرف أفكارهم الخفية وكل خواطرهم الداخلية: أرجلُ مثلى يقاسى كل تلك الآلام!

لكن ليس هذا سلوك من يسعى لتبرير نفسه. لأنه بالحق لم يقل: إننى بار. إنما قال: إن الآخرين لهم رأى حسن فيّ، وهوذا هم سيحتجون عليك بسبب بلاياي.

١٦- **"هوذا أنا بالنسبة لك كنتً حملاً"** (تابع ٧: ٢٠).

وكأن أيوب يقول: إننى كنت حملاً ثقيلاً عليك يا رب بما سببته لك من كلام وتجاديف.

١٧- "**لماذا لم تنس إثمى؟**" (٧: ٢١).

هوذا أنت ترى كيف أن البار عرف أنه أخطأ.

«ولماذا لا تطهرنى من خطيتى؟» (تابع ٧: ٢١).

١٨- "**لكن هوذا سأضطجع فى التراب وفى الصباح لن أوجد بعد**" (تابع ٧: ٢١).

وقال أيوب: إن طبيعتى أيضاً أنت تعلم نهايتها، ومن المحتمل أننى غداً لن أكون موجوداً بعد - أى - سيكون موتى سريعاً!

لماذا لا تنسى إنساناً قليل الأهمية؟!

الإصحاح الثامن

حديث بلدد الشوحي

أوقف يا أيوب ثرثرتك: هل الرب ظالم؟

١- **"فأجاب بلدد الشوحى وقال: إلى متى تتكلم هكذا؟ ونَفَس فمك ينتشر فى كلماتك. هل الله ظالم فى أحكامه، أو من خلق الكل يبدل الحق؟"** (٨: ١- ٣).

هل قال أيوب يا بلدد أنه تألم ظلماً؟

ها أنت ترى (أيها القارئ) أنهم لم يدركوا الهدف تماماً فى أى موضع، لأن أيوب لم يتكلم هكذا فى أى موضع، لكنه ذكر ضعف طبيعته بقوله «أبحر أنا أم تنين» (٧: ١٢)، «هل قوتى قوة حجارة؟» (٦: ١٢)، «فما هى حياتى؟»، «لأننى لن أحيا إلى الأبد لكى أستطيع أن أصبر» (٧: ١٦). علاوة على ذلك هو عرف أيضاً أخطاءه بقوله «لماذا لم تنسَ إثمى؟» (٧: ٢١). إن لم يكن لأجلي، فعل الأقل لأجلك،»إن كنت قد أخطأت، فماذا يمكننى أن أعمل لأجلك؟» (٧: ٢٠). وكما لو أن فقيراً لا يملك شيئاً، فلأنه استنفذ كل ماله فيقول لمدينه: ماذا أستطيع أن أفعل لأجلك؟ هل أستطيع أن أرد لك شيئاً الآن؟

ثم أيضاً بالنسبة إلى الثرثرة فإن بلدد يدين نفسه لأنه لم يدرك أن الذين يجوزون ألماً شديداً يجدون تعزية فى التعبير عما بداخلهم، كما قال أيوب نفسه «إننى سأتكلم، لأن فمى يجبرنى على هذا» (٧: ١١). (وكأن) أيوب يقول: «ومع هذا فحتى لو هذه الكلمات التى أتفوه بها، نطقت (أنا) بها لأن الحاجة تطلبتها، فهذا لأنى طلبت الموت». فلو أن الحاجة لم تتطلب هذا، ما كان أيوب تجرأ على طلب الموت.

فانظر (أيها القارئ) التقوى العظيمة التى برهن عليها. وأيضاً فإن كلامه لم يكن خارجاً عن الموضوع.

قال بلدد: «هل الله ظالم فى أحكامه؟»

ومع هذا فأيوب لم يشهد لبره إنما قال «لماذا لا تنسى إثمى؟» (٧: ٢١)، وأضاف أيضاً قوله «إن حياة الإنسان – هى كلها تماماً هكذا – مشقة على الأرض» (٧: ١).

قال بلدد: هل الله ظالم، أو هل من خلق الكل يبدّل الحق؟»

لا حظ ما يريد أن يقوله بلدد: إن العدل يلازم الخالق.

لكن حتى ولو أن كلمات بلدد لا تنطبق على أيوب، فلنرَ ما يريد أن يقوله. إنه قال: ألا ترى العدل والنظام العميقين اللذين يحكمان الخليقة؟ وكيف أن كل شيء فيها مرتب حسناً ومحدد (فى موضعه)؟

فهل ذاك الذى يحفظ العدل والترتيب الحسن من جهة الكائنات العديمة العقل، يمكنه أن ينقلب حينما يختص الأمر بك؟ ولماذا خلق الكل؟ أليس لأجلك أيها الإنسان؟

فماذا! هل ذاك الذى خلق أشياء كثيرة لأجلك، لم يشركك أنت أيضاً فيما هو عدل؟ ذاك الذى خلقك محبة فيك وخلق أشياء كثيرة، فإن أظهر صلاحه للكون (المادى)، فإنه قد برهن أيضاً على قدرته من نحوك. نحن كثيراً ما نقلب العدل عن عجز منا، لكنه خلق الكل (بقوته). هل سيصير ظالماً ذاك الذى هو هكذا حكيم وعادل وقدير؟

أولادك ماتوا لأنهم أخطأوا

٢- **"إذ أخطأ إليه بنوك، فإنه دفعهم بعيداً بسبب تعديهم"** (٨: ٤).

قال بلدد: لماذا تنتحب على بنيك؟

ولكن أيوب لم يذكر بنيه أو ثروته فى أى موضع. لاحظ هنا أيضاً حكمته. أو من لا ينتحب (يا بلدد على فقد بنيه)؟ لكن لم تره أنت يقول هذا فى أى موضع من أحاديثه، لكنك تراه لم يحتمل آلامه. وهم (الأصدقاء الثلاثة) على العكس يستدعون ذكر بليته وبغيظٍ بقولهم ليس فقط أن بنيه قد ماتوا، بل أن أخطاءهم هى التى تسببت فى موتهم.

ألم يكفيه (يا بلدد) أن يقول هذا لنفسه؟ بالإضافة إلى ذلك فإنه عبثاً وبدون سبب قدم ذبائح لأجلهم (مع أن) النص يقول «لأن أيوب قال ربما أخطأ بنى وجدفوا على الله فى قلوبهم» (١: ٥)؟

انظر كيف أن موتهم أضناه حزناً وهو الذى كان مهتماً بفضيلة نفوسهم كثيراً.

وهوذا أيضاً تخمين آخر: إن الله عادل، أفلم يكن بإمكانه أن يكون عادلاً دون أن يعاقب على الأخطاء أيضاً، بل يجرّب (الإنسان) كما فى حالة أيوب؟

ألم يوجد شيء غير الخطايا ليفسر (مغزى) العقوبات؟

وجّه صلاتك إلى الرب

٣- **قال بلدد "أما أنت (يا أيوب) فبكّر فى صلاتك إلى الرب القدير"** (٨: ٥).

إن بلدد يُظهر أن أبناء أيوب قد أخطأوا أكثر من أبيهم. انظر كيف كانوا يعظوه ويعطونه نصائح، الأمر الذى كان فى حد ذاته مؤلماً.

٤- **قال بلدد "إن كنت نقياً ومخلصاً، فإنه سيسمع صلاتك"** (٨: ٦).

إن كنت نقياً فلماذا تألمت هكذا؟

أنتم تعلمون (أيها القراء) أنه حتى لو كان الإنسان نقياً، فيمكن أن يتألم هكذا. والله لا يسمع قسراً صلاة من هو نقى ومخلص، إذ توجد حالات يطلب فيها – من هو نقى وطاهر – أشياء غير مفيدة له.

٥- وحيث أن أيوب قال «إن أيامى قليلة» (٢٠: ١٠؛ ٧: ١٦)، فإن بلدد قال «بالتأكيد إن كانت بداياتك وضيعة، فإن آخرتك ستكون رائعة» (٨: ٧). أى أن الله يمكنه أن يقيمك فى سعادة أسمى من الأولى. ثم قدم بلدد من جديد حججاً مؤلمة.

الأثمة يهلكون كمثل نباتات بدون ماء

٦- **"أسأل الجيل السابق، وفتش بعناية فى أصل آبائنا، لأننا نحن من أمس ولا نعرف شيئاً لأن أيامنا على الأرض ظل (يعبر سريعاً). لكن ألم يعلّموك هم ويعلنوا لك معرفة الحكمة، ويعلموك الكلمات الخارجة من قلبهم؟ هل ينمو البردى بدون ماء أو ينمو الياسمين البرى بدون رطوبة عندما لا يزال على الساق، ولو أنه لم يُقطع بعد، فهل ينمو أى عشب قبل أن ينال رطوبة؟"** (٨: ٨- ١٢).

إن هذا هو ما يريد أن يقوله بلدد: حيث أننا زائلون فلنسأل الشيوخ وهم الذين يعلموننا إن كان مستحيل للعشب أن ينمو بدون رطوبة، فمن المستحيل كذلك أن شيئاً ما يبقى بدون العدل. لذلك – يقول بلدد – أن الأشرار لن يبقوا أيضاً (بل سيتم استئصالهم).

٧- **قال بلدد "هكذا ستكون نهاية الذين ينسون الله، لأن رجاء الشرير يهلك، وبيته يصير غير مسكون، بيته و(كذلك) طريقه، أما خيمته فستصير مسكناً للعنكبوت، وحتى**

إن عضد بيته، فلن يظل قائماً، وإن وضع يده، فلن يقوى بيته على الصمود، لأنه قد صار رطباً في غياب الشمس ولأن العفونة تفسد أغصانه الصغيرة، فإنه يرقد على كومة من الحجارة ويعيش في وسط الحصى، وإن اقتلعه الله يجحد مكانه. ألم ترَ بلية تُقارن ببلية الأثيم؟ والله سينبت من الأرض آخر، لأن الرب بالتأكيد لا يرفض الكامل (حرفياً البرئ)، لكنه لن يقبل عطية الأثيم" (٨: ١٣- ٢٠).

انظر كيف أن بلدد هنا أيضاً وجّه ضربة (مُرّة) لأيوب، إذ أنه كان من الطبيعي أن أيوب يتكل على الذبائح (لتطهير أبنائه).

أما أنت (أيها القارئ)، فانظر معي كيف أنهم ضربوه بحجة نصحه. لأن الذين قالوا له: ترجى الله، هم أنفسهم يقولون إنه لا يوجد رجاء!.

٨- يقول بلدد: "إن الله سيملأ أفواه المخلصين ضحكاً وشفاههم يملئها تهليلاً بينما أعداؤهم يكتسون بالخزي ومسكن الشرير لن يوجد بعد"

(٨: ٢١- ٢٣).

هذه بالتحديد كانت حالة أيوب. أية جروح، أي مرض، وأي غرغرينا ستكون أكثر إيلاماً من سماع أنه كان شريراً لكونه تثقل ببلايا عديدة، لأنه لو لم يكن الأمر هكذا، لما كان قد تألم.

أليس هذا بالحق أفضل تشجيع؟!

الإصحاح التاسع

رد أيوب

أيوب يقرّ بعدل الله

١- **"أجاب أيوب وقال: بالحقيقة أنا أعلم أن الأمر هكذا"** (٩: ١، ٢).

ما أعظم الحكمة فى هذه الكلمات! إن أيوب قال: أنا أعلم أن الأشرار وليس الأبرار هم الذين يهلكون. انظر كيف أن أيوب لم يتهم الله بالظلم فى أى موضع بل قال «أنا أعلم فى الحقيقة أن الأمر هكذا». وضميره يتفق مع من قال: «كيف سيتبرر المائت أمام الله؟» (تابع ٩: ٢).

فإنه ليس فقط يرد (بالموافقة) على الاعتراض، بل أيضاً على ما يبرهنه. وبلدد فى الواقع قال: إن البار سيخلص والخاطئ سيهلك، وأيوب قال له: أنا أعلم (هذا)، أنا أعلم أننى أعانى هكذا بسبب خطاياي.

ها أنت ترى (أيها القارئ) حكمته وترى كيف أنه لم يغضب أو يثور (على هذا الكلام).

٢- **"وأنا (أيوب) أعلم أيضاً عظم الهوة التى تفصلنى عن الله. لأنه لو أراد المائت أن يتحاجج مع الله، فالله لن يُسلّم له بالتأكيد، بحيث أن الإنسان لن يستطيع أن يجيب عن واحد من ألف من كلامه"** (٩: ٣).

هل ترى فيض العدل الإلهي. لو أن الله نطق ألف كلمة عندما يلومنا، فلن نستطيع أن نقاوم واحدة من أحكامه الألف التى يأتى بها علينا.

٣- **"هو حكيم القلب وقدير وقوى"** (٩: ٤).

وهذا بحق (أى عن جدارة)، لأن بكونه حكيماً، فإن إحساناته لا تُعد. لكن إن كنت متشككاً من هذا أيها الإنسان – حسناً! فلنتابع قليلاً المنطق إلى النهاية. لو أن الله نطق

بألف كلمة، فلن نستطيع أن نجيب ولا حتى عن واحدة. هذه هى كلمات الحكمة. ثم إن هذا البار (أيوب) قال: «البار أيضاً سيكون فى سعادة». عن أى بار يقصد؟ أين سيوجد البار أمام الله؟

«عن واحدة من كلماته الألف»

هذا بالضبط ما قاله النبى أيضاً «لن يتبرر قدامك حى» (مز ١٤٣:٢)، «إن كنت تراقب الآثام يا رب، فمن يثبت يا رب؟» (مز ١٣٠: ٣).

انظر كيف يثق أيوب فى كلمة الله. ولنأخذ مثالاً لنا، أول شخصية تقابلنا من العهد القديم أو الجديد، وإن أردت فليكن بولس. فهل أحد يمكنه أن يُقارن ببولس؟ فإنه وصل إلى أقصى درجة من الفضيلة. إن الله اختاره (حرفياً خلقه) بينما هو لم يكن موجود بعد، وبعد ولادته، أعطاه الناموس، ولأجله خلق السماء. أو بالأحرى لنناقش المسألة بصفة عمومية.. الله، وهكذا خلق الطبيعة البشرية. لماذا؟ لصلاحه المحض، وهكذا خلق كل الأشياء الأخرى، فقد خلق الكون وكل الأشياء الأخرى ووضع لآدم وصية، لكن الإنسان لم يأخذها فى الاعتبار. بعد ذلك أرسل ابنه (الوحيد) وأيضاً لم يعتبروه (يهابوه). بعد ذلك هدد بجهنم وأيضاً لم يضعوا هذا فى الاعتبار. ولماذا أراد الله خلاص الإنسان؟ هل تريد أن نسأل بولس شخصياً؟ اسمع ما يقوله «إن الله رحمنى لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان» (١تى١: ١٣) ثم أنه بعد أن دُعى، فإنه شهد لعمق الاهتمام والفطنة التى كان هو هدفاً لها. أو بالأحرى لماذا تتكلم؟ فإن هذا أمر يستحيل التعبير عنه.

أيوب يمتدح قوة الله

٤- ثم لكى لا يستطرد أيوب بالتفصيل فيما يقوله، فإنه أكد بطريقة عامة بقوله "من قام ضده وبقى ثابتاً؟" (٩: ٤).

بهذا القدر كان الله قوياً. ثم أن أيوب أكد تأكيده لهذا الأمر بعد خبرته (ولو أنه لم يقم ضده). إن أيوب قال إن الله عظيم والإنسان لا شىء, ولاحظ بأية لهجة تعظيم قال هذا.

٥- **قال أيوب: "إنه هو الذى يزعزع الجبال دون علم منها"** (٩: ٥).

إن أيوب قال: يزعزع الله الجبال! ودون أن تلاحظ هى ذلك (نعم دون أن تلاحظ هى ذلك). وداود أيضاً قال هذا «الذى يمس الجبال فتدخن» (مز ١٠٤: ٣٢). وفى موضع آخر يتحدث داود عن قوة الله بقوله: إنه يستطيع عمل كل شىء بقوته الجبارة.

إن أيوب – فى الواقع – قد شهد لعدله وأيضاً شهد لقوته.

٦- **قال أيوب "هو الذى يقلب الجبال فى غضبه، ويزعزع الأرض من أُسسها ويزلزل أعمدتها، وهو الذى يقول للشمس أن لا تشرق فلا تشرق، وهو الذى يضع ختماً على النجوم"** (٩:٥- ٧).

ها أنت ترى عن أية قوة وحكمة عظيمتين يشهد. وهو لم يكن يقول هذا حتى تسمعه الشمس، إنما ليُظهر أيوب بوضوح عظمة قوة الله التى يمتد مفعولها حتى إلى النجوم.

٧- **وهو بنفس الطريقة أيضاً يقدم الخالق من جديد بقوله "هو الباسط السموات وحده"** (٩: ٨).

وإشعياء أيضاً قال هذا بالتمام (انظر إش٤٤: ٢٤).

«وهو الذى يمشى على البحر كما على اليابسة» (تابع ٩: ٨). ويوجد أيضاً فى هذا التعبير نوع من النبوة (انظر مت ١٤: ٢٥).

"هو صانع كواكب الثريا ونجم المشاء ومخادع الجنوب. وهو فاعل عظائم لا تُفحص وعجائب لا تُعد" (٩:٩، ١٠).

ونحن لا نعرف كل هذه العجائب.

أليس هذا دليلاً على أنه لا يمكن لإنسان أن يقاوم من له مثل هذه الحكمة وهذا العدل؟ لاحظ أنه لم يتكلم فى أى موضع عن جوهر الله وإنما تكلم عن أعماله.

بعد ذلك تحدث أيوب عن كون الله غير منظور.

لا أحد يمكنه أن يقاوم الله

٨- **"لو أن اللّه اجتاز بجانبي فمستحيل رؤيته، لو مسني فلن أشعر أبداً بشيء. لو أنه حاد وابتعد فمن يقول له: ماذا تفعل ؟ لأن اللّه من نفسه يحيد عن غضبه"** (٩: ١١- ١٣).

إن الله قوى ولا يمكن لأحد أن يشبهه فى قوته.

«لأن بواسطته يتم السيادة على التنانين البحرية التى تحيا تحت السماء» (٩: ١٣) بحيث أنهم لا يستطيعوا الخروج من المواضع التى تخصهم ولا يستطيعوا أن يقفوا على كفوف أرجلهم. لأنه يراقب البحر بكونه فى الوسط الذى يخصه.

من الطبيعى أن أيوب ذكر التنانين وأن ذكره لهم دفعه إلى وصف قوة الله.

قال أيوب: «من يقوم ضده ويبقى (ثابتاً)؟» (٩: ٤)، أى يقوم لكى يقاومه ويجدف عليه. وهكذا فإن أيوب أيضاً يعلم هذا، أفلم يختبر هو هذه النتائج (العواقب)؟ وحتى لو التمسنا له العذر فى تذمره، لكنه بالرغم من ذلك لم يدم فيه (أى يواصل تذمره). ثم تحدث أيوب عن قوة الله وأنه غير منظور فقال:

٩- **"لو يسمعنى ولو يدين الكلمات التى أتحاجج بها معه، فحتى لو كنتُ باراً فلن يستجيبنى: سأتوسل إلى ديانى"** (٩: ١٤، ١٥).

هذا هو ما يريد أن يقوله أيوب: لو يسمع كلماتى ويفحصها.. هذا ما يعنيه بقوله «لو يدين كلماتى»، لو أنه فتش ولو تشدد فى طلب الحساب، فلن أوجد أيضاً مستحقاً لأن يسمعنى حتى لو كنت باراً، فلن استحق أن يسمعنى.

١٠- **ومن جهة أخرى لو أننى سعيت لأن أنجو متكلاً على عطفه للبشر "ولو دعوتُ واستجابنى - فلن أعرف ما يريد قوله - ولا أظن أنه يصيخ سمعه لصوتى. ليته لا يسحقنى فى الظلمات!"** (٩: ١٦- ١٧).

حاشا لله! بالنسبة لتعبيره «فى الظلمات» فهذا هو ما يريد أن يقوله: الله له قدرة عظيمة ولا يوجد إنسان يقاوم ما يفعله ولا حتى يعلم كيف سيموت. وحيث أن أصدقاءه كانوا

يقولون «بدون توقف» «بكّر إلى الرب وهو سوف يستجيبك» (انظر ٨: ٥)، فهذا ما كان يريد قوله لهم: من أين يتأتى لى إن كان لم يسمعنى على الرغم من أننى لم أخطئ.

وإن تُفحص كلماتى فلن أتبرر، وإن دعوت فلن أعلم أنه قد سمعنى، لأن الظروف الحالية لا تسمح لى بالتخمين.

١١- "مرات كثيرة كسرنى مقابل لا شوء" (٩: ١٧).

لماذا تندهش؟ حيث أن الله قالها للشيطان «وقد قلت لى أن أدمر كل ما يمتلكه للاشيء» (٢: ٣)، فأيوب قال أنه انكسر للاشيء، ليس لأنه لم يخطئ، بل لأن عقوبته وقصاصه لم يُضف أى شيء على الإطلاق.

١٢- "لأنه لم يدعنى آخذ نَفَسى" (٩: ١٨).

أى أننى امتلأت ببلايا كثيرة.

"إنه ملئنى مرارة، لأنه جعل عليّ قوته، فمن يعارض حكمه؟" (٩: ١٨، ١٩).

إنه لم يرد مجرد القول أن الله جعل عليه قوته، إنما يريد القول أن الله قادر على عمل كل ما يريد.

١٣- "لو كنت (قلت إنني) باراً، فإن فمى سيأثم" (٩: ٢٠)، لأننى أمام الله أُحاكم. "لو كنت (قلت إنني) بلا لوم سأكون مقتنعاً بضلالى. لأنه لو كنت قد أثمت، فإن نفسى لا تعرف شيئاً، بل تعرف فقط أن حياتى قد أُنتزعت" (٩: ٢٠، ٢١).

أنت ترى – بحسب رأى أيوب – فيض عدل الله وفيض ضعفنا، نحن الذين لا نستطيع أن نرى أخطاءنا.

١٤- "لهذا قلت أن العظيم والقوى قد تلاشيا بالغضب (الإلهى)، والأشرار ماتوا ميتة عنيفة، لكن الأبرار صاروا مدعاة للسخرية، لأنهم قد أُسلموا ليد الشرير" (٩: ٢٢- ٢٤).

أى أن كل إنسان ظالم فى عينى الله، لكن يوجد فرق، فالله هو نفسه هو الذى يكسر القوى، والفاسد والشرير يهلكان، أما البار فعندما يريد الله امتحانه يجعله مدعاة للسخرية، وكإنسان ليس فقط يعانى تجارب عنيفة بل أيضاً عقوباته تبرهن على إثمه.

وهذا ما يريد أيوب قوله: كل مرة يشرع الله فى العمل ويريد المتابعة بالعدل (أى المضى فيه) فلا العدل هو الذى يمكن أن يحميه ولا الضلال هو الذى يمكنه معارضته ولا القوة ولا أى شىء آخر. «لأن الأبرار قد أُسلموا ليد الشرير». انظر كيف أن الله يتصرف (هكذا) مراراً، ليس لمعاقبتهم، إنما يسلّمهم للشرير ليصيروا مدعاة للسخرية.

١٥- قال أيوب "إنه يحجب وجوه قضاة الأرض، إن لم يكن هو بنفسه! لكن حياتى أسرع من عداءٍ" (٩: ٢٤- ٢٥).

ها أنت ترى (أيها القارئ) أن أيوب لم يكف عن العودة لذكر قصر الحياة، ثم إنه يشرح كيف أن الإنسان زائل إلى درجة إنه لم يكن له ولا حتى مظهر (لوجوده من قبل على الأرض بعد وفاته)، هكذا تكون الحياة البشرية فى كل قصرها: حتى قبل أن تظهر فإنها تتلاشى.

١٦- قال أيوب "إن حياتى قد دُفنت دون أن أراها. هل تترك السفينة نفسها أثراً لمسيرها؟ أو هل يترك النسر أثراً لطيرانه فى بحثه عن فريسة؟ فإن تكلمت فإننى سأنسى ما تكلمته" (٩: ٢٥- ٢٧).

أى حتى تذكاراتى ستموت ولن أعرف حتى ما أتكلمه: كم عظيم هو وجعي! حتى اللحظة التى سأتكلمها أنساها. كم فظيعة هى العاصفة (التى أنا فيها)! أية بلية هى هذه البلية؟

أما أنت أيها القارئ فقل لى: عندما تسمعه ينطق بكلمة صعبة، فانظر إلى عنف العاصفة والغرق (الحتمى)، فعل بعد ذلك يمكنك أن تندهش لنفس فى يأسها قد نطقت بكلمة غير لائقة وتقارن نفسك بها؟ فلكى لا يستطيع أحد أن يدين أيوب بخصوص هذه النقطة فى المقدمة وبعد نهاية التجربة، فإن حكم الله (ببره) موّجه كحمى حصين، وليس فقط هو لم يحد عن شكاياته، بل أيضاً نسب إليه كرامة البار.

١٧- **قال أيوب "أنا أعلم أنه لن يتركنى بغير عقاب"** (٩: ٢٨).

إما أنه أراد القول «حتى لو كنتُ سلمت (أفلت) من العقوبة، فإن العقوبة قد فكت عقال كل الألسن ضدى. أو أنه أراد القول: إن الله لن يكف عن عقوبتى وقصاصى أيضاً.

كيف (لنا نحن البشر أن) نعرف مقاصد الله؟

١٨- **قال أيوب "لكن حيث أننى خاطئ، فلماذا لم أمت؟"** (٩: ٢٩).

ها أنت ترى أيها القارئ أنه لم ينكر أنه خاطئ.

قال أيوب متسائلاً: لماذا لم أمت؟»

هذا ليس تعبير من يلوم، إنما من يبحث عن علةّ ما حدث.

قال أيوب: إننى لا أعرف مقاصد الله.

١٩- **"لأنه لو اغتسلت بالثلج ونظفت نفسى بيدى - فهذا لن يفيد شيئاً - فأنت أغرقتنى تماماً فى الطين وثيابى كرهت الالتصاق بى"** (٩: ٣٠- ٣١).

أى صرت أنا مثالاً للإثم فى عينى الكل. ينبغى - فى الواقع - أن الشرير يختفى حتى لا يقود الآخرين للشر. لو أننى صرت أكثر طهارة من الشمس، فإننى احتفظ بدنسى (فى داخلي)، وهو ليس بدنس عادى.

«ثيابى كرهت الالتصاق بى»

لكن ماذا يقال عن الناس إن كانت ثيابى نفسها كرهتني؟ هذا على وجه التقريب ما يريد أن يقوله أيوب: حتى أكثر الأقربين منى يكرهوننى، هذا ليس لأنى عوقبت فيحيدون

عنى، بل اعتقاداً منهم أننى ملعون ونجس، وأننى دنس وأحقر الكل، فلذلك حادوا عنى هكذا. أية فائدة فى جلب مثل هذا الحكم (القاسى) عليّ؟

٢٠- قال أيوب "لأنك (يا رب) لست إنساناً مثلى فأستطيع أن أجاوبه" (٩: ٢٣).

هذا ما يريد أيوب أن يقوله على وجه التقريب: لو كان الذى يعاقب إنسان، لما كانت عقوبته تدين تماماً من هو فى البلية، ولكنتُ استطعت أن أُحاكم أمامه وأثبت أنه ظالم، لكن لأنك أنت الله، فهذا أمر مستحيل (أن أفعله)، ويكفى أن أُعاقب لاحتمل أيضاً أفظع الإدانات.

٢١- قال أيوب "لكن نستطيع أن نأتى سوياً إلى المحاكمة! ينبغى أن يوجد وسيط ليدحض ويحكم بيننا. لأننى احتاج لشيئين: أن يبعد عصاه عنى، ومخافته لا تقلبنى، حينئذ لا مجال للخوف وأتكلم لأننى لا أشعر فى نفسى بأى إثم" (٩: ٢٣- ٢٥)[١].

(١) ١- هذه الفقرة الأخيرة تركها ذهبى الفم بدون شرح، ويمكننا أن نقول عن العدد الأخير أنه يذكّرنا بقول بولس الرسول «لست أشعر بشىء فى ذاتى لكننى لست بذلك مبرراً» (١كو٤:٤)..

الإصحاح العاشر

بقية رد أيوب

نفسى انقلبت بالمرارة

١- قال أيوب "إن نفسى تعبت من التأوه على ذاتها، وسأنفث غضبى وسأعبّر عما أريد قوله فى مرارة نفسى لأننى مثقل" (١٠: ١).

ولكن أيوب نفسه قال قبلاً: إنه لا يوجد مانع من أن يجيب الإنسان عن واحد من ألف من كلماته (انظر ٩: ٣)، فكيف يمكن لأيوب أن يتكلم هنا هكذا؟

إنه قال أنا سأتكلم «فى مرارة نفسى» بحيث أنه ليس هو المتكلم إنما مرارته بقدر ما خواطر أيوب تسمح له أن يقول.

ماذا يعنى هذا؟

«لو فقط يوجد من يحكم بيننا» (٩: ٣٣).

ليس لكى يفحص حياته بالكامل ويُظهر أنه يتألم ظلماً، فهو فى الواقع لم يقل هذا، لأنه قال مراراً فى كل ما سبق أنه يعانى «بسبب آثامه» (انظر ١٢: ٧). إنما هو يريد أن يوضح أن مثابرته على محاولة الصمود تضيع بسبب ضعف نفسه، فهكذا قال إشعياء «أنت سخطت ونحن ضللنا» (إش٦٤: ٥ بحسب النص)، كما فى نص آخر يقول «لماذا أضللتنا يا رب عن طرقك؟» (إش٦٣: ١٧). إنه قال: إننى أخشى أن أسقط أو انقلب، وخفتُ أن أُجبر ذات يوم على نطلق كلمات تجديف أو حتى انتحر.

٢- قال أيوب "وسأكلم الرب قائلاً: لا تدعنى أن أكون غير تقى ولماذا تحاكمنى هكذا؟ أحسن فى عينيك أن أكون أثيماً؟ لأنك جحدت عمل يديك" (١٠: ٢-٣).

إنه لم يقل: أنت جحدت البار، الرجل الفاضل، إنما قال: «أنت جحدت عمل يديك».

«وانتبهت لمشورة الأشرار» (تابع ١٠: ٣).

إن كنتَ عاقبتنى بسبب خطاياى، فكيف تنتبه لهم؟

٣- "هل تنظر من فوق كما ينظر (إنسان) مائت، أم تنظر كما ينظر بشر؟ أو هل أيامك كأيام الإنسان أم سنوك كسنوات الرجل؟" (١٠:٤، ٥).

ألم يطالب الله بمعاقبة كل الخطايا؟ إذ هكذا يكون الترافع عن الحق.

٤- قال أيوب "لأنك تبحث عن إثمي وتقتفي إثر خطاياى" (١٠: ٦).

ها أنت ترى أنه لم يُرد الدفاع عن العدل بفكرة أنه بتصرفه بطريقة (قضائية) محضة، لكنه قال:إنما لأن هذا الكرب لا يفيدنى شيئاً وأخشى أن يضربنى. لأنه قال «لأنك تبحث عن إثمى وتقتفى إثر خطاياى».

٥- قال أيوب: "إنى أعلم أننى لم اقترف إثماً، لكن من يمكنه أن يخلصنى من بين يديك؟" (١٠: ٧).

إن أيوب قال: أنا لا أشعر أننى أثمت، ومع ذلك فمن المحتمل أن أكون قد ارتكبت إثماً وأنا أجهله.

«لكن من يمكنه أن يخلصنى من بين يديك؟»

أى عندما تعاقبنى أنت، فلا أحد يمكنه أن يتبرر، فهل هناك حاجة إلى القول بذلك؟

ثم قال أيوب بعد ذلك: نحن عمل يديك حتى لو كنا خطاة.

هل تجحد عمل يديك؟

٦- قال أيوب "يداك كونتانى وصنعتانى، لكن إذ غيّرت رأيك ضربتنى. اذكر أنك جبلتنى كالطين وأنك ستعيدنى إلى التراب من جديد"

(١٠: ٨، ٩).

لذلك فأيوب يتوسل لأجل ضعف طبيعته. وهو يقول: وحيث أننى بالطبيعة ضعيف وتنتظرنى مثل هذه النهاية، أفلم تكفى العقوبة التى ستأتى بعد ذلك؟

٧- "ألم تصبنى كاللبن وخثرتنى كالجبن؟ كسوتنى جلداً ولحماً فنسجتنى بعظام وعصب. أفلم تمنحنى حياة ورحمة؟" (١٠: ١٠- ١٢).

أى ألم تكن أنت (يا رب) الذى برهنت على مثل هذا الحب العظيم للبشر وعلى هذه الحكمة العميقة؟

إن كان أيوب يشير إلى قائمة مكونات الإنسان، فهذا لكى يظهر الآتى: بعد أن خلقت الإنسان من لا شىء، فهل تحتقر مثل هذه العناية والحكمة العظيمتين؟ وهو يُظهر أن الإنسان هو لا شىء.

٨- **"إن يقظتك حفظت روحى"** (١٠: ١٢)

إنه لم يكفى أن تحفظها الطبيعة بمفردها، إنما ينبغى أن تشملنا عنايتك العظيمة، وأيوب قال إنه قد استمتع بعناية الله له على مدى كل حياته.

أيوب مُحاط من كل جانب

٩- **"حيث أننى أملك هذا فى نفسي[1]، فأنا أعلم أنك تستطيع كل شىء ولا يعسر عليك شىء"** (١٠: ١٣).

أتنظر أن «إمكانية معرفة الله ظاهرة فى كل الخلائق» (انظر رو١: ١٩)، وأنه كان يكفى آنذاك للنظر فى خلقتنا لكى ترينا طبيعة الله وقوته دون الحاجة إلى السماء (أى دون التطلع إلى نظر أموره غير المنظورة)؟

لأنه كوّننا هكذا بدءاً من نطفة وعضدنا ولم يتركنا نسقط فى المهالك.

فهذا يكفى لإظهار قوة الله ومقدرته، كما عمل ليس فقط بتركه الخاطئ وعدم معاقبته، بل أيضاً بمعاقبته البار وقصاصه.

١٠- **قال أيوب "إن أخطأتَ، أنت تلاحظنى ولا تتركنى بغير عقاب عن إثمى"** (١٠: ١٤).

لكى لا تظن (أيها القارئ) أن كون الإنسان مُلاحظ يرادف أنه مُخلّص، فإن أيوب قال: يمكنك (يا رب) ملاحظة الأثيم.

١١- **"لأنه إن أذنبت فالويل لى، وإن تبررت لا أستطيع أن أرفع راسى، لأنى ممتلئ هواناً"** (١٠: ١٥).

إنه قال (ما معناه) لا يكفينى أن أكون باراً لكى يتم خلاصي.

١٢- **قال أيوب "إننى أُمسكت كأسد ليُذبح، وأنت تعود أيضاً ساعياً لإهلاكى بطريقة مخيفة، مجدداً اتهامك لى، ومُظهراً نحوى غضباً عظيماً، وتسبب لى بلايا. فلماذا أخرجتنى**

---

(١) أى أملك إثباتات حكمتك ومحبتك لي.

من الرحم ولماذا لم أمت فى الحال؟وما كانت عين ترانى وكنت كمن لم يكن. لماذا عند خروجى من الرحم لم أذهب (مباشرة) إلى القبر؟ أليست أيام حياتى قليلة؟ دعنى آخذ نَفَسى قليلاً قبل أن أمضى إلى الأرض حيث لا أعود، إلى الأرض المظلمة والمكفهرة، إلى أرض الظلمات الأبدية حيث لا يوجد نور، وحيث لا يمكن رؤية حياة المائتين"
(١٠: ١٦- ٢٢).

قال أيوب «وأنا أُمسكت كأسد ليُذبح»، أى «ألا أعلم أننى أُمسكت؟»، ثم من جديد يصف بالتفصيل شدة وغرابة بليته وقصر حياتنا وغياب الرجاء لنا بعد الموت[1]، وهذا ما يزيد بليته بالأكثر.

(١) ٢- من المؤكد أن ذهبى الفم لا يرفض رجاء الحياة الأبدية فى العهد القديم، إنما يريد القول أن العهد القديم يذكر بدون توقف أنه لا يعود للإنسان رجاء بعد الموت فى أن يعرف من جديد الحياة المائتة.

الإصحاح الحادى عشر

حديث صوفر

كُف عن الكلام الكثير (يا أيوب)

١- **"أجاب صوفر وقال: الذى يتكلم كثيراً، يلزمه أن يسمع هو أيضاً"** (١١: ١، ٢).

هوذا صوفر أيضاً يتهم أيوب بالثرثرة. إن بلدد قال له «إن نَفَس فمك ينتشر فى كلمات» (٨: ٢)، وصوفر قال له «الذى يتكلم كثيراً يلزمه أن يسمع هو أيضاً وهل يظن الثرثار أنه يتبرر؟» (١١: ١، ٢). أى هل بحجة أنك تستطيع أن تعبّر عن نفسك صرت بذلك مبرراً؟

ثم تحدث صوفر عن طبيعته (البشرية) وقال «هل يتبارك النسل الزائل للمرأة؟» (تابع ١١: ٢)، أى حيث أنك مولود من امرأة فكيف ستتبرر؟

٢- **"لا تكن مكثراً فى الكلام"** (١١: ٣).

أى لا تعبّر عن نفسك مطولاً.

«ألا يوجد من يرد عليك؟» (١١: ٣).

إما أنه يريد القول: ألا يوجد من يجاوبك؟ أى نحن. أو أنه يريد القول: لا يوجد أحد يعرف خطاياك إلا الله وحده، وإن أراد أن يفحمك لكنت قد مت (من قبل).

لاحظ كيف أنهم يوبخونه على هذه الأمور، بينما هو لم يقل فى أى موضع ظلماً وإنه لم يكن بلا خطايا.

٣- **"فلا تقل (يا أيوب) أن أعمالى طاهرة وأنا بلا لوم أمامه"** (١١: ٤).

كيف هذا! ألم يقل هو بنفسه: أنا فى الحقيقة، أعلم أنه لا يوجد مائت طاهر أمام الرب! (٩: ٢) انظر كيف أنهم يوبخونه كأعداء!

٤- "لكن كيف يكلمك الرب ويفتح شفتيه ليتحادث معك؟ إذاً لكان كشف لك قوته وحكمته لأنها ستصير مضاعفة فى حالتك" (١١: ٥، ٦).

قال صوفر: لو كان ممكناً أن الله يجيبك «لأن قوة حكمته مضاعفة فى حالتك» لكنت ستفهم أنه من العدل أنك تتألم.

إن شطراً من هذه العبارة خطأ والشطر الثانى يقدم توكيداً مضبوطاً. فهو من ناحية قال: لو كان ممكناً أن الله يجيبك- وعلى ذلك فهو الأفضل والأحكم – لأظهر لك أنه جيد أن تتألم هكذا، وهذا حق.

لكن من جهة أخرى فإن القول «وستفهم حينئذ أن أخطاءك استحقت العقوبات التى أرسلها الرب لك» (١١: ٦) هو ليس بقول مضبوط.

وحيث أن أيوب قد قال: آه! لو كان يوجد وسيط وقاضٍ بيننا» (٩: ٣٣)، لذلك قال له صوفر: لو كان يوجد وسيط لكان أظهر لك العكس. لكن أيوب لم يقل: إننى أتألم دون استحقاق، بل قال: أنا أتألم لمجرد التفكير فى الشر الآتى[1]، وأيضاً فإن طبيعتى ضعيفة و«أنا صنعة يديك» (انظر ١٠: ٣).

إن صوفر على العكس تكلم كما لو كان أيوب قال: إننى أتألم ظلماً، أو أن أيوب لم يتكلم هكذا، إنما قال: أنا أخشى أن أخطئ.

الله يسوس الإنسان من العلا

٥- بعد ذلك أضاف صوفر قوله "هل ستجد أثر (مادي) للرب، أم أدركت الحدود التى خلقها الله الكلى القدرة" (١١: ٧).

أى هل يمكنك بالصدفة أن تتعرف على حكمته وطرقه؟ ولكن (أيوب) هو أيضاً كان مقتنعاً بهذا سابقاً وتحدث مطولاً عن قوة الله وحكمته وعدم إدراكه ونقاوته، بحيث أن خواطر (صوفر) هذه هى خارج الموضوع.

---

(١) ١- أى أن أيوب كان يخشى أن يُغضب الله فى المستقبل بثورته وتذمره عليه.

٦- **"السموات عالية والأرض عميقة، فماذا ستفعل؟"** (١١: ٨).

إنه يريد إما القول: هل تستطيع أن تصنع أشياء شبيهة بهذه؟ أو أنه يريد القول: أنت مخلوق وضيع فى الكون وبالتالى لا يمكنك أن تصنع شيئاً، وأنت أيضاً بعيد عن الله «كبعد السماء عن الأرض» (إش ٥٥: ٩)، لأن الله يعرف كل شيء.

٧- **قال صوفر: "ماذا تعرف عن الحقائق (الكونية) التى هى أعمق من الهاوية؟ أو هل تعرف أبعاد أكثر امتداداً عما للأرض؟ أو أعرض من البحر؟ إن كان هو يقلب أو يجمع كل شيء، فمن سيقول له: ماذا تفعل؟ لأنه يعلم أعمال الأشرار ويرى كل شيء غير عادى ولا يدعه يمر. وعبثاً فإن الإنسان يُحمل بكل كلمة والمائت مولود المرأة هو مثل الحمار الوحشى"** (١١: ٨- ٢١).

وصوفر معه حق فى قوله «هو مثل الحمار الوحشي» الذى لا يتوقف عن النهيق. إذ لا يوجد أى فرق بين كلماتنا (الفارغة) وذلك الصوت عديم المعنى الذى يصيح عشوائياً وبطريقة غبية. نحن نتذمر على كل شيء ومن أجل كل شيء ونلوم كل شيء.

ومن جديد ينصحه أصدقاؤه بالاهتمام بحياته. لكنه قال: إن هذا لا يفيد شيئاً، ولأجل هذا هو قال «وإن تبررتُ لا أستطيع أن أرفع رأسي» (١٠: ١٥). وهو قال أيضاً: فماذا يفيد هذا؟ هوذا أنا بار، لكنى نجس فى عينى الله.

نقى قلبك (يا أيوب) والحياة تستقيم لك

٨- **قال صوفر: "ليتك تنقى قلبك وتبسط يديك نحوه! إن وجد دنس على يديك، أبعده عنك ولا يسكن الظلم فى مسكنك، حينئذ يستعيد وجهك بهائه كما الماء النقي، وإن تخلصت من دنسك فلن تعانى بعد أى خوف، ولنسيتَ تماماً أتعابك كموجة (بحر) قد عبرت ولما شعرت بعد بأية رعبة"** (١١: ١٣- ١٦).

وحيث أن أيوب قد قال إن التغيير كان مستحيلاً «إن اغتسلت بالثلج (فهذا لن يفيدنى شيئاً)، فأنت قد أغرقتنى تماماً فى الطين» (٩:٠٣، ١٣)، فلأجل هذا قال له صوفر «سيستعيد وجهك بهائه كما الماء النقى».

إن خواطر صوفر فى جملتها بكل تأكيد ممتازة، لكن تكراره المستمر أن خطايا أيوب هى التى أثارت عليه كل هذه البلايا، كانت هى الخطأ، كما أيضاً نصحه على الرجوع إلى الفضيلة، لأن أيوب لم يكن يحيا فى الرذيلة، والقول بهذا كان عن جهل، الذى هو سمة من سمات الناس الذين لا يفهمون شيئاً.

٩- قال صوفر: "ولصارت صلاتك مثل نجم الصباح ولاستقامت لك الحياة فى الظهيرة، ولاطمأننت أنه سيكون لك رجاء، وبعد همومك واضطراباتك سترى من جديد نور السلام، لأنك سترتاح ولن يوجد أحد يحاربك وكثير من الناس يغيرون رأيهم ويتضرعون إليك. أما الأشرار فإن أمانهم يفارقهم لأن رجاءهم يهلك وعيونهم تسكب الدموع لأنه فى الله (فقط) توجد الحكمة والقوة" (١١: ١٧- ٢٠).

ملحوظة: لا يوجد تعليق لذهبى الفم على هذه الفقرة.

الإصحاح الثانى عشر

رد أيوب

هل أنتم الوحيدون حكماء؟

١- **"أجاب أيوب وقال: هل أنتم الوحيدون أُناس (حكماء) أو هل الحكمة ستموت معكم؟"** (١٢: ١- ٢).

(إن أيوب قال هكذا) ذلك لأنهم قالوا ما هو واضح ومؤكد.

انظر كيف أن افتتاحيات أيوب أكثر اعتدالاً بينما نهاية أحاديثه مختلفة. وهذا ما جعله يقول: «كل مرة أبداً فى التكلم تنخسنى كلماتى» (٦: ٤). وهنا كما لو كان يقول لهم: يمكنكم أن تأخذوا حكمتكم وتمضوا.

انظر (أيها القارئ) كيف هو فى كل موضع يبدأ أحاديثه (باعتدال) ثم يتفوه بعد ذلك بأشياء مؤلمة لكى لا تدينه (عليها)، وكيف هو فى كل موضع يبدأ فى الوفاء بواجباته نحو الله ويقول أنه عظيم ومثير للإعجاب ولا يظلم أبداً.

قال أيوب «هل أنتم الوحيدون أناس (حكماء) أو هل الحكمة ستموت معكم؟»

هل لأننى وقعت فى البلية فقدت الإحساس الجيد؟ لكن أنا أيضاً لى قلب (فهيم) مثلكم.

أنا أعلم أن كل شىء مرتب من يد الله

٢- **"إن الإنسان البار والذى بلا لوم قد صار هدفاً للسخرية. لأنه مرتب من يد الله أن أسقط فى يد أناس آخرين وينهب بيتى المجرمون فى وقت معين (منه) مثلكم"** (١٢: ٣).

إنه هنا يقدم نفسه كبارٍ بأن يشهد للفضيلة الكاملة، لكن كمن لم يظلم أحداً وكمن لا يستطيع أى شخص آخر أن يلومه.

«.. وينهب بيت المجرمين»

كان ينبغى (يا أصدقائي) أن يكون الأمر هكذا، لأنه قد ترتب من فوق. لكن لا تظنوا أن هذه البلايا ستتوقف عندي، لأنه إن كنت أنا أعانى هكذا، بينما لم اقترف أى إثم، فكم بالأولى جداً سيعانى الشرير!

كل الناس (حرفياً العالم) تعلم أن الشرير سيُعاقب

٣- قال أيوب: "لكن ليت لا أحد ممن يغيظون الرب يظن أنه لن يُعاقب مع كونه شريراً. فكيف هم لن يُفحصوا؟" (١٢: ٦).

إن أيوب يقول: إن هذا أمر واضح ومعروف. أليس واضح لكل الناس أن الشرير سيدينه الله على كل حال؟ وهذا الأمر واضح ليس فقط للبشر بل أيضاً للحيوانات وللأرض نفسها والتى هى عديمة الإحساس.

٤- قال أيوب: "حسناً! اسأل ذوات الأربع إن كانت تستطيع أن تكلمك أو طيور السماء إن كانت تستطيع أنت تعلن لك.

أخبر الأرض إن استطاعت أن تخاطبك بكلمة، وإن كان سمك البحر يستطيع أن يفصح عن نفسه أمامك (فيقولونه لك).

لأن من لا يعلم من كل هذه الخلائق أن يد الرب هى التى عملت كل هذا وأن فى يده حياة كل الكائنات ونفس كل إنسان؟" (١٢: ٧: ١٠).

فلماذا (يا أصدقائي) تتصرفون كأنكم وجدتم لقية (لقطة) عظيمة ورائعة؟ كان يلزم تماماً أن مثل هذا الإنسان (الشرير) يهلك ولا أحد يجهل هذا، ونحن أيضاً نعلم أن «فى يد الرب حياة كل البشر».

أتنظر (أيها القارئ) كيف أنه ليس فقط الخليقة بل أيضاً العناية الإلهية تشهد لله. إنهم يشهدون أنه يعضد الكل ويحفظ الكل ويحفظ حياة ونفوس البشر بحيث أنه يمكنه أن يعاقبهم عندما يريد.

٥- "إن الذهن يميز الكلمات والحنك هو الذى يميز مذاق الأطعمة" (١٢: ١١).

هذا الكلام يعنى أنه إن كانت الحيوانات تعرف هذه الأشياء، فكم بالأولى نحن الذين نملك ذكاء، وليس فقط حنكاً لتمييز الأكل مثلهم.

أو أن هذا يعني: لأننى لست بدون ذكاء، لذلك أعرف هذا. إن كان الله قد أعطانا حنكاً لتمييز طعم الأطعمة، فإنه أعطانا ذهناً لنتخذ به قراراتنا، والزمن يتيح لنا أن نقتنى

هذا العلم. إنه طبيعى بالنسبة للذهن أن يميز وللحنك أن يستطعم، لكن أن يجد الإنسان الحكمة فهذه مسألة وقت.

٦- **قال أيوب: "يلزم وقت طويل لاقتناء الحكمة، وحياة طويلة لاكتساب العلم"** (١٢: ١٢).

بناء على هذا النص فإن الذكاء الطبيعى للبشر، وهو كغريزة الأكل تماماً.

وفى البداية فإن أيوب قال: هل أنتم وحدكم (حكماء) بين الناس؟ (١٢: ٢). أى أنه يريد القول: مادمت أنا إنسان، فأنا أيضاً أستطيع فهم ما تفهمونه أنتم أيضاً، وهو قال (أيضاً): إنه يلزم وقت لاكتساب العلم.

ويبدو لى من سياق الكلام أن أيوب يلومهم هنا. وهو قال لهم (أيضاً): فهل تظنون أنكم اكتشفتم (معرفة) كل شىء؟ لأنه حتى لو امتلكنا ذهناً للتمييز، فنحن مع ذلك نحتاج لوقت لنجد هذه المعرفة (ونتقنها).

٧- **قال أيوب (عن الله): "عنده الحكمة والقدرة. له المشورة والفطنة"** (١٢:١٣).

إنه قال: إن كل الحكمة فى تمامها موجودة لدى الله وهو لا يحتاج لوقت (مثلنا) لاكتسابها. وهل بحجة أننا نعرف هذا، نكون بذلك نعرف كل شىء؟ إننى أعلم أن الأشرار سيُعاقبون. لكن هوذا أنا أيضاً بالرغم من بريّ قد عوقبت، وهل يلزم وقتاً لمن جلب عديداً من الأمثلة الشبيهة أن يفهم هذا؟

أترى (أيها القارئ) عمق الخبرة التى تعطيها الأسفار؟ فإن ما يمتلكه الشيوخ ـ بالتحديد ـ بخبرة الأحداث (التى اجتازوها)، تمتلكه أنت أيها الشاب بفيضٍ بفضل ما سُرد لك من أحداث (فى الأسفار المقدسة). هم (الشيوخ) عانوا أتعاباً كثيرة ورأوا أشياء كثيرة، وأنت أيضاً سترى الكثير لو وافقت على تصفح الكتب المقدسة بانتباه عظيم. لهذا السبب أيضاً قال أحد الكتّاب: «لتسمع كل خبر بالله» (سيراخ ٦: ٣٥)، وفى نص آخر يقول «لا تتضجر من كلام الشيوخ، (لماذا) لأن هؤلاء تعلّموا من آبائهم» (سيراخ ٨: ٩). وأنت لست بحاجة لوقت، لأنه لو أراد الله نفسه أن يعطيها (لك عن طريق الأسفار) فلا يوجد احتياج حتى لوقت.

أنا أيضاً أعلم كل حكمة الله

٨- بعد ذلك تحدث أيوب عن قدرة الله على العقاب والقصاص فقال: "لو هدم فمن سيبني؟ لو أغلق على إنسان فمن سيفتح له؟ لو أوقف المياه، فإنه ييبس الأرض، ولو أطلقها فإنه يقلب الأرض ويهلكها. هو فيه القوة والقدرة، وفيه العلم والفطنة" (١٢: ١٤- ١٦).

٩- بعد ذلك تحدث أيوب عن حكمة الله أيضاً فقال: "يذهب بالمشيرين أسرى ويحمق قضاة الأرض، ويقيم الملوك على العروش ويشد أحقائهم بمنطقة. يذهب بالكهنة أسرى ويقلب أقوياء الأرض. هو الذى يغيّر شفاء الأمناء وهو الذى يعرف فطنة الشيوخ وينشر الخزى على الشرفاء ويشفى المذلين" (١٢: ١٢- ١٧).

إنه أعلن: أليس هنا أيضاً براهين الحكمة؟ إننى من جانب أعلم أن غالبيتها هى من أعمال الله العجيبة.

١٠- قال أيوب: "هو الذى يخرج الأشياء العميقة من الظلمات ويخرج ظل الموت إلى النور. هو الذى يُضل الأمم ويهلكها. هو الذى يسقط الأمم ويقودها، ويغيّر قلوب رؤساء الأرض. إنه يضلهم فى طريق لا يعرفوه فيتلمسون فى الظلام بدون نوراً. ويتهيون كإنسان سكران" (٢٢:٢١- ٢٥).

الإصحاح الثالث عشر

تابع رد أيوب

لكنى سأكلم الرب

١- **"هذا كله رأته عينى وسمعته أذنى. ما تعرفونه عرفته أنا أيضاً. بدون شك أنا أصغر منكم سناً، ولكنى لست أقل منكم ذكاء"** (١٣: ١، ٢).

فماذا! إنه قال: ولو أنى أصغر منكم سناً، لكنى أعرف كل هذا بوضوح.

٢- **"لكنى سأتكلم مع الرب وسأتحاجج فى محضره إن رغب"** (١٣: ٣).

إنه قال: انظر.. ولو أننى قلت هذا فلا تظن إنه إن قلت شيئاً ما متعب أو غير محتمل، أكون قلته عن جهل، لا فأنا أعرف ما قد قلته، ومع ذلك لن أحجم عن التحدث إلى الله، فهل أنا أتحدث إلى إنسان؟ (لا بل) إننى أتحدث إلى الله الذى يعرف خبايا قلبي، إذ أنه من الأفضل لى أن أُحاكم أمام الله وليس أمامكم.

إنكم ظالمون

٣- **"أنتم أطباء بطالون ومدّعون. آه لو صمتم ستصلون إلى اقتناء الحكمة"** (١٣: ٤، ٥).

لأنه عندما ينطق الإنسان كلمات لا معنى لها، فمن الأفضل له أن يصمت، وإن بقى صامتاً وآثر السكوت على الكلام، يكون حكيماً.

٤- **قال أيوب: "فاسمعوا الآن حجة فمى وأصغوا إلى حكم شفتى. أليس أمام الله تتكلمون وقدامه تتفوهون بغش؟"** (١٣: ٦، ٧)

على الرغم من كلامكم الجميل.

إن هذا هو ما يريد أيوب قوله: أنتم لا تعتقدون أن الله يسمع ما تقولونه، لأن الغش وراء أحاديثكم، وليست نية حسنة هل التى تحضكم (على نصحى)، إنما فقط مشيئة أن توجهوا ضربات لى وتجرحون سمعتي، لأنه حتى لو كانت كلماتكم مستقيمة، فهى على الأقل لم تقال بنية مستقيمة وهى لا تسعى إلى إقامة الساقط وإرجاعه وجعله فى حال أحسن، فأنتم لا تعلّمون جاهلاً، إنما هذه الكلمات تسعى إلى الهدم (فقط).

وإن ثابرتم (على مسلككم هذا) فالله سيعاقبكم

٥- **قال أيوب "أم هل ستنسحبون؟ لا فأنتم أنفسكم قضاة (لي). لأنه كان حسناً لو أنه فحصكم بدقة، لكنتم بذلتم كل ما في وسعكم لتلتصقوا له، لكن (تذكروا) أنه سيدينكم"** (١٣: ٨- ١٠).

إن أيوب قال: «لو أنه فحصكم بدقة»

والآن (يا أصدقائى) أنتم الذين تتحدثون هنا، لو كنتم أنتم المعنيين بالأمر موضوع الحكم لما كنتم تكلمتم هكذا، أى لو كنتم أنتم فى موضعي، والله فحص أموركم بدقة لما حكمتم على كلامى كما تحكمون عليه الآن. أو هذا ما أريد أن أقوله (أنا أيوب) بصيغة أخرى: إنه ما كان يمكنكم أن تحكموا على كلماتى أنتم الذين تتكلمون هكذا، لأنه حتى لو استطردتم فى الكلام، ولو فعلتم كل ما فى وسعكم للتحدث لصالح الله، لما أفحمكم بصورة أقل (بل إنه) سيطالبكم بتقديم الحساب وإعطاء الأسباب (لما صدر منكم).

٦- **"لكن من ناحية أخرى لو حدث سراً أنكم تحابون الأشخاص أفلا تمحوكم عقوبته؟ وخوف الرب سيسقط عليكم، ومجدكم سيصير كالرماد وجسكم كجسد طيني، فاصمتوا لكى أتكلم - أى اصمتوا و- سأضع نهاية لغضبي"**. (١٣: ١٠- ١٣).

ها أنت ترى (أيها القارئ) أن كلماته لم تكن كلمات من يسعى لمجرد تبرير نفسه، بل كانت - إن جاز القول - عزاءً له من ألمه.

٧- **قال أيوب: "وسأضع نهاية لغضبى بأخذى لحمى بأسنانى"** (١٣: ١٣، ١٤).

أى سأصير مثل الذين يجدون عزاء فى أن يلتهموا أنفسهم بأنفسهم، ومثل الذين يعضون لحمهم بشدة فيجدون فى هذا بعض الراحة من أتعابهم. فنفس هذا الأمر ينطبق عليّ عندما أتكلم هكذا. ألا ينبغى الإشفاق على مثل هؤلاء الناس بدلاً من مقاضاتهم؟ هل ستقولون عنهم أنهم أكلة لحوم البشر؟ أبداً بل نحن نبكى وننتحب عليهم.

٨- **"سأضع حياتى فى يدي، ولأن القدير وضع يده عليّ فأنا أيضاً سأبدأ فى فعل هذا"** (١٣: ١٤- ١٥).

لاحظ (أيها القارئ) على الأخص هذه العبارة «سأضع حياتى فى يدي» أى سأدمر نفسى بنفسى! مثل الذين يدمرون أنفسهم بأنفسهم. فأنا أيضاً أجد تعزيتى فى هذا، هذا لو لم يقطع الله تعزيتى التى هى فى أن أعبّر عن نفسي.

٩- **قال أيوب: "ولكنى سأتكلم وسأفحمكم فى محضره، وهذا سيصير سلواي، لأن الغش لا يتراءى أمامه"** (١٣: ١٥، ١٦).

أى كون «الغش لا يتراءى أمامه» سيصير هو عزائى. وأنت ترى (يا صوفر): إننى لا أتكلم مثلكم بنية سيئة، لأنى أعرف أنه لا يوجد فيه (فى الله) أى رياء.

دعنى يا رب أتكلم أمام محكمتك

١٠- **"اسمع (يا رب) كلماتي، لأني سأطلق تصريحاً فى محضرك: هوذا أنا مستعد أن أحاكم"** (١٣: ١٧، ١٨).

أى إننى أريد أن أُحاكم ولا أرفض التحقيق معي.

١١- **"نعم، أنا أعلم أن برى سيظهر بوضوح. من سيتناقش معى حتى أصمت الآن وأسلم الروح؟ لكن يلزمنى شيئين، حينئذ لا اختفى من حضرتك: أبعد يديك عنى ولا تدع هيبتك ترعبنى. ثم ادعونى وأنا سأصغي، وتكلم وأنا سأعطيك رداً"** (١٣: ١٨- ٢٢).

إن أيوب ردد من جديد نفس الأمور: لا ترعبني، لا تعود تُظهر هيبتك الإلهية ودعنى أُحاكم. إننى أخطأت، وأنا أقر بهذا، لكنى أنال مقابل هذا عقوبات فظيعة جداً، جداً.

لماذا تعاملنى هكذا كعدو لك؟

١٢- **"أعلمنى كم هو عدد خطاياي، وكم هى عدد تعدياتى - إنه يريد القول لماذا تعاملنى هكذا - لماذا تختفى بعيداً عنى وتعتبرنى كعدو لك؟ هل ستأخذ حذرك منى كما من ورقة تحركها الريح، أو مثل عشب يحمله الهواء؟"** (١٣: ٢٣- ٢٥).

إن أيوب كما لو كان يقول: لماذا لا تتصرف بوضوح؟ لماذا لا تقل لي: هوذا لهذا السبب (الفلانى) أعاقبك؟.

إنها تعزية ليست بقليلة لمن يُعاقبوا كونهم يعلمون السبب الذى لأجله يُعاقبون. ولهذا السبب قال أيوب: أعلمنى خطاياي، لكن الله لم يعلمه بها. لكن لنرى ماذا قال الله له؟

«هل تصرفت معك لسبب آخر سوى أن أظهر برك؟» (٤٠: ٨)

قال أيوب: «إنك تعتبرنى كورقة تحملها الريح» أى لم تجعل لى أى اعتبار واحتقرتنى وازدريت بى فى الظرف الراهن، إذ إليهم) (أى إلى الآخرين) قد (استخدمتنى و) وجهت

التعليم (متخذاً منى مثالاً عملياً). «أو هل ستأخذ حذرك منى كما من عشب يحمله الهواء؟»[1]

١٣- **"أنت تقف فى مواجهتي، إذ كما لو كنت تقيم ضدى قائمة بخطاياى وأورثتنى آثام صباي"** (١٣: ٢٥- ٢٦).

هل تنظر (أيها القارئ) كيف أنه كان يعلم أنه خاطئ ويريد الحصول على الغفران لأجل (خطايا) صباه، أو أنه يريد إظهار أنه خاطئ بسبب شبابه.

١٤- **"لماذا وضعت رجليّ فى المقطرة وراقبت كل أعمالى ووصلت إلى أصولracine رجليّ التى شاخت مثل قربة أو مثل ثياب أكله العث"**

(١٣: ٢٧- ٢٨).

«أنت وضعت رجليّ فى المقطرة» أى أنت ربطتنى. «أنت وصلت إلى أصول رجليّ» أى أنت اقتحمتنى تماماً وفحصتنى إلى العمق وضربتنى بدءً من رجليّ إلى رأسى ولم تترك فيّ أى جزء سليم.

ومن جديد يتحدث أيوب عن عظم بليته، ومن جديد يستهزئ بوضاعة طبيعته، فقال «إنها تشيخ مثل قربة».

لماذا أخذ أيوب (هنا) مثال القربة؟

هذا لأن القربة فارغة ولا تحوى سوى الهواء، فهكذا نفس الأمر لجسدنا، والقدامى أيضاً اعتادوا القول: إننا مثل قربة منفوخة..»

لا ترينى حجمها أو متانة جلدها، لكن تفكر فيما هو فى الداخل فسترى عظم فراغها.

ثم مضى أيوب بعد ذلك إلى مثال آخر فقال «**أو مثل ثيابٍ قد أكلها العث**».

(١) ١- لم يعلّق هبى الفم على هذه العبارة ويبدو لى أن المقصود منها أن أيوب يود القول أن الله تعامل معه كما لو كان عدو عليه أن يتخذ الاحتياطات ضده تحسباً لمشاكل يمكن أن يسببها، بينما أيوب يعتبر نفسه أنه أتفه من أن يتمكن من فعل هذا، إذ هو ليس إلا عشب يحمله الهواء!

الإصحاح الرابع عشر

نهاية رد أيوب على صوفر

يا رب الإنسان زائل مثل الزهرة التى تذبل

١- **"لأن الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعباً"** (١٤: ١).

أى ممتلئ إحباطاً وليس ممتلئ حزناً (فقط).

٢- **"إنه يسقط كالزهرة التى تفتحت، ويرحل مثل ظل، ولا يستطيع الاستمرار. لماذا تدخله فى اعتبارك وجعلته يدخل فى المحاكمة أمامك؟"** (١٤: ٢، ٣).

هل ترى (أيها القارئ) أنه لم يكن بسبب بره أنه يريد أن يتحرر (من بلاياه) إنما بسبب ضعف طبيعته؟ وهو كما لو كان يقول: هل ينبغى الفحص إلى الأعماق، وهل ينبغى المطالبة بالحساب «إذ أنه موجود اليوم، لكن غداً لا يكون موجود بعد» (انظر مت ٦: ٣٠).

دعنى (يا رب) أعيش حياتى القصيرة

٣- **"لأن من سيصير طاهراً من النجاسة؟ لا أحد، حتى لو كانت حياته على الأرض يوماً واحداً، وأشهره معدودة عندك وقد عينت أجله فلا يتجاوزه أبداً. اتركه حتى يستريح ويتلذذ بحياته كالأجير"** (١٤:٤-٦).

أتنظر (أيها القارئ) كيف يسارع أيوب من جديد إلى الاحتماء فى طبيعته (البشرية الضعيفة)، إذ قال: لأنه من المستحيل للإنسان أن يكون طاهراً (بصفة دائمة). إنه يتوسل ليس فقط بسبب ضعفنا أو بسبب صفتنا الزائلة أو بسبب الإحباط الذى يملأ حياتنا، إنما بسبب أنه لا يمكننا أيضاً أن نكون طاهرين.

إن أيوب قال: اتركه حتى يستريح ويتلذذ بحياته كالأجير.

إن الصفة الزائلة والمتعبة والتعيسة للحياة هى التى جعلته من جديد يتفوه هكذا، وقال: ولأننى مثقل (بالبلايا) وتعيس فأمر (رتب) أن أكون فى سلام (فترة حياتى القصيرة). ثم أظهر أيوب أن الإنسان هو أكثر تعاسة من كل الأشجار والأنهار والبحر.

الإنسان بمجرد موته لا يستعيد الحياة مثل الأشجار

٤- قال أيوب: "لأنه يوجد للشجرة، وحتى لو قُطعت ستزدهر من جديد ولا تخيب فروعها. ولو شاخ فى الأرض أصلها ومات فى التراب جذعها، فمن رائحة الماء تفرخ وتنبت فروعاً كغرس جديد. أما الإنسان الذى قد مات فإنه يختفى تماماً وعندما يسقط المائت فإنه لم يعد موجوداً" (١٤: ٧- ١٠).

ثم أضاف بعد ذلك قوله: «لأن البحر قد ينفذ مع الوقت، والنهر ينشف ويجف. أما الإنسان عندما يرقد رقاد الموت، فلن تعد له هناك أية إمكانية أن يقوم ويستيقظ حتى لو سقطت السموات منحلة، فإنهم (أى الراقدين) لا يقومون من نومهم (أى موتهم)» (١٤: ١٠- ١٢).

إن أيوب يريد القول إن البحر – أيضاً- مع الوقت لن يعانى مصير الإنسان، لكن هذه الحقائق (الكونية) هى خالدة كما قال بعض المؤلفون الوثنيون، وأيوب يريد القول أنه أيضاً بعد وقت طويل تتدفق الأنهار، والأشجار تعطى ظلاً والبحر والنهر لن يختفيان، أما المصير الذى ينتظر الإنسان هو العكس.

آه لو كان يمكننا حتى أن نموت ثم نولد من جديد بعد ذلك! لكن (وآسفاه!) فالأمر ليس هكذا.

٥- قال أيوب: "ليتك توارينى فى الهاوية وتخفينى إلى أن ينصرف غضبك وتعيّن لى أجلاً فتذكرنى. إن مات رجل أفيحيا بعد أن يكون قد أنهى أيام حياته؟ هل انتظر حتى أولد من جديد؟ ثم هل ستدعوننى (آنذاك) وأنا أُصغى لك؟ إنما لا تدفع عمل يديك"

(١٤: ١٣- ١٥).

قال أيوب: إذاً لا يمكن الانتظار، لأنه لو كان هذا ممكناً، لكنت انتظرت حتى أقوم من جديد. «ليتك توارينى فى الهاوية» وسأنتظر حتى أصل إلى هذه الحالة (لأقوم) وسأصغى لندائك، لكن الأمر ليس هكذا. وحتى لو لم يكن شيء من هذا ممكناً، فلا تلفظنى إذ أننى عمل يديك.

لا يمكن للإنسان أن يفلت من الله

٦- "أنت عددت خطواتي، وليس شيء من خطاياى بإمكانه أن يفلت منك، وأنت ختمت على خطاياى فى صرّة بل وأنت تلاحظنى إن كنت قد اقترفت تعدياً لا إرادياً" (١٤: ١٦- ١٧).

قال أيوب: إننى أرغب فى الخلاص لأنى عمل يديك، وليس بالقطع لأنى بار، أو لأنه يمكننى أن أطالبك بالعدل أو لأنك نسيت آثامي، لأنه لا يمكن لأيٍ من خطاياى أن يفلت منك.

٧- ثم أضاف أيوب قوله: "ثم أن الجبل فى سقوطه ينتثر، والصخرة تختفى من موضعها، والحجارة تبليها المياه، وتجرف سيولها تراب الأرض (يقصد شواطئ الأنهار)، وأنت تُفنى مقاومة الإنسان بدفعه إلى نهايته فيختفي، وتقيم وجهك ضده فُيرسل بعيداً. وإن صار بنوه عديدين فهو يجهل هذا، وإن صار عددهم صغيراً لا يعلم هذا، ولا يعرف شيئاً سوى إنه على ذاته يتوجع لحمه وعلى ونفسه تنوح على ذاتها" (١٤: ١٨- ٢٢).

وأيوب كما لو كان يقول: لأن الإنسان الذى يُعاقب، فحتى لو صار بنوه عديدين، فإنه لا يعرف هذا، لأنه بعد موته يُحرم حتى من السعادة التى اعتاد أن يتمتع بها فى حياته. فماذا يفيد أن يترك بعده أبناء طالما هو رحل (ومات)؟

انظر فإن أيوب فى كل موضع يُقرّ بالصفة الزائلة للحياة وباستحالة الرجوع للخلف والعودة إلى الأرض، ويقول: ولنفترض أنه ترك أبناء، فهو على كل حال لا يشعر بغناه ولا

يدرك إن كان نسله كثير أو قليل العدد، إذ هو لا يعرف شيئاً (عنهم). أى شيء أكثر إيلاماً من أن يجهل الإنسان نجاحاته، ويمضى وحيداً عارفاً بأوجاعه (فقط)؟ وإن كان نسله يصادفه الحظ لسعيد بعد موته، فهو بالتأكيد لا ولن يعلمه إنما يعلم شيئاً وحيداً وهو إنما على ذاته يتوجع وعلى نفسها تنوح نفسه.

الإصحاح الخامس عشر

الحديث الثانى لأليفاز

ما الذى تعرفه يا أيوب ولا نعرفه نحن أيضاً؟

١- "أجاب أليفاز وقال: أية إجابة ممتلئة بالذكاء سيعطيها الحكيم؟ وهل شبعت آلام أحشائه فيحتج بكلام لا يفيد وبأحاديث لا ينتفع بها؟" (١٥: ١- ٣).

إن أكثر الأشياء المرعبة أنه بحجة الأحاديث التقوية وتحت بند التشجيع (والتعزية) يهيئ الشيطان أسلحة للفتك. وانظر (أيها القارئ) بأى عنف يضعها فى أحاديثهم، وهم فى ذلك يستخدمون حماقة شيطانية فى الاستهزاء. وحيث أن أيوب قد قال: «أنا أيضاً لى قلب مثلكم والحكمة لن تموت معكم» (١٢: ٢، ٣)، «ما تعرفونه عرفته أنا أيضاً، ولو أنى بالتأكيد أكثر حداثة معكم، لكنى لست أقل منكم فهماً» (١٣: ١٢).

إن أليفاز فى هجومه عليه الآن أشار إلى هذه الكلمات فقال: «أية إجابة ممتلئة بالذكاء سيعطيها الحكيم؟»، وما يقصده أليفاز هو: هل هذا هو الجواب الحسن الذى يقوله من هو حكيم ويدّعى معرفة كل شىء.

لكن (معنى) أن يشبعنى «من آلام أحشائه»أى أن يقال له كلمات قادرة على التعزية، ومع ذلك هو يطفح بوجعه قائلاً: إنه لا يوجد شىء منطقى فى هذه المرافعة، إذ كل شىء فيها مشوش وأثيم.

وأنت (يا أليفاز): هل تستطيع أن تنجد نفسك بنفسك؛ هل ترى (أيها القارئ) كيف أن أليفاز متكبر، وضد من يتكلم؟ فلأن أيوب قال له: «الحكمة لا تموت معكم[1]»، فإنه يريد قلب هذا الإثبات وإظهار أن أيوب لا يعرف شيئاً أكثر منهم.

٢- وقال أليفاز: "ألم تبعد عنك أيضاً المخافة وتمسكت بمثل هذا الكلام أمام الرب، لأنك أذنبت بكلمات فمك ولم تميز كلمات المتجبرين[2]، إن فمك يستذنبك لا أنا، وشفتاك تشهدان عليك. ألعلك ولدت أول الناس أم هل أقمت لتكون لك الرفعة والصدارة؟ هل

---

(١) ١- أى أن الحكمة ليست قاصرة عليكم.

(٢) (٢) ٢- أى تبنيت كلمات المتكبرين.

سمعت وصية من الرب؟أم إليك (فقط) وصلت الحكمة؟ ماذا تعرفه ولا نعرفه نحن، وماذا تفهم وليس هو عندنا؟ عندنا الشيخ والأشيب أكبر أياماً من أبيك. إنك نلت عقوبة عن عدد قليل من خطاياك (ومع هذا) تتكلم بلهجة متكبرة ومفرطة"
(١٥: ٤- ١١).

إنه لم يقل فقط: هل أنت نفسك ولدت قبل العالم لتعرف (الأحداث التى تمت) منذ الأزمنة الغابرة، أو هل أنت تعلّمت شيئاً من فم الله؟ (بل قال أيضاً) أنت لا تزيد علينا إطلاقاً فى المعرفة.

ولأن أيوب قال «يلزم وقت لاقتناء الحكمة» (١٢: ١٢).

(فبادره أليفاز بقوله): أليس حقاً أنك أنت قد وقعت فى المصيدة (من كلام فمك)؟ لأنك بالحق لست شيخاً ولم تولد قبل الكون.

لكن أيوب قال هذا لأن أصدقاءه كانوا متكبرين.

قال أليفاز: إنك نلت عقوبة عن عدد قليل من خطاياك.

وحيث أن أيوب قال: أعلمنى (يا رب) كم هى عدد تعدياتي» (١٣: ٢٣)، لذلك قال له أليفاز بمبالغة من جانبه: إنك لم تُكفّر ولا حتى عن الجزء الأكثر خزياً من خطاياك.

أى مائت هو بلا لوم؟

٣- ثم من جديد هاجمه أليفاز صراحة..

هل قال أيوب يا أليفاز: إننى بلا لوم أمام الله؟ أم أنه قال العكس تماماً «أنت قد سجلت تعدياتى (يا رب)» (١٣: ٢٦)، أى أنك حفظت خطاياى فى ذاكرتك.

قال أليفاز: «ماذا كانت جسارة قلبك؟ أين اتجهت أنظارك حتى إنك تركت العنان لغضبك أمام الرب وتجعل مثل هذه الكلمات (غير اللائقة) تفلت من فمك؟ أى مائت يتزكى أو أى مولود امرأة يمكنه أن يُعتبر مثل بار، إن كان هو نسب ملامة للقديسين، والسموات غير طاهرة أمامه والنجوم ليست بلا لوم؟» (١٥: ١٢- ١٥). ثم أضاف أليفاز بعد ذلك قوله: «وآسفاه، فإنه بغيض وفاسد الإنسان الشارب الإثم كالماء» (١٥: ١٦).

انظر (أيها القارئ) كيف ضربه أليفاز وكيف أظهر أن ضلال أيوب كان طبيعياً.

٤- «إننى سأعلن لك فاسمعنى حسناً، وما رأيته (أنا) الضبط. سأعلن لك ما أخبر به حكماء عن آبائهم فلم يكتموه (فى أنفسهم). الذين لهم وحدهم أُعطيت الأرض ولم يقم عليهم غريب.

إن كل حياة الشرير تنقضى فى القلق والاضطراب وسنوات معدودة مقدمة للعتاة ورعب الله يملأ أذنيه. وعندما يظن أنه فى سلام، حينئذ يرى وصول خرابه. إنه لا يأمل فى الإفلات من الظلمات، لأنه قد أُسلم الآن إلى قوة السيف وسقط فى الفناء وتعيّن مأكلاً للنسور. وهو يعرف داخلياً أنه مُعد (حرفياً مدان) للهلاك» (١٥: ١٧- ٢٣).

ولأن أيوب قال: «يلزم وقت لاقتناء (حرفياً اكتشاف) الحكمة» (١٢: ١٢)، فإن أليفاز رد بقوله «ما أخبر به حكماء عن آبائهم فلم يكتموه (فى أنفسهم)»، ثم أضاف قوله «لم يقم عليهم غريب»، أى أن الحكماء هم الذين ينعمون بالسلام ويشركون فيه نسلهم.

«لم يقم عليهم غريب» أى أنهم لم يعانوا حرباً أو يروا قتالاً أو يعرفوا ثورات (عليهم)، إنما يقفون دائماً مع النبلاء والأبطال. وليس فقط يبقون أحياء، بل أيضاً يمتلكون قوة وسلطاناً عظيمين وهم مستمتعون بسلام عميق.

إن كل حياة الشرير تنقضى فى القلق والاضطراب، وعندما يصيروا فى سلام (خارجى) فإن ضميرهم هو الذى يجوز هذا القلق والهّم.

سنوات معدودة مقدمة للعتاة الذين هم ظالمون، وهو قال «سنوات معدودة» لأن الطغاة زائلون.

عندما يظن أنه فى سلام، حينئذ سيرى وصول خرابه: إذاً فإن أيوب علم أن الحرب أتته من فوق، وأنه لا يوجد مجال لأى تغيير من جهة بلاياه.

إنه تعيّن مأكلاً للنسور، أنه قد أُسلم إلى قوة السيف:

لاحظ (أيها القارئ) هذا أيضاً: أن موته مثير للشفقة، فهو موت لا يتطابق مع الناموس العام للطبيعة، بل هو ثمرة للعنف والحرب والقتال، وبعد الموت لن يكون له قبر أو جنازة، وليس فقط سيُحرم من القبر، بل أيضاً سيصير «مأكلاً للنسور»، وهو يعلم داخلياً أن الهلاك ينتظره. وهذا الإحساس المسبق للأحداث هو من أكثر الأشياء المؤلمة للإنسان عندما تُعلن له ويُخبر بها مقدماً.

٥- "إن يوم الظلمة سيجتذبه إلى عاصفة، ضيق وشؤم يضغطانه، ويسقط مثل قائد ذا منزلة رفيعة لأنه رفع يديه على الرب. نعم لأنه قسّى رقبته على الرب القدير وركض ضده بوقاحة محتمياً بالغلاظة الدائرية لترسه، لأنه أخفى وجهه تحت شحمه (الكثيف)" (١٥: ١٧- ٣٢).

وكما أن القائد شهير ومرئى تماماً (للكل) ويقف فى مركز معرّض للخطر، فيسقط فى الحال، ولأنه يأمر الآخرين، فإنه يسقط قبلهم، كذلك نفس الأمر للشرير.

انظر (أيها القارئ) أى مثال أعطاه أليفاز. فماذا تفيد كرامة وسلطان الرئيس «لأنه رفع يديه ضد الرب»؟

٦- بعد ذلك أعلن أليفاز عن اللعنات التى تتم بكل طريقة فقال: "إنه وضع وسادة من شحم على فخذه وكان تكبره مخيفاً فيسكن فى العراء فى مدن خربة، ويدخل فى بيوت لا سكان فيها، وما أعدّه (من خيرات) سيحمله آخرون (لأنفسهم). فلن يصير غنياً على الإطلاق ولا تدوم ثروته، ولن يُلقى ظله على الأرض ولن يستطيع أن يفلت من الظلمة وستيبس الريح زهره فيسقط ولا يظن أنه سيدوم لأن نهايته ستكون باطلة" (١٥: ٢٧- ٣١).

ثم أضاف أليفاز قوله بعد ذلك: «حصاده سيهلك قبل الأوان وفرعه لن يزهر ويُجمع قبل الأوان مثل عنب غير ناضج ويسقط مثل زهر الزيتون، لأن الموت يشهد على الشرير والنيران تأكل بيوت الذين ارتشوا ويحبلون بأوجاع بطنهم لأن نهايته باطلة وأحشاؤه ستعانى من ثقل الألم» (١٥: ٣٢- ٣٥).

إن أليفاز يركز فى كل موضع على ما هو مُعدّ (للشرير) ولم يتم بعد.

«لأن الموت يشهد على الشرير»

أى أن دحضه واتهامه (لومه) يشهدان للآخرين أن كل الأشرار ينبغى أن يعانوا هكذا، وعلاوة على ذلك «الموت يشهد على الشرير» بمعنى أنه سيكون موتاً واضحاً وظاهراً ولا يجهله أحد.

الإصحاح السادس عشر

رد أيوب

سهل تصنع الحكمة عندما يتعلق الأمر ببلايا الآخرين

١- "فأجاب أيوب وقال: قد سمعت كثيراً مثل هذا. معزون متعبون كلكم!" (١٦: ١، ٢).

إن أليفاز تكلم هكذا كما لو كان الأمر يختص بشيء شهير، وتكلم كما بحديث يأتى من الشيوخ راجعاً ثانية إلى كلامه منذ البداية.

قال أيوب: أليس ما تقولونه واضح؟ ولكن حيث أنكم تتكلمون بطريقة سطحية وتقولون ما يخطر على بالكم دون وزن لكلماتكم، فلا تعودوا تثورون عليّ إن كنت أُعبّر عن خواطر نفسى.

٢- قال أيوب: "هل يوجد شيء منطقى فى الكلمات الفارغة؟ أو ما الذى يمنعكم عن الإجابة؟ أنا أيضاً سأتكلم كما تفعلون. آه لو كانت نفسكم مكان نفسى، لكنت حينئذ هاجمتكم بكلمات وهززت رأسى عليكم. ولو كانت توجد فى فمى قوة لما كنت أحجمت عن تحريك شفتى (تهكماً)" (١٦: ٣- ٥).

قال أيوب: أريدكم أن تكونوا فى موقفى وموضعى، لكنت هززت رأسى أيضاً عليكم ولعملت ما تعملونه، ولصار حينئذ رأيكم ألا تتصنعوا الحكمة من جهة بلايا الآخرين. لكننى سأتكلم الآن أيضاً، لأن التكلم يجلب لى تعزية، لأنه لو تكلمت سأسكّن أوجاعى، بينما لو صمت لن تضعف آلامى وتقل قيمتها (أى نوعيتها الشديدة).

احتاج إلى قول: إن الله قام عليّ

٣- "إن تكلمت فلن أتألم من جرحى، لكن إن صمت ما الذى يخفف جرحى؟" (١٦: ٦).

أو أيضاً هو يريد القول: لو كنت مكانكم وخالٍ من البلايا، حينئذ كنتم ستفهمون، لأنى عندما تكلمت لا أتألم. ثم يذكر أيوب بليته من جديد.

٤- "لكن الآن هو جعل منى أحمقاً مكسوراً من التعب، وبجسد متحلل. وأنت (يا رب) وضعت يدك عليّ. كذبى صار شهادة ضدى، تجيبنى فى وجهى. إنه ضربنى فى غضبه وجز

أسنانه عليّ وسهام تجاربه سقطت عليّ وهاجمني متسلحاً بقوسه وضربني بسهامه في وجهي وطرحني أرضاً بضربة صاعقة، وباتفاق تام هجم الأقوياء عليّ. لأن الرب أسلمني ليديّ الظالم، وفي أيدي الأشرار طرحني. وعندما كنت في سلام زعزعني (حرفياً شتتني)، وأمسكني من شعري ونزعه وجعل مني هدفاً. أحاطوا بي بحرابهم وضربوني في كليتي دون إشفاق وسفكوا إلى الأرض حياتي، ضربني ضربة تلو ضربة، الأقوياء هجموا عليّ" (١٦: ٧- ١٤).

قال أيوب: أنه لم يكفِ أنني عوقبت، بل يتبغى أيضاً أن أبدو كأحمق!

أو أنه يريد القول: إنني خرجت عن اتزان عقلي الطبيعي. بعد ذلك يقدم أيوب الله بطريقة بشرية كمن هو يحارب ضده بشراسة.

٥- **قال أيوب: "إنهم خاطوا مسحاً على جلدي وأهدروا قوتي في الأرض**" (١٦: ١٥).

أي أن الله سوّده. سواء كان السبب الآلام التي حلّت به أو المُسح الذي أحاط به.

أصرخ إلى الله: أريد أن أترافع في محضرك

٦- **"أحشائي (حرفياً بطني) يبست بسبب التأوه، وعلى أجفاني امتد ظل الموت، ولم يوجد في يديّ ظلم، وصلاتي كانت نقية. ليت الأرض لا تغطي دمي**" (١٦: ١٦- ١٨).

إنها عادة عند من يتألمون ألا يكتمون شكواهم (حرفياً بلاياهم). وأيوب يقول: مع أنني لا أشعر أنني اقترفت إثماً ، فأنا بالمقابل أريد أن يرى الجميع ما أتألم به.

٧- **"ليت صرختي لا تجد موضعاً تختفي فيه**" (١٦: ١٨)

أي لا تكتم يا رب صرختي.

«والآن هوذا في السموات شهيدي ولي مُجيب في الأعالي. ليت طلبتي تصل إلى الرب، وليت عيني تدع دموعها تسقط قطرة، قطرة في محضره» (١٦: ١٩، ٢٠)

إنه كاد أن يقول: ليت الله يسمع هذا، ليت الله يرى هذا!

٨- **"ليتني أستطيع أن أترافع عن قضيتي في محضر الرب كترافع الإنسان عند صاحبه**" (١٦: ٢١).

أي أنني في خصام مع الله.

ومن جديد عاد أيوب إلى نفس الموضوع.

الإصحاح السابع عشر

بقية رد أيوب

صرت هدفاً للاستهزاء والأبرار اضطربوا

١- "إننى هلكت وحملتنى الريح وأطلب قبراً فلا أناله. تعبت من التوسل فماذا أفعل؟ غرباء سرقوا ممتلكاتي. من هو هذا الشخص؟ ليته يربط بيدى. لأنهم طرحوا الحكمة عن قلبهم، فإن الله لن يعظّمهم أبداً. إنه سيعدُ رفقاءه ببلايا. عيني سالت (من الحزن) على أبنائى. لقد جعلتَ منى غرضاً للأحاديث بين الأمم، وصرت لها هدفاً للسخرية. عينى تعكرت من الغضب والكل حاصرنى بقسوة. إحساس بالحيرة اجتاح الناس الطيبين بسببى، لأن الشرير قام ضد البار"

(١٧: ١- ٨).

(يقول أيوب) إننى لا أستطيع القول إننى صرت مثاراً للشفقة، الأمر الذى هو سائد لمن هم فى البلايا، بل إننى تحولت إلى هدف للسخرية من قبل الجهلاء، والأبرار أُصيبوا برعب بسببى. فكيف يمكن لفاضل أن يتمسك بعد الآن بطريق الفضيلة؟

٢- "لكن دع الصدّيق يتمسك بطريقه، ومن هو طاهر اليدين يتشجع"

(١٧: ٩).

لكن كيف يحتفظ إنسان بشجاعته، بينما تتم هذه الأحداث هكذا على غير التوقع؟ كيف لا يؤخذ فى الاعتبار ما حدث لى، وكيف سيثبت الآخرين على طريق الفضيلة؟

ولكنى أدعوكم (يا أصدقائى) إلى الحكم بطريقة جيدة.

لماذا انتظر؟ إننى أريد الموت

٣- "لكن على كل حال تقووا وتعالوا، مع أنى (حرفياً لأني) لا أجد فيكم حقاً. أيامي عبرت فى التنهد. أوتار قلبى قد انقطعت (حرفياً انكسرت). لقد جعلت من الليل نهاراً. النور قريب، بعيد عن الظلمة. لأنى إذا انتظرتُ، فالهاوية ستصير بيتى. مهدتُ فراشى فى الظلام ودعوت الموت ليكون أبى والدود ليكون أمى وأختى. فأين رجائي؟ هل سأرى

ممتلكاتى من جديد؟ هل ستهبط معى إلى الهاوية؟ هل سأنزل معها إلى القبر"
(١٧: ١٠- ١٦).

يقول أيوب: أنتم تقولون لى انتظر، (لكن) إلى متى انتظر؟ هل إلى الهاوية؟ فهى التى تستعد لاستقبالى.

«لأنى دعوت الموت ليكون أبي»

أى أن الموت شىء مستحب بالنسبة لى، وينبغى لى على كل حال أن أمضى إلى هناك.

الإصحاح الثامن عشر

الحديث الثاني لبلدد

اصمت قليلاً لنستطيع أن نتكلم

١- "فأجاب بلدد الشوحي وقال: إلى متى ستستمر بعد (في الكلام)؟ توقف قليلاً لنتكلم نحن أيضاً. لماذا احتفظنا بالصمت أمامك كالبهائم، بينما أنت أطلقت العنان للغضب؟" (١٨: ١- ٤).

انظر (أيها القارئ) إلى من يحاكمون، انظر إلى من يريدونه أن يغلق فمه. إن هذا ليس موقف من يسعون إلى تعزيته، بل على العكس هو موقف من يسعى لإثارته والاستهزاء به.

إن قال بلدد: «توقف لنتكلم نحن أيضاً». فلماذا أنتم حاضرون (يا بلدد)؟ أليس لكي تتكلموا أنتم أيضاً.

قال بلدد: «لماذا احتفظنا بالصمت أمامك كالبهائم؟»

أتنظر إلى غيرتهم (أيها القارئ)؟ إنهم يعتبرون الصمت كإهانة بل وأسوأ الحماقات. إن هذا ليس موقف من يسعى لتعزيته.

قال بلدد: إن أيوب بمفرده سيفعل أكثر من هذا، ونحن على كثرتنا سينتصر علينا ويغلبنا.

انظر إلى من يسعون إلى توجيه اللوم له على مدى كل أحاديثهم. انظر إلى من يوبخونه ويلومونه (بلا مبرر).

هل موتك له أهمية كبيرة؟

٢- "فهل ستصير المسكونة بلا سكان لو مت، أم الأرض ستُنزع من أساساتها؟" (١٨: ٤).

حيث أن أيوب لم يتوقف عن النحيب بقوله إنه يريد الموت... لذلك قال بلدد متسائلاً: أي نوع من التعزية في الموت؟ وما هي الطريقة الأخرى التي نستطيع أن نثنيه بها عنه؟

ألعل البسيطة ستصير بلا سكان أم أن أيوب ذكر موته (بإلحاح) وكأن حياته المشتركة معنا لها قيمة عظمى؟

لكن فى الحقيقة فإن أيوب قال العكس، لماذا تقول هذا يا بلدد مع أن أيوب قال: إن الإنسان لا شيء، وهو لا يستحق أى ذكر.

ثم أن بلدد أتهم الأشرار أيضاً بطريقة حمقاء وعرضاً ليشدد على مقولته الحالية. إن أصدقاءه لم يفلحوا فى أن يوبخونه على عمل شرير. لكن انظر إلى ضلالهم، فهم فى قولهم أن البلايا العظيمة تحدث للأشرار، يأخذون كمثال لها البلايا التى يعانيها أيوب ويمزجون بلاياه فى أحاديثهم كما لو كانوا يريدون إظهار أنهم يلّمحون عليه. فليلاحظ وينتبه من يحكم، فليحكم على ما يخص الآخرين كما إلى نفسه.

حسن للأشرار أن يعرفوا بليتهم

٣- **قال بلدد: "نعم نور الأشرار ينطفئ"** (١٨: ٥).

لأنهم كانوا سابقاً فى السعادة «ولا يضئ لهيب نـــاره. النور يظلم فى خيمته وسراجه فوقه ينطفئ. وليستولى على أملاكه أناس تافهين» (١٧: ٥- ٨). هذا أيضاً حدث لأيوب. «لتفشل خططه وليسقط قدمه فى الفخ!» (١٨: ٧- ٨)، أى يُمسك ولا يستطيع الإفلات. «ليُمسك فى الشبكة!» (٨: ١٨).

٤- **"ولتقتنصه شباك وتحيطه، وأناس متعطشون لهلاكه يتفوقون عليه، وفخ مطمور فى الأرض مخصص له، وكمين موجه ضده معد له فى طريقه، وأيضاً تحيط به أوجاع وتهلكه!. وليسقط تحت أقدام الكثيرين فريسة لجوع شديد! وزلة على الملأ فى انتظاره، ولتتآكل بطن قدميه وليأكل الموت حُسنه"** (١٨: ٩- ١٣).

هذا ما حدث لأيوب.

٥- **"لتختفى الصحة من مسكنه"** (١٨: ١٤).

هذا أيضاً واقع أيوب الحالى.

«لتستولى البلية عليه وبقرار من الملك» (١٨: ١٤).

اعتقد أن الله هو المقصود فى عبارة «بقرار من الملك» لكن لو تحدث بلدد هنا عن

قرار بشرى، فإنه (قصد) خلط الكلام أيضاً بما لم يحدث له لكى لا يبدو أنه يتكلم ضد أيوب.

٦- **"إنه سيقطن فى خيمة جسده، وجماله سيُشوه، وأصوله تيبس من عمقها، وضربة من السماء ستهبط عليه ولينقطع ذكره من الأرض"**

(١٨: ١٥- ١٧).

قال بلدد: إن أبناءه لن يعرفوه، وهذا بالضبط ما حدث لأيوب. والكتاب يقول: «أحبائى وأصدقائى اقتربوا منى وقاموا عليّ» (مز ٣٨: ١١بحسب النص).

٧- **"وليُلفظ اسمه علانية، وليسقط من النور إلى الظلمة ولا يكون معروفاً لشعبه، ولا يُحفظ بيته على الأرض (له) بل يعيش على خيراته غرباء. المتأخرون يتأوهون وتصيب الدهشة الأولين"** (١٨: ١٧- ٢٠).

أى الآتين أولاً، ولكن (تشمل) أيضاً من كانوا بمعزل عنها (ومعاصرين لحدوثها).

"هكذا تكون مساكن الأشرار، وهكذا يكون موضع من لا يعرفون الرب" (١٨: ٢١).

الإصحاح التاسع عشر

رد أيوب

لماذا تسحقوننى بأحاديثكم

١- **"فأجاب أيوب وقال: حتى متى تعذبون نفسى وتسحقوننى بالكلام؟"** (١٩: ١، ٢).

انظر إليهم (أيها القارئ)، فإنهم ليس فقط لم يجلبوا له أية تعزية، بل أيضاً عملوا العكس متضامنين مع الشيطان، ومتحدين فى محاربة أيوب وسحق قوته.

وكأن ما مر به من أحداث لم يكفيه.

انظر إلى الثلاثة معاً وقد تبنوا – كرجل واحد – نفس اللهجة (الهجومية) فى الكلام معه.

٢- **قال أيوب: "فقط اعلموا أن الرب هو الذى عاملنى هكذا"** (١٩: ٣).

أى ليت ـ على الأقل ـ أن مركز من عاقبنى يجعلكم تغيّرون رأيكم. ولا ينبغى أن ندوس تحت أقدامنا أناساً عاقبهم الله مثله، بل ينبغى أن نتأوه ونحزن على مصيرهم، وعلى الأخص لا ينبغى الشماتة من موت أى شخصٍ، لأنه لن يظل بغير عقاب من يتناسى قدرة (ومركز) من عاقبه.

٣- **قال أيوب: "أنتم تتكلمون ضدى دون خجل منى وتزجروننى. نعم حقاً وبالحقيقة أننى ضللت ويوجد فيّ خطأ، ونطقت كلمة لا ينبغى أن أتفوه بها، وكلماتى حادت وخرجت عن الصواب"** (١٩: ٣- ٤).

إن أيوب قال هذا على سبيل التنازل، وهو دائماً يتصرف هكذا مكثراً من التنازلات، ولم يترك الحديث يفتر عند هذه النقطة بل عاود الجهاد من جديد.

فقال أيوب: لنفترض (يا أصدقائي) أنكم توبخون الغباء العظيم والثرثرة الفارغة واللامعقولية التى فى كلماتى، لكن لا ينبغى لكم أن تسبوننى حتى لو كان الأمر هكذا، بل ينبغى أن تحترموا بليتى وتخشوا ممن ضربنى، وتغفرون لى لأجل عظم بلاياى.

٤- **قال أيوب: "لكن وآسفاه! وحيث أننى صرت لكم فرصة للتصلف وتهينوني بتوبيخاتكم، فاعلموا أن الرب هو الذى كدرني"** (١٩: ٥- ٦).

ماذا تعنى هذه الكلمات؟ هل تعنى أنه يلزم الاحترام والخشية؟

فى رأيى أنه يريد التمليح بهذا، وأنه إن كان يعانى كثيراً، فهذا أيضاً ليس بسبب أخطائه.

وإن ابتلى الله إنساناً، فهل هذا الإنسان يتألم دائماً لأجل خطاياه؟ كذلك ولا أيوب أيضاً (تألم لأجل خطاياه) إنما لكى يُجرب ويظفر بأكاليل أكثر.

٥- **قال أيوب: "إنه أقام حصنه ضدى. هوذا سأتكلم فى صور (تشبيهية) ولن أتكلم"** (١٩: ٦- ٧).

أى سأعبّر عن نفسى بوضوح فى صور (تشبيهية)، أو كما لو كنت أتحدث مع شخص ما.

«سأصرخ وليس حكم» (١٩: ٧).

هذه هى النقطة الأساسية فى بليتي: لا أحد يسمعنى، لا أحد يحكم، لا أحد يجيب. ألا ينبغى الإشفاق على هذا الإنسان؟ إننى لا أرى إنساناً (يقف بجانبي)، و(أنا) مُحاصر من كل الجوانب، وأصرخ ولا أحد يسمعنى.

٦- **قال أيوب: "إننى مُحاط بسور مرتفع يستحيل عليّ تخطيه وعلى سبلى جعل ظلاماً"** (١٩: ٨).

إنه يقصد سبل فكره أو سبل مسلكه، وهذا يعني: إن الله أغرقنى فى الظلمة ولست أعلم إلى أين أذهب، إننى أعمى وعاجز.

٧- **"أزال عنى كرامتى ونزع تاج رأسى. إنه مزقنى من كل جهة، فطلبت الرحيل (أى الموت)"** (١٩: ٩- ١٠).

قال أيوب: لكنه قيدنى من كل جهة، وأنا لا أراه أو أرى أى شخص آخر.

٨- **"إنه قلع (حرفياً هدم) مثل شجرة رجائى، وأضرم عليّ غضبه وحسبنى كأعدائه وهاجمتنى جماعاته المسلحة كرجل واحد، ومجرمون أحاطوا بطرقي"** (١٩: ١٠- ١٢).

إنه يقصد من تآمروا ضده وسلبوا بهائمه. كثيرة هى حيل الشيطان. الذين قد بقوا عائشين من أقربائه جعلوا بليته عديمة الاحتمال أكثر من الذين ماتوا. فالآخرون لم يعد بإمكانهم أن يصنعوا له شيئاً الآن، بينما الأحياء وبخوه ورفضوا أن يسمعوا له وتكلموا ضده.

الكل حادوا عنى – أشفقوا عليّ (يا أصدقائي)

٩- قال أيوب: "ابتعد إخوتى عنى، وفضّلوا معرفة الغرباء عنى، وأصدقائى صاروا عديمى الشفقة. أقربائى تجاهلونى عن تصنع، والذين عرفونى بالاسم نسونى. جيرانى، أقربائى، خدمى وعبيدى اعتبرونى كأجنبى. صرت فى أعينهم غريباً. دعوت عبيدى فلم يجيبوا، بفمى تضرعت بإلحاح. توسلت إلى زوجتى، دعوت متودداً إلى أبناء سراريّ، لكنهم جحدونى تماماً. عندما أقوم يتحدثون ضدى، الذين رأونى اشمئزوا منى والذين أحببتهم قاموا ضدى. تحلل لحمى تحت جلدى وعظامى انضغطت من الآلام. اقتربوا منى وأشفقوا عليّ يا أصدقائى. أشفقوا عليّ لأن يد الرب مستنى. لماذا تطاردوننى كما الرب؟ ألم تشبعوا من لحمي؟ من يمكنه أن يضمن لى أن كلماتى ستُكتب؟" (١٩: ١٣- ٢٣).

إنه يقصد: إما عن قصة بليته أو عن حياته وعن أعماله الفاضلة التى تشهد لهم أنه لم يكن شريراً. وهذا آت مما يشعر به فى نفسه. فهو قال: إننى متأكد أننى لم اقترف ظلماً نحو إنسان، وأريد بعد هذا أيضاً أن تُكتب قصة بليتى، لأن هذا الأمر سيجلب لى بعض التعزية.

أريد أن تُحفر (فى صخر) كلماتي: أنا أعلم أن الله سيخلصنى

١٠- "(من يتيح أو يضمن لي) أن كلماتى تودع فى كتاب إلى الأبد بقلم من حديد، وتُنقر على الرصاص أو على الصخر؟" (١٩: ٢٣، ٢٤).

وهوذا قد كُتبت (كلماتك يا أيوب) ليس بقلم من حديد، بل بطريقة أفضل لم تخطر لك. لأنه لو كتُبت كلماته (كالمعتاد) لكانت قد مُحيت مع الوقت، لكنها كتُبت بطريقة أفضل (إذ تسجلت ضمن الأسفار المقدسة).

١١- قال أيوب: "نعم أنا أعلم أنه أبدى ذاك الذى سيخلصنى على الأرض" (١٩: ٢٥).

أى الله هو الذى سيخلصنى فى الأرض. وماذا يعنى هذا؟ لو كان الله خالداً (وهو بالحق كذلك)، فلماذا تريد أن تُكتب كلماتك، ويبقى تذكارك إلى الأبد بطريقة لا تُمحى؟

لاحظ (أيها القارئ) نفسية من هم فى البلية. إنهم يريدون، ليس فقط من هم معاينون فعليون للأحداث، بل أيضاً الذين سيأتون فيما بعد أن يشهدوا على بلاياهم بطريقة تجتذب – إن جاز القول – من كل الأوجه بعض التعاطف لهم.

وأنا اعتقد أن هذا بالضبط ما جازه الغنى الذى جاء ذكره فى الإنجيل (انظر لو ١٦: ١٩) عندما أراد أن يُعلم من هم على الأرض ببلاياه وفى أى موقف يوجد من عاش من قبل فى الرخاء.

١٢- "**إنه سيقيم جسدى الذى عانى هذه الآلام، لأن الرب هو الذى سببها**" (١٩: ٢٦).

هل يعلم أيوب بعقيدة القيامة؟ أنا اعتقد بهذا بل وقيامة الجسد[١]: على الأقل لن نقول إن القيامة التى تحدث عنها هى التخلص من البلايا التى ضغطته. لهذا السبب قال أيوب أنه حتى بعد خلاصى (من هذه البلايا) أريدها أن تكون خالدة.

إن هذه طريقة فى منتهى الحكمة أن يضع الإنسان أمام عينيه عقوبات الله له حتى بعد أن تمضى. وعلى أية حال كانت هذه هى الطريقة التى استخدمها الله نفسه فى حالة الصفائح النحاسية (انظر عدد ١٦: ٣٩، ٤٠)، وفى حالة السادوميين والحية النحاسية، وفى الأماكن التى ارتبط اسمها بعقوبة كما قال بالأخص من جهة وادى عخور فى الماضى (انظر يش ٧: ٢٤- ٢٦؛ هو ٢: ١٥؛ إش ٦٥: ١٠).

قال أيوب: «لأن الرب هو الذى سبب هذه البلايا».

إن أيوب محق فى قول (أن) الرب سيكون السبب الحقيقى فى تغيير حاله، إذ قال «لأن الذى ضرب هو الذى سيشفي» (٥: ١٨).

١٣- "**أنا الذى أدرك (في نفسي) ما رأته عيناى وليس آخر. لكن كل شىء تحقق لى فى حضني**" (١٩: ٢٧).

(١) ١- حول إيمان أيوب بقيامة الجسد، يبدو لى أن مركز ذهبى الفم مذبذب بعض الشيء، وهذا يرجع بدون شك إلى إمكانية التفسير المزدوج لكلمة أناستسيس اليونانية وهى تعنى القيامة (للجسد أيضاً فى مفهوم العهد الجديد)، أو القيامة من المرض أو إعادة التجديد. فمن جهة أيوب قال ذهبى الفم فى تعليقه على (٧: ١٧) «يبدو لى أن أيوب يجهل عقيدة القيامة، لأنه لو عرفها لما كان مثقلاً بهذا القدر». وهنا على العكس يبدو ذهبى الفم أكثر تأكيداً على معرفة أيوب بقيامة الجسد، لكنه يلمح للتطبيق الآخر لهذه الكلمة وهو الخلاص من البلايا التى ضغطته. وفى الرسالة الثانية لذهبى الفم إلى الشماسة أوليمبيا كان كلامه قاطعاً إذ قال «كان أيوب باراً و(لكن) لم تكن لديه أية فكرة عن القيامة..».

قال أيوب: فى الواقع أنه ليس إنسان هو المسئول عن هذه المكيدة. وعلى ذلك ما حدث لبهائمى، فأنا أعلم مما حدث لجسدى أنها ضربة من الله.

لهذا السبب تكلم أيوب عن «**الذى أدركه** (فى نفسه)»

(قال أيوب): لى معلّم قادر على أن يوضح لى أن الضربة وراءها الله. فهذا ما حدث لى (بالضبط).

فمثلاً عندما قال أيوب: «لأنى أشتّم طعامى كرائحة أسد مقزز» (٦: ٧)، فهذا لم يكن نتيجة لمرض عادى (حرفياً طبيعي)؛ إذ أن جسده قد سقط (أى تهرأ) منذ وقت طويل. ولكى لا يظنوا أنه تكلم هكذا وكأن ضميره شرير، لذلك أضاف قوله «حفظت وصيتك» (مز ١١٩- ٦: ٨)[1]، لكن إن لم تصدقوننى وتناقضوننى فاخشوا مما هو مخفى فى المستقبل، إذ ينبغى أن يهلك على كل حال من عاش فى الشر، وأنا أعانى هذه البلايا لأننى عشت فى الضلال، حينئذ أنتم أيضاً ينبغى أن تخشوا وتخافوا من هذه البلايا!

احترسوا فى كلامكم

١٤- "لكن لو قلتم أيضاً: ماذا قلنا ضده وأى علّة نقاش وجدناه فيه، فاحترزوا أنتم أيضاً لأن تدانوا، لأن الغضب سيهبط على الأشرار وسيدركون حينئذ أن قوتهم لم تعد موجودة" (١٩: ٢٨، ٢٩).

(١) ٢- بالطبع هذا القول هو لداود النبى وليس لأيوب، لكن هناك قول لأيوب يوفى بنفس الغرض وهو «أخفيت كلماتك فى حضنى (أى فى قلبي)» (٢٣:١٢).

الإصحاح العشرون

الحديث الثاني لصوفر

أنت (يا أيوب) لا تفهم شيئاً

١- **"أجاب صوفر النعماني وقال: إنني لم افترض أنك كنت هكذا، وأنك ستعطى هذه الإجابة"** (٢٠: ١، ٢).

انظر هوذا ملامة موجهة لأيوب «وأنا لا اعتقد إنك تفهم أكثر مني» (٢٠: ٢)، أى لا أظن أنك تجهل ما هو واضح ويتبع قانوناً خاصاً لا مجال للتزييف فيه (أى هو من البديهيات)، والذى أنا أعرفه (أيضاً).

٢- **"سأسمع توبيخى الخزى وروحٍ (من) فهمي يجيبني. ألم تفهم هذا منذ الوقت الذى جُبل فيه الإنسان على الأرض؟"** (٢٠: ٣، ٤).

هل حدث شيء جديد منذ الوقت الذى ظهر فيه العالم؟

لم يحدث هناك شيء غير عادى أو أى اختراع (جديد)، أو أى تغيير.

ألا تنظر مصير الأشرار؟

٣- **"لأن فرحة الأشرار هى عثرة مهلكة ومسّرة الفجار هلاك"** (٢٠: ٥).

فإن كانت «فرحتهم هى عثرة مهلكة»، و«مسرتهم هلاكاً» فقل لى: أين نسمع عن هلاكهم وأين نسمع عن ألمهم وعن يأسهم؟

صلاة الشرير لا تُسمع

٤- **بعد ذلك إذ يريد صوفر أن يُظهر أن الضربة أتت من فوق فيقول:**

"لو أن تقدماته صعدت إلى السماء، ولو أدركت ذبائحه السحاب عندما يظن أنه قد توطد، حينئذ يهلك تماماً، ومن قد رأوه يقولون: أين هو؟ كحلم يطير فلا يمكن أبداً أن نجده، ويختفي كطيف الليل. لأن العين أبصرته دون أن تقدر أن تمسك به، والمكان الذى شغله لم يعد يراه، وليَهلك أكثر الضعفاء بنيهم! وأيديهم تلمس الأوجاع!" (٢٠: ٦- ١٠).

هذا أيضاً ما قاله داود: «مررت بالقرب منه فإذ هو ليس بموجود، والتمسته فلم يوجد» (مز ٣٧: ٣٦)، أى أن خرابهم يحدث فجأة، لكى لا تظن أن بليتهم أتت بطريقة طبيعية، بل تؤمن أن هذا يوافق قوة إلهية وغير عادية، ولا تعد تكلمنى عن جرائمهم بل ولا حتى عن ذبائحهم، إذ أن ما قدموه من ذبائح هو غير مفيد بالمرة.

قال صوفر «ليُهلك أكثر الضعفاء بنيهم!»

هذا أيضاً يبين بوضوح أن الضربة آتية من فوق، إذ أن الناس الأدنياء ينتصرون على الأكثر قوة، والذين هم مُعدمون (بلا قوة) يغلبون من لديهم القوة.

الشرير يفقد كل ما اقتناه ظلماً

٥- قال صوفر: "عظامه ملآنة بحمية شبابه ومعه فى التراب تضطجع. مع أن الشر حلو فى فمه ويخفيه تحت لسانه، فهو لن يداريه ولن يتركه بل سيحفظه وسط حنكه. وسيستحيل عليه أبداً أن ينجد نفسه بنفسه، فسُم الأفعى والوجع فى بطنه، وسيتقيأ خارج أحشائه الثروة التى جمعها ظلماً" (٢٠: ١١- ١٥).

قال صوفر:حتى إن حفظ الثروة فى مأمن، كما داخل أحشائه، فإنه يلقيها عنه ثانية بوجع، وهذا هو ما يعنيه بكلمة «سيتقيأ». ويقول صوفر هذا ما يحدث للأغنياء، إذ أنه ملعون لأجل هذا الغنى الذى كان يفتخر به.

٩- قال صوفر: "إن ملاك الموت سيقتلعه من بيته. وليمتص سُم الحيات وليهلكه لسان الحية. فلا يرى لبن قطيعه ولا زاده من العسل والزبد. إنه قد تعب بدون فائدة وباطلاً لثروة لن يذوقها كمثل لحم متيبس صعب المضغ ويستحيل بلعه، لأنه دمر مساكن كثير من الضعفاء ونهب بيوتهم مع أنه لم يبنها. لهذا السبب لن تجلب له ممتلكاته الخلاص وهى لن تزدهر ولن تخلصه رغبته. ولن يبقى له شيئاً من إمداداته (مؤن – تموين). وعندما يظن أنه قد امتلأ (خيراً) سيتثقل (بالكروب) وكل الضيقات ستحل عليه وتمل بطنه. وليرسل الله عليه حمو غضبه وليصوب أوجاعاً ضده، ولا يفلت بأية طريقة من قوة السيف وليجرحه قوس نحاسى وليخترق سهم جسده ولا تعبر النجوم فوق خيامه ولتحل عليه المفزعات! ولينتظره ظلام تام، ونار لا تُطفأ تأكله ولينهب غريب بيته، ولتكشف السماء أخطاءه ولتقوم الأرض ضده! وليجتذب الخراب بيته إلى الهلاك ويوم غضب يقوم ضده" (٢٠: ١٥- ٢٨).

هكذا يعامل الرب الشرير

٧- بهذه الكلمات أشار (لمح) صوفر إلى أيوب وقال أيضاً "هذا هو النصيب الذى يحفظه الرب للشرير، وامتلاك خيراته حدده[1] له الرب الذى يرى كل شيء" (٢٠: ٢٩).

لاحظ أن كلا الاثنين، على اختلاف آرائهما، تلاقيا، الواحد كما الآخر عبّرا عن نفس الحقيقة وهى أن الأشرار سيهلكون.

(١) ١- هنا يقصد أن الرب يحدد فترة معينة يمتلك فيها الشرير المال والجاه.

الإصحاح الحادى والعشرون

رد أيوب

انظروا معى بالأحرى ما حدث فى الحقيقة

١- **"أجاب أيوب وقال: اسمعوا كلماتى فأكون قد نلت فقط هذه التعزية منكم"** (٢١: ١، ٢).

أى لكى تعرفوا أننى لم أنل منكم أية منفعة، لأن الموقف لم يحدث هكذا (أى أن اتهاماتكم التى بنيتموها على نتائج الأحداث التى صادفتنى هى باطلة).

٢- **"أقيمونى وسأتكلم، وبعد ذلك لن تسخروا مني. ماذا! هل الذى يلومنى إنسان؟ ولماذا ينبغى ألا أغضب؟ انظروا إليّ واندهشوا، وضعوا يدكم على فمكم. لأنه عندما أتذكر نفسى اضطرب وتجتاح الأوجاع لحمي"** (٢١: ٣-٦).

قال أيوب: لنفترض أننى ضال وأثيم، لكنى لن أجنى منفعة من هذه الملاحظات، وأنا أعلم أنكم تسخرون منى ومع ذلك لن أتنازل (عن برى).

وهو قال: «**ماذا! هل الذى يلومنى إنسان؟**»

أى لا يمكن لإنسان أن يلومني. إذ ليس مع إنسان أنا أصارع.

«عندما أتذكر نفسى اضطرب وتجتاح الأوجاع لحمي»

لاحظ كيف يدافع عن نفسه دائماً وكيف يضع مقدماً أوجاعه، وكيف يشير إلى سبب الكلمات الرهيبة التى سينطقها، لأنه ليس من نفسه ولا بدءاً من موقف من هو مقبوض عليه أنه عبّر عن نفسه هكذا، إنما لأن نفسه مضطربة وأفكاره كانت مظلمة.

الأشرار يشيخون فى الرفاهية

٣- قال أيوب: **"لماذا تحيا الأشرار، نعم ويشيخون فى الغنى؟"** (٢١: ٧).

إن هذا الكلام برسم (أو باسم) صديقه (صوفر)، لأنه قال «مسّرة الفجار هلاك» (٢٠: ٥)، وأضاف قوله «لو كانت تقدماتهم تصعد إلى السماء» (٢٠: ٦) سيتلاشون بقدر ارتفاعهم. «لماذا تحيا الأشرار، نعم ويشيخون فى الغنى؟».

«نسلهم بحسب هواهم وأبناؤهم تحت أنظارهم. بيوتهم مزدهرة، ليس هناك مجال للخشية والرب لا يزجرهم بسوطه.

بقرتهم لا تلد قبل الأوان وبهائمهم عندما تكون حوامل تنجو (من الموت) ولا تجهض، إنها تبقى كقطيع لا يفنى وأولادهم يلعبون أمامهم، يأخذون بيدهم المزمار والقيثار ويطربون بصوت المزمار. يقضون حياتهم فى رفاهية ويرقدوا فى راحة القبر (٢١: ٧- ١٢).

كما لو أن الله لم يرَ أعمالهم

٤- أنت ترى (أيها القارئ) كيف أنه لم يقل إن هذا سيدوم إلى الأبد، والمرعب هو "يقول الشرير للرب: ابتعد عني، لا أريد أن أعرف طرقك. من يستطيع أن يجبرنا على خدمتك؟ وأية منفعة هناك حتى نتقدم ونقترب منه؟ فخيراتهم كانت فى يدهم، لكن (الله) لم يلقى نظرة على أعمال الأشرار" (٢١: ١٤- ١٦).

قال أيوب: لا ينبغى فقط الاندهاش أن ضلالهم لن يكلفهم بمثل هذه العطايا بالمقابل[1]، بل أيضاً سيجعلهم هذا النجاح (فى الحياة) أكثر سوءاً.

لكن الله سيعاقب الأشرار

٥- قال أيوب: "يقول الشرير للرب: ابتعد عني" لماذا؟ "لأن خيراتهم كانت فى يدهم". "مع ذلك سينطفئ سراج الأشرار" (٢١: ١٧)[2]

(١) ١- يقصد هنا أن الله لن يمنع عنهم عطاياه جزاءً لهذا الضلال.
(٢) ٢- لأن هذا سيحدث لهم أيضاً.

٦- "سيأتى عليهم الإفناء وستمسكهم أوجاع يثيرها غضبه. وسيكونون كالتبن قدام الريح، وكالتراب الذى تثيره الزوبعة"

(٢١: ١٧، ١٨).

قال أيوب: نعم هم يستمتعون بالنجاح، لكن بالمثل أيضاً سيعانون من تقلبات الدهر

٧- قال أيوب: "إنه لن يترك ممتلكاته لأبنائه، والله بالمقابل سيعاقبه ويعرّفه أن عينيه يمكنها أن ترى هلاكه وأن الرب لن ينجيه، لأن شهوته (كامنة) فى بيته ومعه (تموت)، وعدد أشهره قد قُطعت فجأة. أليس الرب هو الذى علّمنى الفهم والعلم؟"

(٢١: ١٩- ٢٢).

حيث أن الذى قد تكلم قبله قال أنه «منذ الوقت الذى جُبل فيه الإنسان على الأرض» (٢٠: ٤)، فهكذا الأمر، فإن أيوب يلومه على هذا، لأنه يجهل ما هو واضح وأكيد. إنه قال له: أنت تدّعى أن الأمر لم يكن كما قلت، بل أن العكس أيضاً قد حدث. إذاً فلا أحد يظن أنه يعرف الغرض الخفى لله الذى يدبر كل الخليقة. فقل لى: لماذا يعاقب الذين هم ليسوا أشراراً؟ الواحد منهم فى العوز والآخر فى الغنى بينما شرهما واحد.

٨- ثم أضاف قوله: "الذى سيدين الحكماء، سيموت (الواحد) فى سطوة حماقته، واحد فى كمال سعادته وغناه، أحشاؤه طافحة من الشحم، ونخاعه يجرى فى كل موضع، والآخر على العكس يموت فى مرارة نفسه دون أن يذوق السعادة، وكلاهما يضطجعان معاً فى التراب والدود يغشاهما. لذلك أنا أعلم أنكم تهاجموننى عن عجرفة. وأيضاً قولوا لي: أين بيت الرئيس (العاتي)؟ وأين خيام الذين آووا الأشرار؟"

(٢٢: ٢١- ٢٨).

قال أيوب: أفليست هذه من أقوال حكيمة وفطنة، أو كان من الواجب أن يتجه بحثكم فى هذه النقطة إلى جانب الفكر المستقيم؟ أفلم تأتوا للتعزية؟

من يستطيع أن يفهم تصرف الله؟

٩- "أسألوا عابرى السبيل ولن يتم تجاهل شهادتهم، لأن الشرير يُحمل إلى يوم هلاكه، وسيُجذب إلى يوم غضب الله. من يوبخ غضبه مواجهة؟ الله هو الذى تصرف، فمن يستطيع أن يجيبه؟ هو إلى القبور يُقاد وعلى المزبلة يسهر. أحجار السيل كانت حلوة له، خلفه كل الناس سيذهبون، وقدامه ما لا عدد له. لكن كم أنتم تعزوننى باطلاً! بينما أنا لا راحة لى من تكديراتكم" (٢١: ٢٩- ٣٤)[١].

(١) ٣- هنا أيضاً لا يوجد شرح لهذه الفقرة. ولو أننى أشرت فى المقدمة لكنى سأكرر هنا ثانية أنه يحدث كثيراً أن لا ألتزم بالنص السبعينى الفرنسى واضطر إلى الرجوع للنص السبعينى الإنجليزى لملائمة المعنى أو لوضوحه – لذلك لن يتواكب النص باستمرار مع النص الفرنسى.

الإصحاح الثانى والعشرون

الحديث الثالث لأليفاز

هل تظن (يا أيوب) أن سلوكك له أهمية عظيمة فى عينى الله؟

١- **"أجاب أليفاز وقال: أليس الرب هو الذى يعطى الفطنة والمعرفة؟"** (٢٢: ١، ٢).

إن أليفاز بدوره قد أقرّ بهزيمته. فحيث أن ما قيل يتيح الاستنتاج بأن أيوب لم يكن شريراً، وأنه لا ينبغى أن يُحكم على سلوكه بمقتضى العقوبات التى حلت به (لذلك كان عليه على الأقل أن يسكت، ولكن هذا لم يحدث). فلاحظ بأى غدر سيمضى أليفاز هكذا إلى تناسى العناية الإلهية (حرفياً إبطالها).

٢- **"ما الذى يهم الرب فى أن تكون بلا لوم فى أعمالك؟"** (٢٢: ٣).

أى هذا لن ينفع الله فى شيء.

«أم هل توجد منفعة (للرب) من استقامة مسلكك» (تابع ٢٢: ٣)، أى لا تذهب إلى القول أن هذا سيجلب منفعة للرب.

وحيث أن أيوب قال بكل اللهجات أن الله هو الذى عمل هذا وأنه بسببه يعاني، فإن أليفاز يريد إظهار أن هذه البلايا لم تأت من قبل الله.

٣- **"هل ستصر وتحتج عن قضيتك وهل سيدخل معك فى المحاكمة؟"** (٢٢: ٤).

نعم فأنت عبثاً حاولت أن تكون باراً، وهذا كان أمراً قليل الأهمية بالنسبة له، وهو لم يعطك أى اعتبار، أى أن هذا الأمر لا يستحق اهتماماً كثيراً فى عينى الله.

٤- **فضلاً عن ذلك لو أراد الله أن يحاكمك سيجد فيك أخطاء كثيرة. "أليس شرك عظيماً، وآثامك بلا عدد؟ ألم تطلب من إخوتك رهونات ظالمة. إنك جردت من الملابس من كانوا عرايا. ماء لم تسق العطشان، وعن الجوعان منعت خبزاً. وأحياناً كنت تحابى الوجوه. وتركت الفقراء ينامون على الأرض، والأرامل أرسلتهن فارغات الأيدي، وأسأت معاملة اليتامى. لهذا السبب شملتك الفخاخ، وحرب مريعة قامت ضدك"** (٢٢: ٥- ١٠).

ومن أين تجزم بهذا؟

فيجيب (أليفاز): لأنك عوقبت (فحتماً أنت اقترفت هذه الجرائم).

«النور تحول إلى ظلمة بالنسبة لك، والماء غطاك أثناء نومك» (٢٢: ١١)، أى هوذا أنت فى العزلة، فى العراء، تائهاً ومنفياً وبلا مأوى.

لكن الله يرى كل شىء من فوق

٥- "ألا يلاحظك الذى يسكن فى الأعالي؟ الذى يزل الذين يتركون أنفسهم يرتفعون بالتكبر؟ وأنت قلت: ماذا يعلم القدير سوى أن يحكم (يدين) فى الظلمة؟ السحاب يخفيه فلا يمكن رؤيته وعلى دائرة السموات يتمشى. هل ستكون أميناً على الطريق القدير الذى وطأه الأبرار الذين خُطفوا مبكراً؟ أساساتهم تشبه نهراً يجري. من قالوا: ماذا يستطيع الله أن يصنع لنا، أو ما الذى يمكن للقدير أن يثيره ضدنا؟ وهو قد ملأ بيوتهم خيرات. لكن مشورة الأشرار كانت بعيدة عنه. يضحك الأبرار عند رؤيتهم والذى بلا عيب يستهزئ بهم، إن لم يدمر مالهم، حينئذ ستلتهم النار ما تبقى منه. فكن ثابتاً: لو استطعت أن تصبر، ستجنى السعادة بالتأكيد. وتنال تصريحاً من فمه، وتضع كلماته فى قلبك" (٢٢: ١٢- ٢٢).

أى لا تجيبه مواجهة إن استطعت أن تصبر.

تب وستعرف السعادة

٦- "ولو تبتَ وتواضعت أمام الرب، حينئذ ستبُعد الظلم عن مسكنك، وستكنز لك (كنزاً) يبقى، وذهبك سيصير مثل صخر السيل. والقدير سينجدك فيُبعد أعداءك (عنك)، وسيطهرك مثل الفضة المجربة بالنار. حينئذ إن تكلمت بكل صراحة أمام الرب رافعاً ببهجة ناظريك نحوه، وإن وجهت له صلواتك سيُصغى إليك. وسيمنحك القوة على إتمام نذورك. وسيقيم لك بيتاً من البرّ. وسيكون لك نوراً على طرقك. ولأنك تواضعت، ستقول حينئذ أن الإنسان قد تصرف بكبرياء، لكن الله سيخلص المنخفض العين، وسينجى البرئ، وستخلص بفضل طهارة يديك"

(٢٢: ٢٣- ٣٠).

الإصحاح الثالث والعشرون

رد أيوب

أنا أعلم أن بليتى تتهمنى

١- **"فأجاب أيوب وقال: نعم بالحق أنا أعلم أن ملامتى تأتينى من (بين) يديّ"** (٢٣: ١- ٢).

أى أنا أحمل معى البرهان الذى يتهمنى، إثبات بلاياى وأنا استخلصته من نفسى.

«يده ثقلت عليّ وأنا أتنهد على نفسي» (٢٣: ٢).

وهو قال: لو كان ممكناً أن أتحاجج معه عن عقوباتى لكان ممكن لى أن أجده. آه لو كان ممكن أن أدافع عن نفسى أمامه بعدل، فألاقيه وأعلم ما يجيبنى به. هذا كان مزمع الله أن يقوله. انظر كيف أنه حصل بالضبط على ما تمناه، إذ أن الله جاوبه فى نهاية السفر على تساؤلاته.

إننى أريد أن أعلم ما كان مزمعاً أن يقوله وما كان مزمعاً بالمثل أن يعاقبنى، وبالتكلم هكذا فليس لديّ النية على إدانة الله بالظلم.

٢- **"من سيعلم أننى سأجده وآتى إلى نهاية الأمر؟ وأنا سأترافع عن قضيتى وأملأ فمى حججاً، فأعرف الأقوال التى بها يجيبنى وأفهم الرد الذى سيعطيه، ومع أنه سيأتى عليّ بكل قوته، فإنه لن يهددني"** (٢٣: ٣- ٦).

وفى الواقع حتى لو استخدم كل قوته ضدى وتوعدنى، فمع ذلك أنا أعلم أن الحق فى جانبه.

٣- **"لأن الحق واللوم لديه وهو سيأتى بمحاكمتى إلى نهاية!"** (٢٣: ٧).

إن أيوب توسل، وبهذا أراد القول أن توضع نهاية لأتعابه، ثم أضاف قوله: إن ما أردته من هذا هو أن أموت، لكنى لست أظن أن الله كان مزمعاً أن يحاكمنى الآن.

لكنى لا أستطيع أن أجده

٤- "لو تقدمت نحو بداياتى، فلم أعد موجوداً بعد، لكن ماذا أعرف فيما يختص بالنهاية الأخرى (لحياتي)؟ إن صنع شيئاً على شمالى لا أشعر به وإن شملتنى يمينه، فلن أراه. لأنه يعرف طريقى وقد جربنى مثل الذهب. سأسلك فى وصاياه، لأنى حفظت طرقه، ولن أحيد عن وصاياه، ولا أتعداها لكى لا أموت" (٢٣: ٨- ١٣).

قال أيوب: هو يعرف طريقى، وأنا اجتهدت دائماً أن أطيعه «لكن إن أتى إلى المحاكمة فمن يجاوبه؟» (٢٣: ١٣).

من يستطيع أن يجيب الله؟

٥- قال أيوب:"أخفيت كلماته فى حضنى. لكن لو أن الله نفسه حكم هكذا، فمن يستطيع أن يجيبه؟ لأن ما يريده، فإنه يتممه أيضاً. لذلك أنا انزعجت بسببه، وعندما وبخت تفكرت فيه. كذلك ينبغى أن أكون منتبه جداً أمامه. سأتأمل وهو سيملئنى رعباً" (٢٣: ١٢- ١٥).

قال أيوب:«أنا لم أخطئ» (انظر ١٣: ١٨؛ ١٦: ١٧).

فماذا يعنى ما حدث لى؟ فهذا واضح أن الله يعاقب ليس فقط بمقتضى سلطانه على الخطايا، بل حتى أيضاً بدونها – أقصد بدون هذه الخطايا يمكن أن يعاقب.

٦- "الرب قد أذاب (أضعف) قلبى، والقدير قام ضدى. لأنى لم أعلم أن الظلمة ستأتى عليّ والدُجى سيغطى وجهي" (٢٣: ١٦، ١٧).

قال أيوب: إن هذه البلية غير المتوقعة لم تأت بحسب منطق بشرى، وأنا أتكهن بأن هذه الضربة أتت من الله.

وأيوب معه حق فى القول «سيغطى وجهي» لأن هذه الظلمة لم تكن ظلمة عادية، بل هى آتية من إحباطى (ويأسي).

الإصحاح الرابع والعشرون

بقية رد أيوب

١- ثم من جديد عاد أيوب إلى الشك وتسائل: لماذا ينجح الأشرار:

"لماذا يفلت الأشرار يا رب من ساعتهم ويتخطوا الحد (المعين لهم) وينهبون القطيع مع الراعي ويستاقوا حمار اليتامى ويرتهنون ثور الأرملة؟ ويجعلون الضعفاء يحيدون عن الطريق الحق، وودعاء الأرض يختبئون جميعاً، والأشرار يخرجون مثل حمير في حقل وداسوني تحت أقدامهم في عملهم (هذا). وحصدوا حقلاً لا يخصهم قبل الوقت، وخبزهم حلو لصغارهم، المساكين يعملون في كروم الأشرار دون أجر أو طعام. ويترك الأشرار كثير من الناس ينامون عراة بدون رداء، وحرموهم من ملابسهم، فيبتّلون من مطر الجبال وعدم وجود الملاذ، فينزوون خلف الصخور" (٢٤: ١-٨).

ونحن كذلك في الواقع نجهل لماذا الواحد يقاسي ظلماً مثل هذه البلايا، بينما الآخر يبليهم بها، ومن الطبيعي أيضاً أن هذه المظالم تجعل كلاً من الظالم والمظلوم ينزعجان ويضطربان (الظالم روحياً والمظلوم نفسياً وجسدياً).

قال أيوب: «إنهم يخرجون مثل حمير في حقل» أي أنهم يحتقرون العالم كله ومحل استهزاء من كل العالم. لا يظلمهم أحد ولا يسئ معاملتهم (بينما هم يعملون العكس).

«فلماذا لم يفتقدهم بعد؟» (٢٤: ١٢)، لكنه سيفتقدهم فيما بعد وسيفحص أخطاءهم دون أن يدعها تفلت (بدون عقاب).

لكن الله لما علم أعمالهم أسلمهم إلى الظلمات

٢- قال أيوب: **"إنهم انتزعوا اليتامى من الثدى، وضايقوا المساكين، وظلماً جعلوا آخرين ينامون عراة بدون ملابس، وانتزعوا اللقمة من (أفواه) الجياع، ونصبوا الفخاخ في الظلمة جوراً ولم يعرفوا الطريق المستقيم، الذين طردوا الفقير من المدينة ومن بيوتهم ونفوس الأطفال قد تأوهت بصوت عالي. فلماذا لم يفتقد هو هؤلاء الذين كانوا لا يزالون على الأرض؟ ولماذا لم يعرفوه؟ فإنهم لم يعرفوا طريق الحق ولا ساروا في سبله. لكن عندما عرف أعمالهم أسلمهم إلى الظلمات"** (٢٤: ٩- ١٤).

أى لأنه علم أعمالهم أو لأنه فحصهم وراجعهم، فهذا هو معنى التعبير «عندما عرف».

أيوب يلعن الأشرار

٣- قال أيوب: "يصير الشرير فى الليل كلص وعين الزانى تترصد حلول الليل، ويقول لنفسه لا ترانى عين ويضع غطاء على وجهه وينقب البيوت فى الظلام. وفى النهار يغلقون على أنفسهم، ولا يعرفون النور، لأن الكل سيكونون مدركين لرعب ظل الموت. سريع هو (الشرير) على وجه المياه، وليكن نصيبه ملعوناً على الأرض، ولتجف زروعهم بمجرد ظهورها على وجه الأرض، لأنهم نهبوا حزمة (حزم قمح مثلاً) اليتيم. ثم يأتى خطأه إلى الذاكرة فيتلاشى مثل بخار الندى. فليُجازى بحسب أعماله! ليت كل إنسان ظالم يُسحق مثل خشب متسوس! لأنه لم يعامل المرأة العاقر حسناً ولا أشفق على المسكينة (أى الأرملة). بالتالى عندما يقوم الشرير، لا يمكنه أن يكون آمناً على حياته ذاتها. وإن مرض فلا يأمل فى الشفاء بل يهلكه المرض، لأن كثيرين عانوا من تكبره. وسيذبل مثل عشب غض تحت حرارة لافحة، أو مثل السنبلة التى تسقط من ساقها من تلقاء ذاتها. وإن لم يكن هذا حقيقى، فمن يدّعى أننى أقول أقوال كاذبة ومن ينقض كلماتي؟" (٢٤: ١٤- ٢٥).

الإصحاح الخامس والعشرون

الحديث الثالث لبلدد الشوحي

الله لن يمنح مهلة للشرير

١- "فأجاب بلدد الشوحى وقال: فمن أين نبدأ إلا بالمخافة التى يوحيها (سلطانه)؟" (٢٥: ١- ٢).

أى أن الله ممتلئ رهبة وهيبة، ولا يمكن لأى شخص أن يفلت من تلك اليد (يد الله).

٢- "هو الذى خلق الكون ويقف فى الأعالى، وهل يمكن لأحد أن يظن أنه توجد مهلة للصوص؟ أفلا يقيم لهم كميناً ضدهم؟ فكيف سيتبرر مائت أمام الرب؟ أو كيف يمكن لمولود المرأة أن يطهر نفسه (أى يتزكى)؟" (٢٥: ٢- ٤).

لأنه إذ قال أيوب: «أنت لم تفتقدهم بعد» (٢٤: ١٢)، فأجاب بلدد «أنه توجد مهلة للّصوص» لكنه قال عكس ما هو حادث لأنه توجد لهم مهلة، لكنه كلّم أيوب هكذا لكى يوقع به.

«فكيف سيتبرر مائت أمام الرب؟» (٢٥: ٤؛ ٩: ٢)، لأنه يلزم جداً أن يُعاقب. وحيث أن أيوب قال: «أريد أن أُحاكم، فمع أنى لم أخطئ، إلا أننى عوقبت» فيجيب عليه بلدد بأنه لا يوجد بار بين البشر.

وقال له: فكيف يمكن أبداً أن يوجد بار واحد؟ لذلك فإنه من العبث أن ترغب فى أن تُحاكم وتُفحص.

الإنسان بائس ونجس أمام الله

٣- قال أليفاز: "السموات غير طاهرة بعينيه" (١٥:١٥)، وبلدد قال: "إن أعطى (هو) للقمر أمراً فلن يضيء، والكواكب غير نقية أمامه. فكم بالحرى الإنسان الرمة وابن آدم الدود؟" (٢٥: ٥- ٦).

الإصحاح السادس والعشرون

رد أيوب

لماذا تريد أن تدافع عن الله؟

١- "فأجاب أيوب وقال: عمن تدافع أو من ستنجد أنت؟ أليس من له قوة عظيمة وذراعه قوية؟ لمن أعطيت نصيحة؟ أليس لمن يمتلك كل الحكمة؟ من ستتبع؟ أليس الذى يمتلك قدرة عظيمة جداً؟ لمن وجهت كلماتك؟ ولمن يخص النَفَس الذى يخرج منك؟" (٢٦: ١- ٤).

أى ولا أنا أيضاً سأوبخك على أنك أخذت جانب الدفاع عن دور الله.

فبالحق ينبغى أن يكون الأمر هكذا، لكن لا ينبغى لك أن تدينني، وعلى ذلك فيمكنك أن تترافع لصالح الله دون أن يتيح لك هذا أن تُخضع أيوب لاتهامات.

الله يدافع عن نفسه بواسطة أعماله كلها

٢- "هل سيولد العمالقة تحت الماء، وبين الكائنات التى تسكن هناك؟ الهاوية عارية قدامه، والهلاك ليس له غطاء (حرفياً بلا رداء)، لأنه يبسط الريح الشمالية على الخلاء، ويعلق الأرض على لا شيء. يُصّر المياه فى سحبه، فلا يتمزق الغيم تحت ثقلها. هو الذى يعضد وجه عرشه باسطاً سحابته عليه. رسم حداً على وجه المياه عند اتصال النور بالظلمة. أعمدة السماء تخر أمامه وترتاع من زجرة، بقوته سكّن البحر وبحكمته أنسحق الحوت، وسدود السماء تخافه. بأمر منه أمات التنين المتمرد. وما كل هذا إلا جزء من طريقه، ولنسمع أقل همسة من كلمته. لكن قوة رعده، من سيفهمه عندما يعمل؟" (٢٦: ٥- ١٤).

الإصحاح السابع والعشرون

تابع رد أيوب

الرب هو الذى أداننى، أما أنتم فظالمون

١- **"وعاد أيوب ينطق بمثله فقال: حى هو الله الذى أداننى (حكم عليّ) هكذا، والقدير الذى أمرّ نفسي. نعم وحقاً أنه مادامت نسمتى فيّ ونفخة الله فى أنفى، لن تنطق شفتاى بالإثم أبداً، ولا نفسى تتفكر بأفكار شريرة"** (٢٧: ١- ٤).

أى سأتمسك برأيي ولن يستطيع أحد أن يجعلنى أُغيّره أو يزعزعنى أو يجعلنى أحيد عن عزمى.

٢- **"حاشاى أن أبرركم قبل موتى"** (٢٧: ٥).

أي: أننى لن ألوم نفسى ولن أغيّر رأيى، وحتى لو قدمتم ألف برهان (على إدانتى) فلن أحيد عن رأيى.

٣- **"لأنى لن ألفظ براءتى بعيداً عنى، بل سأتمسك ببرى ولا أرخيه أبداً، لأنى لا أشعر أننى اقترفت خطأ"** (٢٧: ٥- ٦).

وهذا هو ما يريد أن يقوله: الذى هو خاطئ، ليس له جسارة أن ينطق أو يقول ما أقوله الآن، لكن الجسارة منزوعة عنه ويظل فمه مقفولاً.

أما أنا فعلى العكس لم اختبر هذا، بل أنا أتكلم وأجيب، وليس الأمر هكذا لمن هو خاطئ.

ليعاقب الله خصومى!

٤- **"أما أعدائى فلينقلبوا كالأشرار، وليهلك خصومى مثلهم"** (٢٧: ٧).

أى ليهلك أعدائى لأنهم اتهمونى باطلاً (افتروا عليّ).

٥- **"لأنه ما هو رجاء الفاجر حتى يتمسك به؟ هل هو سيتكل على الرب ويخلص؟ هل يسمع الله صلاته؟ أو عندما يأتى عليه ضيق، فهل لديه أية دالة أمامه، أو هل سيسمعه الله عندما يدعوه؟"** (٢٧: ٨- ١٠).

فأى رجاء للشرير بعد حتى يتمسك به؟ كذلك فأنا انتظر أن أخلص، وأنا أؤكد أننى سأفلت من هذا الخطر.

٦- **"والآن سأخبركم بما هو فى يد الرب، ولن أكذب فيما يختص بالأمور التى عند القدير"** (٢٧: ١١).

أى سأقول ما يعمله، ما يدبره على الدوام، وما هو عمله.

٧- **"انظروا فأنتم جميعاً تعرفون أنكم تضيفون باطلاً فوق باطل بقولكم هذا هو نصيب الإنسان الشرير من عند الرب، ورعب الأمراء (الرؤساء) سيأتى عليهم من قبل القدير"** (٢٧: ١٢- ١٣).

أى أن هذا هو عمله أن يهلك الأشرار، لأنه أنا نفسى أعرف هذا. ولأجل هذا فإن أيوب دائماً يرسى هذا المبدأ أن الله يعاقب الأشرار، لكى لا يظن أصدقاؤه أنه يتهم الله بأى ظلم.

رعب القدير سيسقط على الأشرار

٨- **قال أيوب: "لو ولد له بنون كثيرون، فهم معيّنون للذبح وإن وصلوا لسن الرجولة سيشحذون. والذين يتبقوا له أحياء من بينهم، سيهلكون بميتة شنيعة! ولن يشفق أحد على أراملهم، وإن كدسوا الفضة كالتراب وأعدوا الذهب كالصلصال، فكل هذه الأشياء ستكون مكسباً حلالاً للأبرار والمخلصين سيضعون أيديهم على ممتلكاته. وبيته سيتلاشى كالعث وغناه يفنى كمثل نسيج العنكبوت. سيرقد فى الغنى، وهذا لن يفيده شيئاً. فإذ فتح عينيه، فلا يكون بعد (غني). الأوجاع تأتى عليه كالمياه، والكلمة حملته بعيداً ليلاً وريح لافحة تخطفه فيتلاشى وتذريه خارج مكانه. وسيلقى الله عليه اضطراباً ولا يشفق. من يده سيهرب[1] هرباً. وسيجعل أناساً يصفقون بأيدهم عليه ويصفرون عليه من مكانه"** (٢٧: ١٤- ٢٣).

---

(١) ١- أى سيهرب الغنى والممتلكات.

الإصحاح الثامن والعشرون

نهاية رد أيوب

نظام العالم يُظهر قوة الله

١- واصل أيوب كلامه فقال: "يوجد موضع يؤتى منه بالفضة، وموضع يُستخرج منه الذهب لتنقيته. الحديد يأتى من التراب والنحاس يُستخرج من المحاجر مثل الحجر. وقد عيّن (الله) موضعاً للظلمة، وقد عيّن بالضبط حداً للمواسم (الفصول)" (٢٨: ١- ٣).

إنه يريد القول أنه إن كان الله قد أقام نظاماً فيما يختص بالحقائق المعتادة فكم بالأولى يكون هذا فيما يختص بالحقائق البشرية. ولأنه يسبق ويرى الأشياء ويهتم بها، فلا شيء يحدث أبداً من ذاته أو اعتباطاً. أو أنه يريد القول أن الحقائق فى مجموعها مرئية تماماً، لكن قصد الله غير مرئى، لأن الفضة والنحاس لهما موضع، بينما موضع الحكمة لم يعرفه أحد، إنما الله وحده يعرفه. وهو قال للناس «مخافة الرب هى الحكمة» (٢٩: ٢٨)، وعمل الخير هو الفهم (حرفياً العلم).

٢- قال أيوب: إن الله عيّن موضعاً للظلمة، وأيوب مُحق فى قوله «موضعاً» لأن الظلمة تعرف كيف تُرجع خطاها وتتوارى أمام النهار. من طرد هذه الظلمة؟ من أين يأتى مثل هذا الترتيب الرائع على هذا النحو؟

بعد ذلك عالج أيوب موضوع قدرة الله ثم حكمته ليقنعنا أنه لا يريد أن يحاسب الله.

وقال أيوب: لماذا الظلمة؟ هل نحن نعرف لماذا؟ الله يستطيع كل شيء، وهو يصنع كل شيء بحكمة.

لا يمكن محاسبة الله

٣- ثم بعد أن أعطى أيوب أثناء ذلك، كثيراً من المعلومات، أضاف قوله "هوذا مخافة الرب هى الحكمة والحيدان عن الشر هو الفهم (حرفياً العلم)" (٢٨: ٢٨).

لا شيء يعادل هذه الخبرة، لا شيء أكثر قوة من هذه الحكمة. «مخافة الرب بدء الحكمة والذين يمارسونها لهم فهم جيد» (انظر أم ١: ٧). إن المخافة أعظم الخيرات، وقمة التقوى هى فى توقير الله، وعبثاً ستكتشف حكمة أخرى غير هذه فى سعيك من جهة إبداء الآراء أو محاولة معرفة أسباب الأحداث.

الإصحاح التاسع والعشرون

المرافعة العظيمة لأيوب

أيوب يستعيد ذكر مجده السالف

أيوب يتذكر الرخاء الذى منحه له الله

١- **"وعاد أيوب ينطق بمثله فقال: من يعطينى شهراً كمثل الأشهر السالفة؟"** (٢٩: ١- ٢).

ما معنى «عاد أيوب ينطق بمثله»؟ ليس هذا (يعني) أنه أنهى حديثه، إنما هو عاد من جديد لنقطة البداية دون أن يسمح لخصومه بمقاطعته أو مناقضته. فماذا قال؟ أريد أن أعيش شهراً فى سعادتى الماضية لأسد فمكم ولأريكم من كنت أنا.

«شهراً وحيداً كمثل الأشهر السالفة»

إنه لم يطالب بشيء غير عادى، بل فقط أن يحيا على مدى ثلاثين يوماً سعادته الماضية ويتمتع بالرخاء الذى لا يمكن لأحد أن ينيله إياه. ثم وصف هذا الرخاء فى حديثه. لأنه إذ كان هذا من المستحيل، فإنه على قدر استطاعه أظهره أيضاً بحديثه وقال ما عمله، وفى أى وضع كان هو سابقاً.

انظر لتقوى هذه الشخصية، فإنه نسب كل شيء إلى الله. لأنه لم يكن ممكناً لمن حُرم من العون السماوى، أن يستطيع الصمود أبداً.

٢- **"كالأيام التى حفظنى الله فيها. حين أضاء سراجه على رأسى وبنوره سلكت فى الظلمة. عندما تابعت بثبات طرقى حيث كان الله يحمى بيتى. عندما كنت مثمراً جداً وأولادى كانوا حولى"** (٢٩: ٢- ٥).

وإن كان أيوب يبحث عن سعادته الماضية، فهذا كان لإظهار عناية الله به، وهذا كان واضحاً بمقتضى ما قاله «عندما حفظنى الله» ثم أعطى الإثباتات لهذا الحفظ الإلهى له.

«حين أضاء سراجه على رأسى» أى أنت جعلت نور سراجى يتلألأ، لأن السراج بالحق ضرورى إن كانت الظلمة الحالية حالكة، إن كانت صعوبات الموقف خطيرة (مع) هجمات الأتعاب الجسمانية، ومؤامرات الأشرار وغارات الشياطين الوحشية.

كل هذا يظهر أيضاً «بنوره سلكت فى الظلمة»!

أنت ترى (أيها القارئ) أن الظلمة اجتاحت كل شىء، وأن «النور أضاء فى الظلمة» (يو١: ٥). لكن كما أن الظلام الطبيعى مفيد للراحة، فهذه الظلمة مفيدة لنا، ليس بسبب طبيعتها فى حد ذاتها، إنما بسبب حكمة الله الذى صنع كل شىء.

«عندما تابعت بثبات طرقى»

أى عندما كنت مُحمّل بالثمار من كل جانب.

«حيث كان الله يحمى بيتى»

ها أنت ترى (أيها القارئ) أن كل ما كان يرغب فيه هو إظهار حماية الله وعنايته به.

٣- **"عندما كانت طرقى ممتلئة بالزبد وجبالى تفيض لبناً"** (٢٩: ٦).

ها أنت ترى أيها القارئ أنه لم يذكر فى أى موضع غنى جائر أو متكبر، إنما غنيٍ مفيد ومعقول.

٤- **"عندما خرجت مبكراً فى المدينة وأخذت مجلسى فى الأماكن العامة"** (٢٩: ٧).

إنه تكلم عن جسارته فى التعبير وعن مركزه السابق، وبعد ذلك تكلم عن مجده.

أيوب يذكر الاحترام الذى كان يتمتع به لدى الجميع

٥- **"رآنى الغلمان فاختبئوا، وكل الشيوخ قاموا وتقدموا لملاقاتى. العظماء أمسكوا عن الكلام ووضعوا أيديهم على أفواههم"** (٢٩: ٨، ٩).

يبدو لى أن المقصودين بهذا الهجوم كانوا أصدقائه، والذين أشار إليهم لأنهم أهانوه.

إذ هو قال أنه فى السابق كان مشهوراً ومحترماً.

٦- **"والذين سمعونى طوبونى، والتصق لسانهم بحنكهم. لأن أذنهم سمعت وطوبتنى. وعند رؤيتى خفضوا أعينهم. لأنى أنقذت المسكين من يد القوى وساعدت اليتيم الذى لا معين له"** (٢٩: ١٠- ١٢).

ولكى يوضح أيوب لماذا طوّبوه، ذكر أعماله الصالحة فقال: «إننى أنقذت المسكين من يد القوى»، لكن بعد أن نسب إلى الله حفظه وحمايته له، لذلك «هو افتخر بالرب» (١كو ١: ٣١).

٧- "لتحلّ عليّ بركة الهالك (المائت)، وليباركني فم الأرملة، لبست البر واكتسيت بالعدل كمعطف لى. كنت عيوناً للعمى وأرجلاً للعرج. كنت أنا أباً للفقراء ودعوى لم أعرفها فحصت عنها. هشمت أضراس الظالمين، ومن بين أسنانهم خطفت الفريسة. وقلت حياتى ستعمّر مثل جذع النخلة وسأعيش طويلاً" (٢٩: ١٣- ١٨).

ليس أننى كنت أسلك بهذا الرجاء، إنما أنا توقعت شيخوخة طويلة كثمرة لضمير صالح وآمال فاضلة.

قال أيوب: «لأنى أنقذت المسكين من يد القوى»

انظر فإنه لم يفتخر بكونه امتنع عن الشر ولا افتخر بالذبائح التى قدمها كما فعل اليهود، بل افتخر بما يريده الله.

قال أيوب: «حكمت لصالح اليتيم وأقمت حقوق الأرملة» (إش ١: ١٧).

لاحظ أن أيوب لم يكن متكبراً، إنما استخدم قوته كما ينبغى، وكان الملجأ والملاذ لكل من كانوا فى احتياج، وكان أب ونصير الكل.

ولم يستخدم غناه للظلم ولا مجده للافتخار ولا حكمته للشر، إنما ليخلص من البلايا التى كانت تضغط على من كانوا مثقلين بها.

«ساعدت اليتيم الذى لا معين له»

انظر فحتى هذا قاله بتحفظ.

وقال «فم الأرملة باركنى»

أنتم (أيها القراء) تعلمون أن هذا النوع من النساء قليل العرفان بالجميل إلى حد ما، ليس بسبب طبيعتهن فى حد ذاتها أو عن سوء نية، إنما بسبب البؤس الذى فرضه الفقر عليهن، وهذا أمر عسير (بالنسبة لهن) أن يمدحن من عمل الخير (لهن). فهذا (الفقر) هو أتون المشقة (انظر إش ٤٨: ١٠).

قال أيوب: «لبست البر»

يوجد فى الواقع أناس فى مركز أعلى من الآخرين، ومع ذلك فهم أنفسهم يقترفون أحياناً

المظالم. لكن لم يكن الحال هكذا مع أيوب، إذ بهذا القدر عاش بطريقة مستمرة فى البر!.

وأيضاً عندما تسمع من جهة الله أنه «لبس البر» (إش ٥٩: ١٧)، فلا تذهب إلى الظن فى ملابس تحيط بكائنات غير جسدانية، ولا أيوب أيضاً لبس هذا النوع من تلك الملابس (إذ أنه قول مجازى).

«اكتسيت بالعدل كمعطف لى»

وهذا كان موضع فخرى. بالتأكيد كان الآخرون متكدرين لهذا النشاط، واغتاظوا ووجدوه نشاطاً متعباً وثقيلاً عليهم.

وقال أيوب: أما أنا فلم يكن الأمر معى هكذا، بل كما يتباهى شخص ما بمعطف (جميل) كذلك أنا أيضاً باستمرار ـ اليوم وغداً ـ كما عن ضرورة يتم لبس هذه الملابس (المعاطف الجميلة) باستمرار، كذلك أنا أتباهى بهذه الأعمال البارة.

لكن من أقامه قاضياً؟ هو من نفسه صار قاضياً بفضل فضيلته ذاتها كما موسى، وهذا بحسب ما ينبغى أن يكونه البشر. لكن حيث أنهم هجروا الفضيلة، لذلك فرض الله عليهم قضاة.

ها أنت ترى أن هذا النشاط قد وجد أساسه فى طبيعته نفسها: أقصد دوره كنصير. وإلا فقل لي: أين ناموس هذبه؟ من الذى أجبره؟ من اختاره؟ من جعله يصعد على هذا الكرسى (كرسى القضاء)؟

قال أيوب: «كنت عيوناً للعمى وأرجلاً للعرج».

إنه لم يقل: إننى خففت من بليتهم، ولا قال: إننى أزلت عنهم الإحساس بالعمى، إنما قال «كنت عيوناً» إنهم يرون بواسطتى، ولم يعانوا من تجربة بليتهم بفضلى. لم يكونوا يبحثون عمن يأخذ بأيدهم ويقودهم فى الطريق، وفى كل موضع حولت لهم الظلمة إلى نور. وكما أن كثيرين ولو أن لهم أعين لا يرون إلا الظلمة، بالمثل أتاح أيوب الرؤية لأناس محرومين من البصر.

انظر (أيها القارئ) «لهذه المعجزات الجديرة بالرسل» (انظر أع ٥: ١٢). إن أيوب لم يجعلهم ينظروا، لأن هذه الموهبة لم تكن موجودة بعد، لكنه أعطاهم النور حتى لو بقوا عمياناً، بينما معاصرينا يُعمون من ينظرون (انظر يو ٩: ٣٩). إنه لم يقل: سأستخدم

عبيدى ليعملوا هذا، بل أنا بنفسى سأصحح تشوهات الطبيعة، ليس فقط التشوهات التى تأتى من الطبيعة ذاتها.

«كنت أنا أباً للفقراء»

انظر كم من الوقت انتظر حتى يقول هذا، وهو لم يفعل هذا عن افتخار أو تكبر إنما لأنه اضطر للتكلم عن عناية الله وعن الظروف التى كان يتمتع بها (بهذه العناية)، وعن الموقف الذى هو موجود فيه الآن.

«دعوى لا أعرفها فحصت عنها»

ها أنت ترى (أيها القارئ) أن دوره كنصير لم يمتد فقط إلى المال ولا إلى الطعام والكساء، بل امتد أيضاً إلى المخاطر (التى تحيط بهم). وهو يقول: كنت أضع نفسى فى المقدمة فى صراع لم يكن يخصنى، وكنت كقناص ماهر أبحث فى أمر لم تكن لى فيه أية مصلحة. لم يكونوا أناساً معروفين لى الذين رفضت طردهم كما يُفعل اليوم، بل لم يوجد أحد (ليقوم بهذه المهمة) كما لو كانت هذه مهمتى (الملقاة على عاتقي)، وكمثل صياد ماهر كنت أطوف بدون توقف ملاحظاً باعتناء إن كان أحد طُغى عليه صدفة.

إنه قال «دعوى لا أعرفها فحصت عنها»، ولاحظ إنه تكلم عن دعاوى سرية تماماً وخفية وصعب البت فيها.

«هشمت أضراس الظالمين»

وهذه هى توصية الرسول «المدبر فباجتهاد» (رو ١٢: ٨).

«ومن بين أسنانهم خطفت الفريسة»

لاحظ صعوبة المهمة، فمن كان بالفعل قد أُمسك وأُبتلع، استرددته.

إنه لم يقل مثلنا: هذا مستحيل وغير مجدٍ.

«هشمت أضراس الظالمين»

لاحظ أن فضيلته لا تُقارن فى كلتا الحالتين، فى الحالة التى كان فيها ينبغى أن يعاقب، وتلك التى كانت تستوجب المعونة.

لماذا قال: «هشمت أضراس الظالمين»؟

كونه أتى لمساعدة حتى هؤلاء الناس وجعل ظالميهم عاجزين من الآن عن عمل تعدٍ شبيه، وبالحق فإن الشيء غير العادى هو أنهم لم يكّنوا له أية كراهية بل إنهم على حد قوله سمعوا له بانتباه وصمتوا عند مشورته.

٨- **ثم أضاف بعد ذلك قوله "انتشر أصلى (حرفياً جذري) بالماء والندى بات على حقلى، ومجدى كان جديداً (أى متجدداً) فيّ. وقوسى أفلح فى يد الله. لى سمع الشيوخ بانتباه وصمتوا عند مشورتى. ولم يضيفوا شيئاً لكلامى، وكانوا مسرورين جداً عندما أكلمهم. وكأرض عطشانة تنتظر المطر، هكذا كان هؤلاء الناس ينتظرون كلامى. وإن كان لى أن ابتسم لهم، فما كانوا يصدقون هذا"** (٢٩: ١٠- ٢٤).

انظر لما قاله. فلا غناه جعله مكروهاً ولا الحماية التى قدمها للمظلومين ولا أى شيء آخر شبيه جعلهم يكرهونه (بل كانوا ينتظروا ولو ابتسامة منه).

٩- **"ولم يفتر نور وجهى، واخترت لهم طريقهم وكنت أجلس فى الصدارة وأقمت خيمتى كما لو كنت ملكاً وسط محاربيه، كمن هو يعزى النائحين"** (٢٩: ٢٤- ٢٥).

الإصحاح الثلاثون

أيوب يبرز أتعابه الحاضرة

أكثر الناس بؤساً يسخرون منه الآن

١- **"لكن الآن يسخر منى أحقر الناس"** (٣٠: ١).

فماذا كان موقفه الحالى فى مواجهة السابق؟

إنه رد بقوله «يسخر منى أحقر الناس».

«الآن يوبخنى بدوره كل واحد من الذين كنت اعتبر آباءهم لا شيء وما كنت اعتبرهم جديرين بأن يكونوا مع كلاب غنمي» (٣٠: ١).

ليس بقوله هكذا أنه احتقرهم أو تكبر حتى يقارن أناساً بكلاب، إنما (بهذا) أشار إلى الأشرار والمجرمين، وهو فى الواقع لم يكّن أى اعتبار لهؤلاء الناس، حتى أنه لهذا السبب قال:

٢- **"بالحق ماذا تفيدنى قوة أيديهم؟ كل ما حققوه انهار على رؤوسهم، وجنوا ثمار هذا الصراع عُرياً وجوعاً. وهم الذين بالأمس كانوا يهربون من الحزن والبؤس المدقع، الذين كانوا يحيطون بالأماكن المالحة عند الشاطئ الهادر. الذين كانت الأعشاب المالحة طعاماً لهم. وكانوا معيبين ومحتقرين وفى احتياج لكل خير. الذين أيضاً أكلوا جذور الأشجار بسبب الجوع الشديد. قام عليّ اللصوص الذين بيوتهم كانت مغائر فى الصخور، وكانوا يعيشون تحت العوسج ويصيحون بصرخات مدوية وسط الأحجار الصماء. أبناء أناس حُمق، اسمهم ومجدهم قد مُحى من الأرض"** (٣٠: ٢-٨).

انظر هوذا شكل آخر من الفضيلة والتى تكلم عنها النبى بالتحديد فقال: «يفعل الشر مُحتقر فى عينيه ويكرم خائفى الرب» (مز ١٥: ٤).

قال أيوب: «الذين كانوا معيبين (كلهم عيوب) ومحتقرين، وفى احتياج لكل خير، حتى أنهم أكلوا جذور الأشجار»

وهذا أيضاً نوع آخر من الفساد أظهر نفسه هكذا فى الفقر: كونهم فقراء بلا وطن، بلا مأوى، عاجزين عن التباهى، لا بنجاح فى العالم أو بأية فضيلة فى نفوسهم.

٣- قال أيوب: "أما الآن فإنهم يتغنون بى وجعلوا منى موضوعاً لأحاديثهم، يشمئزون منى ويبتعدون عنى وأمام وجهى لم يمسكوا عن البصق، و(الله) فتح جعبته وأضرنى ونزع الزمام قدامى، فقاموا ضدى على يمين نسلهم وقد بسطوا أرجلهم وقد وجهوا عليّ سبلهم المهلكة فمُحيت طرقى" (٣٠: ٩- ١٣).

أنت ترى (أيها القارئ) أن الشيء المكدر على الأخص هو أن يرى نفسه يتم الاستهزاء به من أمثال هؤلاء الناس الذين يعيّرونه بالإثم الذى يعملونه. وهو قال: لصوص وأشرار ومجرمون وعصابات جعلت منه هدفاً للغوهم وأحاديثهم.

البلايا والمرض أغرقاه

٤- بعد ذلك تحدث أيوب عن بليته وعظّم من جديد وشرح بلهجة درامية ما سببه له الله فقال: "إنه نزع عنى ثوبى وأسقطنى بسهامه. هو عاملنى على طريقته، فأنا غارق فى الآلام التى غمرتني. تلاشى رجائى كنسمة، واختفى أمنى كسحابة، حتى نفسى ستنسكب عليّ، وأيام قاسية اجتاحتنى، وبالليل انكسرت عظامى وأعصابى تفتت. بقوة عظيمة أمسك المرض بردائى فطوقنى كعنق ردائي. واعتبرتنى (يا رب) كطين ونصيبى هو التراب والرماد. صرخت نحوك وأنت لم تسمعني. قاموا عليّ وراقبونى وهاجمونى بدون شفقة، وضربتنى بيد قوية، وأقمتنى فى الأوجاع وأبعدت عنى الخلاص. أنا أعلم أن الموت سيلاشينى لأن الأرض هى مسكن (مقر) كل مائت. آه لو أستطيع أن انتحر أو أطلب إلى آخر فيسدى لى هذه الخدمة" (٣٠: ١٤- ٢٣).

أنت أيها القارئ تدرك أن تعبير «آه لو أستطيع..» لا يعنى أنه لا يملك القوة على فعل هذا إنما يعنى أن هذا أمر ممنوع (ولذلك فهو يتمناه).

أيوب على العكس كان يرثى لبلية الآخرين

٥- **"أما أنا فقد بكيت على كل المساكين"** (٣٠: ٢٥).

وهذا أيها الحبيب لم يكن أمراً تافهاً.

وإن كان لنا أن نقول، فهذه الشفقة التى مارسها (حرفياً اختبرها) فى ذهنه هى صفة ذات وزن عالٍ.

٦- **"كنت أئن عند رؤيتى إنسان فى الضيق"** (تابع ٣٠: ٢٥).

نعم، عندما كنت فى الغنى لم يكن لى ذلك الموقف، فأنا لم أسعد لبلايا الآخرين، الأمر الذى هو حادث معى الآن.

٧- "بينما كنت انتظر السعادة، فعلى العكس جاءتنى أيام بلية، أحشائى تغلى ولا تصمت، تقدمتنى أيام المذلة، وتقدمت متأوهاً بدون تحفظ، وقمت فى (وسط) الجماعة صارخاً (من الأوجاع) وصرت أخاً للذئاب وصاحباً (أى مرافقاً) لرئال (أى فراخ) النعام" (٣٠: ٢٦- ٢٩).

فى الواقع فإن زيادة البلايا التى حلّت به هى التى أجبرته على التأوه والنحيب، وهو قال: حتى لو أردت، فلن أستطيع أن ألزم الصمت.

«قمت فى (وسط) الجماعة صارخاً»

وهو تصرف هكذا بدون خزى أمام كل الحاضرين ودون أن يخجل من الجموع.

والذى جعله يتصرف هكذا هو عظم بليته. وهو قال: إننى صرت مثل البهائم، لم أعد أعرف طبيعتى وحالى لم يكن أحسن من حالهم. وهذا أيضاً ما قاله داود: «أشبهت قوق البرية، صرت مثل بومة الخرب» (مز ١٠٢ : ٦).

٨- "أسوّد جلدى جداً وعظامى احترقت من الحرارة. صار عودى للنوح ومزمارى ينتحب عليّ" (٣٠: ٣٠، ٣١).

تأمل كيف أن منظره صار كريهاً جداً وفسد جماله وصار منفّراً.

قال أيوب: «عظامى احترقت من الحرارة»

وهذا حدث سواء نتيجة لمرضه أو لتعرضه الدائم والمباشر لمختلف فصول السنة. إن بليته كانت متعددة ومتنوعة وآلامه كانت من كل صنف.

«صار عودى للنوح ومزمارى ينتحب علىّ»

إذاً فهو كان يستمتع أيضاً بالعود.

وقال: لكن آلتى لم تعد بعد تصاحب أُغنيتى بل أغنيات خصومي. إن بليتى تزداد حتى أننى استخدم نفس هذا العود للتعبير عن مصائبى، وهذه الآلة صارت بالنسبة لى تذكاراً لسعادتى الماضية.

إن القدماء مارسوا الموسيقى وكانوا يغنون سوياً على المزمار، الأمر الذى يبرهن لنا بوضوح أن أيوب كان أقدم من موسى، لأن المزمار وجد بعد أيوب، لكنه لم يوجد قبله.

الإصحاح الحادى والثلاثون

ليس هناك فى مسلك أيوب ما يبرر مصير كهذا
ألم يُبصر الله مسلكه؟

١- "عهداً قطعت لعينى ألا أنظر إلى عذراء. فأى نصيب أعطاه الله من فوق؟ وهل يوجد أى ميراث يُعطى من القدير من الأعالى؟ وآسفاه! هلاك للأثيم ورفض لعامل الشر. ألن يرى هو نفسه طريقى ويحصى جميع خطواتى؟ لكن لو سرت فى صحبة الهاذرين أو أسرعت رجلى إلى الغش... !" (٣١: ١- ٥).

بالحق يا لها من صرامة! يستحيل، ومستحيل القول أنه لأجل أننى بددت ثروتى وممتلكاتى السابقة فى المسرات والبذخ، لذلك أقاسى هذه العقوبة الحالية. والآن أنا مطروح (أرضاً) لأن الله أعطانى العلاج المناسب.

وفى الواقع من يحب الضحك (الهزل) ومن أنعكف على الشهوانية ومن يحب التسلية (الخارجة عن حدود اللياقة) من الطبيعى أن يكون فى الموقف المعاكس بوضعه فى حالة ضيق وحياة كئيبة. لكن الذى كان فى السابق يهرب من الولائم ويدفع عنه الهاذرين واللعوبين، فأى سبب يجعله يسقط فى حياة حزينة وكئيبة؟ أنت ترى (أيها القارئ) أن كلمة المزمور القائلة: «ابتهجوا فيه برعدة» (مز ٢: ١١) تتحقق من جهته، وهو عبثاً قدم مائدة فخمة، وتنعم برخاء عظيم وعاش فى نعيم متواصل، فهو لم يختبر أبداً ولا حتى ليوم واحد ما اختبره الشعب العبراني[١].

إنه لم يقل «لو كنت ضحكت»، إنما قال «لو سرت فى صحبة الهاذرين»، وقال: إننى ولا حتى أخذتُ نفس الطريق الذى لهم. أى ناموس منعه عن هذا؟

«لو أسرعت رجلى إلى الغش»

يستحيل القول أننى سعيت إلى الملذات والبذخ وهذه الحياة الشهوانية بل أنا بالمقابل كنت صارماً وشديداً مع نفسى ولم أسقط فى الرذائل المقابلة لهذا النوع من الحياة وأقصد به الرداءة والإثم.. لا فأنا ضبطت نفسى وابتعدت عن كلتا الرذيلتين.

---

(١) ١- إنه يقصد هنا أن الشعب أكل وشرب ثم قام للعب، لذلك أتت عليه البلية (الهلاك). فأيوب لم يكن مثل هذا الشعب، أى أنه لم يتنعم ولم يكن فيترف مثلهم حتى تأتى هذه البلية عليه.

٢- **"لأنى وزنت فى ميزان عادل"** (٣١: ٦)

يوجد قدر (كبير) من الصرامة فى حياتى حتى فى أدق التفاصيل، لذلك يوجد انضباط فى ذراع الميزان. فأنا ما أهملت حتى ولا فى أصغر التفصيلات. لذلك فأنا استدعى ليس شهادة إنسان يمكنه أن يصنع معروفاً والذى يجهل أيضاً كثير من الأمور، بل استدعى شهادة الله الذى يعرف بالضبط كل ما هو خفى، والذى لا يمكن لأى من أفعالنا أن يفلت منه.

٣- **قال أيوب: "الرب يعرف براءتي. إن حادت رجلى عن طريقه وذهب قلبى وراء عيني"** (٣١: ٦، ٧).

وهل هذا أمر طفيف؟ بل هو بالحق أمر مهم فى ذلك الزمان كما الآن أيضاً. فإنه من الأهمية بمكان ليس فقط بأن لا نشتهى، بل وأيضاً بالأولى عند قبول (فكر) الشهوة ألا نتممها. وأيوب ذهب إلى أبعد من هذا فأكد أيضاً على شيء ما أكثر أهمية وهو أن حتى عينيه لم تقبل أبداً شيئاً شبيهاً بهذا.

٤- **"وإن لمست يديّ هدايا (أى أخذت رشوة).."** (٣١: ٧)

ليس فقط أنه يأخذ الله كشاهد له (فى العدد السابق) بل هو يلعن نفسه (أيضاً فى العدد التالى لو كان حاد عن طريق الحق).

٥- **"فلأزرع وغيرى يحصد (حرفياً يأكل)، ولأُستأصل (أنا) من الأرض. إن غوى قلبى على امرأة رجل آخر، وإن كمنتُ على بابها، فليتلذذ بامرأتى أيضاً رجل آخر، وليُذلّ أولادي"** (٣١: ٨- ١٠).

لم يقل أيوب: إن زاغت عينى، بل قال: ولا حتى قلبى أيضاً، فأنا لم اسمح قط لفكرى بأن يتدنس وبالأولى جسدي. وهذا بالتحديد ما قاله المسيح: «كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه» (مت ٥: ٢٨).

٦- **"لأن تدنيس امرأة رجل آخر هو انحراف للشهوة التى لم تُكبح. وهذه ستصير ناراً تحرق من كل جانب، ومن تهاجمه تقضى عليه تماماً"**

(٣١: ١١، ١٢).

لماذا ذكر أيوب العقوبة أيضاً؟ فقال: أنا أعلم عظم هذا الإثم، وقد تفحصت باعتناء ضرر هذه الرذيلة المهينة. فلو كان لنا نحن أيضاً مشاعر أيوب هذه لما أخطأنا (فى حق

الغير). ولو علم الإنسان الجشع (مقدار) الألم والاضطراب الذى يعانيه المسكين الذى هو ضحية لجشعه لما صنع ما صنعه.

فحتى لو لم تردعه مخافة الله، فإن الشفقة الطبيعية ستثنيه، إذ يعلم بدون شك عناء الآخر، لكن ليس بالقدر الذى يعانيه من يجوز هذا الظلم بصفة شخصية. وأيوب قال: بالنسبة لى، فأنا لم أكن أعلم بافتراءاتهم بأقل من الذين يعانونها هم أنفسهم. «وكل ما تكره أن يُفعل بك، لا تفعله أنت بأحد» (طو ٤: ١٦). لهذا السبب حيث أننا نؤذى آخرين، فلكون الله على الرغم من التحذيرات الكثيرة لنا لا يحصل على استجابة (وتجاوب مع وصاياه) فإنه يتركنا نجوز موقفهم، حتى تعلّمنا تجاربنا ونتعلم منها كم هو عظيم الألم. وهذا هو ما حدث أيضاً فى حالة إيليا (انظر ١مل ١٧: ١: ١٦)، ولهذا السبب تركه (يجوز) المجاعة، وهذا أيضاً ما حدث فى زمن يونان. ولهذا السبب أيضاً عاتبه (حرفياً هاجمه) الله بشدة من جهة هذا الأمر قائلاً: أنت أشفقت على اليقطينة.. أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التى يوجد فيها أكثر من اثنتى عشرة ربوة من الناس؟» (يون ٤: ١٠، ١١)، وهذا ما حدث أيضاً فى زمن إرميا، فماذا قال؟ قال إن الرب قد طرحهم، وبعد ذلك صبّ إرميا اللعنات عليهم (انظر ار ١٩: ١٥). ويبدو لى أن أيوب أيضاً ذكر هذا الحدث لكى يُخفض من مدحه فيقول: أنا لم أفعل شيئاً غير عادى بكونى لم أُسلّم نفسى للزنا ولم اقترف هذا الخطأ الجسيم، لأن هذه الخطية ستستأصل البيت الذى تدخله.

أيوب لم يحتقر الضعفاء

٧- ها أنت قد رأيت (أيها القارئ) حكمته، فتأمل أيضاً تواضعه، وأيوب يقول: "إن كنت رفضتُ حق عبدى وأمتى فى دعواهما علىّ.."
(٣١: ١٣).

وهو قال لا عبد ولا رجل حر قد لحقه منى أى ظلم.

٨- "فماذا سأفعل لو حاكمنى الرب؟ ولو افتقدنى، أية إجابة أعطيها؟ أوليس صانعى فى البطن صانعه وقد صورّنا فى الرحم" (٣١: ١٤- ١٥).

انظر كيف هو فى كل موضع يقطع على المدح ويخفض من قدر أعماله الصالحة فيقول: أنا لم أصنع شيئاً غير عادى، فهذا ما تقتضيه الطبيعة نفسها، وكل شيء مشترك بيننا، فلنا نفس (فترة) الحبَل ونفس الولادة، وطبيعتى ليست أكثر نبلاً من طبيعتهم.

٩- "أما المساكين فلم أمنع عنهم شيئاً، أياً كان هذا الاحتياج. ولم أجعل عين الأرملة تبكي" (٣١: ١٦).

أتنظر كيف كان يرفض الكبرياء، وكم كان متواضعاً وطبيباً للكل، والباب المفتوح للكل وكان ملجأ لكل من كانوا فى الضيق.

«أياً كان هذا الاحتياج»

إنه لم يقل نعم لطلب معين ولا لطلب غيره، بل كان يقول نعم لكل احتياج بدون تمييز، حتى لو كان طلباً فيه خطورة عليه، أو كان طلب غالى الثمن أو فيه مجازفة. ولاحظ أنه أتى إلى مساعدة من لم يأمل منهم شيئاً، إذ ساعد الأرامل والأيتام والمساكين. وهو لم يتصرف عن تباهى أو غرور بل لأجل الله، وهذا واضح أولاً لأنه لم يوافق على الكلام عن هذا الأمر قبل هذا الوقت مع أنه أفرد حديثاً طويلاً بهذا القدر واستغرقت المحادثة وقتاً طويلاً (على مدى الإصحاحات السابقة)، وهذا واضح أيضاً لأنه قوّم حتى الأخطاء التى لم يكن أحد من البشر شاهد لها، أقصد خطايا الفكر التى تختص بأولاده.

«إن غوى قلبى وراء امرأة رجل آخر..» (٣١: ٩).

إن هذا النوع من الخطايا ولو أنه ليس له إنسان يشهد عليه، لكن عين الله دائماً يقظة.

ومع أن أيوب لم يتوان فى ممارسة تلك الفضائل، فمن الواضح أنه تصرف هكذا لأجل الله أيضاً.

«لم أجعل عين الأرملة تبكي» باحتقارها وإهمالها وجعلها تنتحب.

أيوب لم يكن مربوط بثروته

١٠- قال أيوب: "ولو أيضاً أكلت لقمتى بمفردى ولم أشرك فيها اليتيم، بل منذ شبابى أطعمتهم كأب (لهم)، ومن بطن أمه كنت مرشداً له، ولو أغفلت العريان وهو على وشك الهلاك (لعريه) دون أن أكسيه، وإن لم يباركنى المسكين وأكتافهم لم تستدفئ بجزّة غنمى، وإن رفعت يدى ضد اليتيم متكلاً على أن قوتى أعظم من قوته، فليسقط عضدى من كتفى ولينكسر ذراعى من مفصله. لأن مخافة الرب أجبرتنى ولا أستطيع

أن أفلت من جلاله. لو جعلت الذهب كنزى، ولو جعلت اتكالى على الأحجار الكريمة، ولو ابتهجت لاقتنائى ثروة عظيمة، ووضعت يدى على ثروات لا تُعَد (من الكثرة)" (٣١: ١٧- ٢٥).

أى نوع من الخطية يوجد هنا؟ وها أنت ترى أنه لم يرتبط أبداً بالثروات. انظر إليه وهو يتأمل ويعتبر بكل صدق الصفة الزائلة والعابرة والتافهة للأمور البشرية.

١١- ومن جديد يخفض أيوب من مدحه (لنفسه)، ولكى لا يبدو أنه صنع شيئاً ما غير عادى، فانظر ما قاله: "ألم ترَ الشمس المنيرة تغيب والقمر يختفى؟ لأن ليس لهما القدرة على الاستمرار" (٣١: ٢٦).

إنه قال: هذا النور يموت ويختفى ولن يُرىَ بعد.

ها أنت تنظر (أيها القارئ) إلى السبب الذى أعطاه لتغير النجوم. إذاً فإن الطبيعة تكفينا لاقتناء الحكمة وليس فقط لمعرفة الله. فعندما تنظر الشمس فى أوج عظمتها، مجّد الخالق، وعندما تراها تغرب افهم الصفة الزائلة للأمور البشرية، فإن كانت الشمس وهى أبهى من كل موجودات الأرض، تختفى وتتلاشى وتموت، فكم بالأولى بقية الأشياء. إن كان الكوكب (يقصد الشمس) وهو مفيد وضرورى وبدونه تستحيل الحياة، خاضع للتغيير، فكم بالأولى ما هو نافلة وليس بضرورى لنا.

١٢- "ولو انخدع قلبى سراً ووضعت يدى على فمى وقبّلتها[1]، فليحسب هذا أيضاً كأعظم إثم، لأنى كذبت أمام الرب العلي" (٣١: ٢٧- ٢٨).

يظن البعض أن هذه الكلمات تختص بعبادة الأوثان، لكنى لا أعتقد هذا لأنه لم يضعها ضمن أعظم أعماله الصالحة، ولكن فى رأيى أن هذا بالضبط هو الذى يعمله المولعون بالهوى عندما يكون غائباً المُستهدف من ولعهم، فهم يرسلون قبلات بأيديهم سواء فيما يختص بالغنى أو فيما يختص بمن هو محل إعجابهم.

«لأنى كذبت أمام الرب العلي» وهو بالتكلم هكذا الآن يريد القول: إننى لم أكذب أمام الله، إذ الالتصاق بشدة بالأمور البشرية هى كذب.

(١) ٢- لثم اليد بالفم معناه إنكار وجحد الله، وتفسره (١٣: ٢٨) فى ترجمة بيروت التى بين أيدينا.

٣١- "وأيضاً إن فرحت ببلية مُبغضى وقلت فى قلبي: مرحى!، مرحى! فلتسمع أُذنى اللعنة المنطوقة ضدى ولأكن نموذجاً وسط شعبى فى بليتي" (٣١: ٢٩، ٣٠).

إن أيوب بكلماته حقق تلك الكلمة القائلة «لا تفرح بسقوط عدوك ولا يبتهج قلبك (حرفياً يتباهى) إذا عثر» (أم ٢٤: ١٧).

١٤- وبعد ذلك انظر كيف أظهر نفسه وديعاً تجاه عبيده! فتابع كلامه قائلاً: "ولو قالت إمائى مراراً من يعطينا أن نشبع من أطعمته؟ لأنى كنت كريماً جداً" (٣١: ٣١).

فى الواقع أن مصدر كل طيبة أن يكون الإنسان شفوقاً تجاه مخدوميه وغير عنيف معهم.

١٥- قال أيوب: "الغريب لم يقضى الليل خارجاً وبابى كان مفتوحاً لكل عابر سبيل. ولو بعد أن أخطأت عن غير قصد (أى لا إرادياً)، وأخفيت خطأى.. لأنى لم أرهب الجموع الكثيرة (من شعبي) لأتحاشى الاعتراف عن خطأى فى محضرهم.." (٣١: ٢٣- ٢٤).

هوذا هنا حكمة عميقة، وها أنت ترى أنه لم يأبه لرأى الآخرين فيه أو يتصرف لأجلهم (أى يحابيهم). فمن يزدرى برأيهم لدرجة أنه يكشف أخطاءه الإرادية، من السهل عليه الاعتراف بالخطايا اللاإرادية لأنه ينتظر (ويتوقع) الغفران من سامعيه.

قال أيوب: «لأنى لم أرهب الجموع الكثيرة (من شعبى)»، أى عبيدى العارفين والعالمين حتى بخطيتى الظاهرة. إن هذا القول هو الحكمة الحقيقية. «اعترف أولاً بخطاياك لكى تتبرر» (إش ٤٣: ٢٦).

لذلك فأنا لم اتخذ إنساناً كشاهد لأعمالى الصالحة، بينما أريد أن يكون كل العالم على علم بأخطائى وانحرافاتى.

هذه هى قمة الحكمة، هذه هى قاعدة الفضيلة: أن يخفى الإنسان أعماله الصالحة، بينما خطاياه يظهرها علانية، لكن العكس هو ما يعمله أُناس اليوم.

أيوب لم يستخدم خيراته بطريقة ظالمة

١٦- **"وأيضاً إن تركت مسكيناً يتخطى بابى ويداه فارغتان.."** (٣١: ٣٤).

إنه لم يقل: إننى أعطيت عندما طُلب منى، بل إنه قال: إننى أعطيت حتى عندما رُفض قبول شيء منى. إنه أجبر (على الأخذ) حتى الذين بمجرد دخولهم، حاولوا التسلل هرباً (حتى لا يأخذوا منه شيئاً). إن أيوب فى الواقع علم جيداً مسئولية الغنى (والغني). لذلك فإن الحماس الذى جعل المعوزين الآن يلّحون به على من يعطيهم ولمن يمد لهم يد الإحسان، هو نفسه كان يلّح آنذاك على من يريد أن يعطيهم. وهو قال: إننى قدمتُ الإحسان لمن كان فى احتياج وأعطيتهم أن يشاركونى فى سقفى. بل وأكثر من هذا عندما ألحهم فى مكان عام، أضع بيتى ومائدتى وكل شيء لى تحت تصرفهم. وأنا كنت أعتبر نفسى إن جاز القول كمدبر لمن كانوا فى احتياج دون أن اعتبر ممتلكاتى كشيء يخصنى شخصياً، بل هل كملك للرب. إن الرب هو الذى أعطاها لى (١٢: ١)، بالتالى ينبغى أن يتشارك فيها كل عبيده. إن هذه لم تكن مجرد توزيع لأسباب المعيشة (القوت والطعام)، لأنه لم يكتفى بالاهتمام باستضافتهم (فى بيته)، بل إنه قدم لهم الزاد لمواجهة العوز الذى يتبع ذلك، بحيث أنهم لا يستمتعون فقط بالمساعدة الحالية، بل أيضاً كانوا يتذوقون الرجاء للمستقبل.

ونحن على العكس على العكس نطردهم حتى عندما يتواجدوا أمامنا. ولاحظ أنه لم يقل عما أعطاه، بل فى وسط ضيقته، أخفى أعماله الصالحة وقلل من تمجيداته (لنفسه). إنه قال عن المحتاج أنه لم يخطو أعتاب بيته بيدين فارغتين.

١٧- **قال أيوب: "من يعطينى شخصاً ما يسمعنى؟ فإن لم أخش يد الرب (فمن سأخشى). وبالنسبة إلى التهمة المكتوبة التى لى ضد أى شخص، بعد أن وضعتها على أكتافى وأعصبتها (على عيني) كعصابة لى.[1] نعم. فإن لم أمزقها دون أن أجعل شيئاً محفوظاً لمدينى.. إن كانت الأرض قد صرخت عليّ، وتباكت أتلامها جميعاً. إن كنت قد أكلت ثمارها بمفردى بدون ثمن، وأيضاً إن أحزنت قلب مالك الأرض وطردته من أرضه، فعوض الحنطة أجنى شوكاً وعوض الشعير أجنى زواناً"** (٣١: ٣٥- ٤٠).

(١) ٣- معذرة عزيزى القارئ لو بدا أن الجمل ناقصة أو غير مترابطة، فهكذا كان النص الذى أمامى. وجدير بالذكر أن هذا هو السبب الذى لأجله أكثر من إضافات من عندى بين قوسين كلما رأيته لازم لتوضيح المعنى.

«إن لم أخش يد الرب» لأننى لم أتصرف هكذا بخفة، بل بأعين متجهة نحو الله.

وهو قال: إنها لم تكن مجرد شفقة هى التى تقودنى بل مخافة الله. ويستحيل القول أنه بعملى هذه الأعمال الصالحة كنت أتكبر وأتباهى، بل كمثل الذين أدركوا خطاياهم، فأنا لم أتوقف عن مخافة الله والارتعاب أمامه.

«إننى مزقت قيود الشر» (إش ٥٨: ٦).

إننى قد مزقت الصك دون أن أتباهى.

إن عبارة «بعد أن وضعتها على أكتافي» تلّمح إلى أن بعضاً من أصدقائه تباهى ببلايا الآخرين، فأنا لم أكتف بإرجاعه بل ابتدأت فى ملاشاته وتمزيقه. وهو قال:»إن مزقت قيود الشر».

«إن كانت الأرض قد صرخت عليّ وتباكت أتلامها جميعاً»

ولكن فلا الأرض صرخت ولا هى بكت، فما الذى يريد أن يقوله؟

ليس الأرض فى الواقع هى التى تصرخ، بل حتى الكائنات الجامدة تستاء من المظالم، كما قال النبى «الأرض قامت وارتعبت»، وهكذا فإن الأرض تصرخ فى كل مرة نستغل ثمارها ظلماً.

الإصحاح الثانى والثلاثون

تدخل أليهو (فى النقاش الدائر)

أليهو يغتاظ

١- يقول النص: "كف أيوب عن الكلام ولزم أصدقاؤه أيضاً الصمت" (٣٢: ١).

إن الأصدقاء الثلاثة لم يجيبوا بشيء (أقنع أيوب) على هذه الكلمات (التى قالها على مدى الإصحاحات السابقة) وأيوب بدوره سكت ليعطيهم مبرراً للتكلم. لكن حيث أن أيوب أخذ الله كشاهد له وحلف أيضاً (ببراءته) بلعنات[1]، لذلك بقى فمهم مغلقاً.

يقول النص: «لأن أيوب كان باراً فى أعينهم» (٣٢: ١).

إن الأصدقاء الثلاثة قد عدّلوا موقفهم السابق منه إلى درجة أنهم صاروا مجبرين من الآن إلى إدانة الله والتكلم ضده. ولاحظ أنه لا يوجد قدر من الاعتدال فى كلتا الحالتين، فهم أدانوا أيوب والله أيضاً، وتكلموا ضد هذا وذاك، ولكن الله لم يقل شيئاً ليدافع عن نفسه، وقد أهمل دفاعه عن نفسه ليدافع عن أيوب.

إنه وضع اهتمامه عليه (١: ٨)، وقال بخصوص أيوب «لأنكم لم تقولوا فيّ الصواب كعبدى أيوب» (٤٢: ٨). وإن كان أحد عانى ظلماً عظيماً بالأكثر فهو الله نفسه، ولكنه لم يكترث فيما يخصه، بل تكلم لصالح أيوب وقال إنه ينبغى عليهم أن يصالحوه ويصعدوا محرقات.

٢- يقول النص: "فحمى غضب أليهو بن برخئيل البوزى من عشيرة رام. على أيوب حمى غضبه لأنه أعلن أنه كان باراً فى عينى الله. وعلى أصحابه الثلاثة حمى غضبه جداً، لأنهم لم يجدوا جواباً وأكدوا أنه كان أثيماً" (٣٢: ٢- ٣).

لم يحمى غضب أليهو لكون أيوب أعلن أنه بار، بل لأنه أعلن أنه بار أمام الرب، إذ قد استدعاه كشاهد، أو لأن أليهو ظن أن أيوب أقام دعوى لدى (ضد) الله، لأنه أن يبرر الإنسان نفسه، فهذا شيء ليس له أهمية عظيمة، لكن أن يبرر الإنسان نفسه بنية أن يقيم

---

(١) ١- كان مضمون الإصحاح السابق: هكذا يفعل بى الله وهكذا يزيد إن كنت فعلاً قد أثمت وأخطأت بحسبما تظنون.

دعوى لدى (ضد) الله، فهذا هو الأمر غير اللائق. والكتاب يقول «لا تبرر نفسك أمام الرب» (سيراخ ٧: ٥). وبالحق فإن الأصدقاء الثلاثة اغتاظوا أيضاً لهذا السبب وقالوا: «هل يوجد مائت بار أمام الرب؟» (٢٥: ٤). فماذا أضاف أليهو؟ إذ أنهم هم أنفسهم وجّهوا له نفس التوبيخات. لكن إن كان هذا صحيح، فأى كفر مرعب من جانب أيوب، لو ظن أنه كان أكثر براً من الله!

ما الذى حدث (يا أليهو)؟ هذا لم يكن فكر أيوب، إنما أليهو هو الذى فهم هكذا (من ذاته)، لكن أيوب لم يتكلم من وجهة أنه كان أكثر براً من الله، بل بفكرة أن الله كان هو المسئول عن هذه البلايا، ولكنه لم يلمُ الله كظالم، بل هكذا فهو أليهو. لكنه مُحق فى توبيخ الأصدقاء الثلاثة، لأنهم جحدوا وأنكروا دور الله.

أسباب صمته الأول: احترامه لكبر سنهم عنه

٣- **يقول النص: "وكان أليهو قد تمالك نفسه إلى الآن عن إعطاء إجابة لأيوب، لأنهم أكثر منه أياماً. فلما رأى أنه لا جواب فى أفواه الرجال الثلاثة حمى غضبه"** (٣٢: ٤، ٥).

إنه محق فى قوله «تمالك نفسه» مُظهراً بهذا أنه كان مغتاظاً بدون شك، لكنه لم يجرؤ على قول شيء، إلى أن استنفذ أيوب كل كلامه. لكن فلنبدى إعجابنا بفطنته وللطريقة التى اتبعها منذ البداية إذ أصغى جيداً وفى الحال للكلام، ونبدى إعجابنا أيضاً كيف أنه حفظ المكانة التى تليق به.

٤- **"فأجاب أليهو بن برخئيل البوزى وقال أنا صغير في الأيام وأنتم شيوخ لأجل ذلك صمت وخشيت أن أبدى لكم رأيى (حرفياً معرفتى)"** (٣٢: ٦- ٧).

ولكى لا يُقال له: لكن لماذا لم تجاهد sمعنا منذ الابتداء للدفاع عن الله؟ فأجاب: إننى ارتكنت إلى (صغر) سني، منتظراً من ناحية أخرى أن أصغى إلى حديث جميل وعجيب.

لاحظ كيف أنه لم يسع للطموح والرفعة وكيف أنه تنازل لهم عن المرتبة الأولى، وكيف أظهر أنه الآن أيضاً ما كان سيتكلم لو لم تلزمه الضرورة أن يفعل هذا.

٥- **وأكمل أليهو كلامه قائلاً: "أليس السن هو الذى يتكلم؟ ونظراً لكبر سنهم، ألا يعرف الناس الحكمة؟ ولم يكن الأمر هكذا. حسناً! فإن المائتين يملكون وحياً ونسمة القدير تعلّمني"** (٣٢: ٧- ٨).

إننا نتكهن بفطنته من صمته كما من كلامه، لأنه قبل أن تأتيه الفرصة لم يسارع بالتعبير عن أيٍ من هذه الخواطر، ولا هو لزم الصمت عندما واتته الفرصة ليقولها.

٦- **بعد ذلك ذكر أليهو منطقاً صحيحاً فقال: "ليس الكثيرون الأيام حكماء ولا الشيوخ يعرفون التمييز (الإفراز في الحكم)"** (٣٢: ٩).

إنه يريد القول: ليس إلزاماً أن الشيوخ فقط يكونوا حكماء، فمن الممكن تعلم فكر حسن من الشباب أيضاً. لأنه إن كان الزمن يعطى حكمة، فبالأولى جداً الله.

لكنه من الآن سيتكلم

٧- **"لذلك قلت اسمعوني وسأظهر لكم ما أعرفه. أصغوا لكلماتي لأني سأتكلم لو سمعتموني. هأنذا قد سمعت كلماتكم، وأصغيت لكم حتى فحصتم الأقوال. فتأملت فيكم وإذ ليس بينكم من نقض ودحض كلمات أيوب"** (٣٢: ١٠- ١٢).

إنه إما يريد القول: أنتم لم تدحضوه أبداً، ولم تفحموه كما ينبغي. أو أنه يريد القول: إنكم صمتم بعد ذلك (عن الرد على كلامه الأخير).

«فلا تقولوا قد وجدنا حكمة. الله يغلبه لا الإنسان، بينما أنتم مؤتمنون على الإنسان (الذى مثلكم) للقول بمثل هذه الكلمات.

تحيروا ولم يجيبوا بعد، وهم أدركوا أن كلامهم سيفقد مفعوله سريعاً، فانتظرت بصبر (لأنى لم أتكلم منذ البداية)، لأنهم وقفوا ولم يجيبوا بعد» (٣٢: ١٣- ١٦).

٨- **"أجاب أليهو وقال: سأتكلم أنا بدوري، لأني ملآن أقوالاً. روح باطني يضايقني. هوذا أحشائي (بطني) كزقاق خمر مغلقة على وشك الانفجار"** (٣٢: ١٧- ١٩).

إنه يريد إظهار أنه كان يعانى هكذا منذ وقت طويل، صابراً على الكلام وضابطاً نفسه ولو أنه كاد أن ينفجر: إذ هناك أيضاً احتياج لكثير من الصبر، وأعظم دليل على الحكمة أن يستطيع الإنسان أن يسيطر على كلماته، وحميته لله هى التى جعلته يحتمل مثل هذه النار الداخلية.

٩- **"سأتكلم فاتحاً شفتي لأهدئ نفسي. لأني بالحق لن أخشى بسبب إنسان (أي أخاف منه) ولا بالحقيقة سأرتبك أمام مائت (أي أخجل منه)، لأني لا أعرف أبداً محاباة الوجوه"** (٣٢: ٢٠- ٢٣).

ها هوذا يلّمح إلى أن الشيوخ صمتوا لأنهم خجلوا أمام أيوب.

«إن لم يكن الأمر حقيقياً فالدود سيأكلني أنا أيضاً» (٣٢: ٢٢).

كمثل الذين برهنوا على محاباتهم وبالأخص عندما يكون الأمر متعلقاً بالله، فيُكرم البشر أكثر منه.

الإصحاح الثالث والثلاثون

تابع حديث أليهو

روح الله هو الذى يلهم

١- قال أليهو: "ولكن اسمع الآن يا أيوب أقوالي وأصغ إلى كل كلامي. هأنذا قد فتحت فمي. لساني نطق في حنكي.قلبي نقي في كلماته، وفهم شفتي يتأمل أفكار نقية" (٣٣: ١- ٣).

أى ليس الحسد أو الغيرة هو الذى يجعلنى أتكلم هكذا، وحتى لو أن الأصدقاء الثلاثة قالوا نفس الشيء مثله، لكن يقيناً ليس بنفس الروح ولا لأجل الدفاع عن الله. لأن يهوذا أيضاً والأحد عشر أعربوا (عن ضيقهم) بنفس الطريقة من جهة قارورة الطيب (التى سكبتها المرأة على قدمى الرب. انظر يو١٢: ٣- ٨)، لكن ليس بنفس الروح. لذلك ليتنا لا نفحص الكلمات، بل النيّة التى قيلت بها، كيف أن البعض أراد هدم أيوب، بينما الآخر أراد العكس.

لاحظ أيضاً أن أليهو الذى تكلم أخيراً، قد قال كثير من الأفكار التى سيقولها الله، لكى يمكن لله أن يتبرر بطريقة أفضل، بمجرد أن أيوب سيسمع أيضاً من رفيقه فى العبودية نفس الكلام الذى سيسمعه من الرب بعد ذلك. وهذا ما نعمله نحن أيضاً من جهة خدمنا، بالأخص عندما أهل بيتنا يوبخونهم (دون داع)، فنحن أيضاً نلومهم (أى نلوم من تصرف هكذا من أهل بيتنا)، لأن العبد لا يستطيع أن يوبخهم لكونهم تصرفوا هكذا بغير عدل معه.

٢- قال أليهو: "روح الله صنعني ونسمة القدير هى التى تعلّمنى. إن استطعت فأجبنى. قاوم واصطبر: أنت في مواجهتي وأنا فى مواجهتك. أنت جُبلتَ من نفس الطين مثلي، فنحن قد جُبلنا (حرفياً عُجنا) من نفس الجبلة" (٣٣: ٤- ٦).

حيث أن أيوب قال: آه لو يوجد واحد ليحكم (بيننا)، وقال (أيضاً): «فأنا (مجرد) إنسان» (٩: ٣٣)، لذلك قال أليهو له: «هأنذا فى مواجهتك ونحن جُبلنا من نفس الجبلة».

٣- **"هوذا هيبتى لا ترهبك ويدى لن تثقل عليك"** (٣٣: ٧).

هذا ما قاله أيوب من جهة الله (انظر ١٣: ١٢؛ ٢٣: ٢) – إنك قد تكلمت فى مسامعى وأنا سمعت صوت كلماتك؛ لأنك قلت: أنا طاهر ولم أخطئ فى أفعالى وأنا بلا لوم، لأنى لم أتعد الشريعة، لكن الله دبر علّة ملامة ضدي» (٣٣: ٨- ١٠).

وحيث أن أيوب قال بخصوص الله: «إنه لن يسمعني» (٩: ١٥)، لذلك أجابه أليهو قائلاً: هوذا أنت تتهم الله بقولك أنه لم يُصغ لمرافعتك. قل لي: ما دليلك على أنه لم يسمع لك؟ هل الله يعاقب ويقتص؟ هذا دوره ليجعل البشر فى موقف أفضل. يحدث – على كل حال – أن يسلّم هو كثير من الناس لمرض خطير جداً، لكن إذا لم يهلك الإنسان من مثل هذا المرض، فلن يستطيع أحد أن ينتزعه من الوجود «لأنه يوجد ربوات من الملائكة الحاملين للموت» (٣٣: ٢٣).

ألا يسمعك الله؟ لكن الله يكلمك عبر رعبك ومرضك

٤- **قال أليهو(مواصلاً كلامه بلسان أيوب): "إنه حسبنى كخصم له. وضع رجلى فى المقطرة، وراقب كل طرقى. كيف يمكنك أن تقول: أنا بار ومع ذلك لم يصغ إليّ؟ لأنه أبدى ذاك الذى هو فوق كل مائت. لكنك تقول: لماذا لم يصغ لكل كلمة فى مرافعتى؟ لأن اللّه يتكلم مرة، ثم فى المرة الثانية يُرسل حلماً، أو نوع من الرؤى فى تأمل ليلي، هكذا عندما تسقط على البشر مخافة مرعبة بينما هم نيام على فراشهم. حينئذ ينير اللّه روح البشر ويمثل هذه الرؤى المرعبة يرعبهم ليُحيد الإنسان عن الإثم، ويخلّص جسده من الخراب الذى يجلبه الإثم، ويحفظ أيضاً حياته من الموت، ليمنعه من السقوط فى القتال. لكن من جانب آخر يعاقبه بمرض يُلزمه الفراش ومجموع عظامه يصيبها خدر (شلل). ولن يستطيع أبداً أن يأخذ أى طعام مع أن نفسه تشتهى الطعام، إلى درجة أن لحمه يبلى وحيث تظهر عظامه مجردة من اللحم وتقترب نفسه من الموت وحياته من الهاوية. ومع أنه يوجد هناك ألف ملاك حاملين للموت، فلن يستطيع أحد أن يجرحه"** (٣٣: ١٠- ٢٣).

إن الملاك لا يستطيع، إذ أن الله نفسه هو الذى يمنعه. وهو علّم الإنسان كثيراً بالأحلام وانتشله من مخاطر الحرب والقتال، لكنه سلّمهم لعقوبة أخرى. وهذا هو ما يريد قوله: إن لم تنتفع من عنايته أفلن تهلك؟ ألن تسقط فى الحرب أو القتال؟ بناء على ذلك ليكن

عدم موتك، هو على الأخص دليلاً على عنايته بك، وبينما أنت صارعت ضد مرض هكذا خطير وضد ضعف هكذا شديد، إذ كان يمكنك أن تموت عدة مرات، وحتى فى غياب هذا الضعف، لو أنه بالحق قد تخلى عنك (حتماً ستموت).

وأنت يا أيوب قلت: لماذا لم تسمع (يا رب) كل كلمات الحق التى أقولها؟

«**الله يتكلم مرة**٠٠ » أى أنه لم يسمع ولم يعلّم يوماً بعد يوم، لكن من خاصية الله أن يفعل الأمر مرة واحدة وليس بالتدريج. وكثيراً – فى الأحلام – يعطى تحذيرات برؤى ليلية. وأنت يا أيوب قلت: لماذا تخيفنى بأحلام أثناء نومى وترهبنى برؤى؟ (١٤:٧)، فيجيب أليهو قائلاً: «**هوذا كل هذه يفعلها القدير ثلاث مرات ليرد نفسه** (٢٩:٣٣-٣٠).

ماذا تعنى ثلاث مرات؟ إنه يقصد كثيراً. إن الله لم يكف عن حفظنا والاهتمام بنا ليجعل نفسنا فى وضع أفضل.

الإصحاح الرابع والثلاثون

تابع حديث أليهو

الله الذى خلق الكل، لا يمكن أن يكون ظالماً

وفى موضع آخر يعاود النص القول[1]: **"هل تظن أن الرب سيعمل ما هو غير لائق أو أن القدير سيعوّج القضاء؟ إنه قد صنع الأرض، هو الذى خلق البسيطة وكل ما تحتويه. لأنه إن أراد أن يحبس ويحتفظ بروحه فى نفسه، سيموت كل جسد بدون استثناء، ويرجع كل مائت إلى الأرض التى جُبل منها"** (٣٤: ١٢- ١٥).

٢- قال أليهو: أنت تزعم أن الله يعوّج القضاء بلا تروٍ وللإضرار. فيجيب بولس: «فكيف يدين الله العالم إذ ذاك؟» (رو٣: ٦).

٣- لاحظ كيف أن أليهو أقام عدل الله بطريقة أخرى فقال: إنه قد صنع الأرض والسماء وكل الخلائق الأخرى. فهل هو يجهل صنعة يديه حتى يكون ظالماً من نحونا؟ إنه يشفق على كل ما يخصه والكتاب يقول: «أنت تشفق على كل الخلائق، إذ كلها تنتمى إليك، أيها السيد رفيق الحياة» (حكمه ١١: ٢٧)، ليس فقط لأنها صنعته، بل أيضاً لأنه هو سيدها، وعلى ذلك، فهذا ما يحدث حتى عند الرجال الأشرار، فحتى لو أن مرؤوسيهم يقبلون منهم الأذية، فهم – كأشرار – لن يحتملوا أن يضروهم، لأن كل العالم اعتاد أن يشفق على أفراده وممتلكاته، لكن عندما يختص هذا بمن هو شخصياً الخالق والسيد، فكيف يعوّج القضاء فى الكون كله وهو ينشر مثل هذه العظمة؟ وحتى أنت يا أيوب لن تستطيع القول إنه عن ضعف لا يقترف الظلم، بينما فى الواقع سهل عليه أن يلاشى كل البشر، ويكفيه فقط أن يريد هذا، ولا يوجد شيء يمنعه عن هذا، لكن لم يُرَ شيء مثل هذا أبداً فى الماضى.

٤- **"لكن إن لم تقتنع فاسمع هذا يا أيوب، وأصغ إلى صوت كلماتى. لننظر (فى الأمر) ألا تعتقد أن من يكره المظالم ويهلك الأشرار هو الذى أبدى وعادل؟"** (٣٤: ١٦- ١٧).

هل رأيت؟ إن أليهو لم يتجاسر على انتزاع الاستنتاج بأنه عادل، وبإفراز عظيم تحاشى

---

(١) ١- ملحوظة: أغفل ذهبى الفم تماماً الأعداد ١-١١ لم يعلّق عليها أو يذكرها.

تأكيد هذا. وهذا ليس فقط بدءاً من الكون أو الخليقة، ولا حتى ينبغى لقوته أن تخمن هذا العدل[1]، بل أيضاً من طبيعته نفسها ومن ذات أعماله. إنه يكره الأشرار ويحب (الصالحين من) البشر. إنه ليس مثلنا، نحن الذين نبتعد عن الشر ليس كرهاً للرذيلة، بل عن خوف من العقوبة الآتية. من أين أتى هذا الخوف؟ فأجاب أليهو: من كونه يكره المظالم ويهلك الأشرار – وأضاف قوله: «هو الذى أبدى وعادل».

إن أليهو كان محقاً فى ذكر الأبدية حتى لا نطالب الله بالحساب عن كل يوم ولأجل كل عمل مما حدث فى الماضي: فمراراً يقدم الله أمراً ينبغى أن يمتد تحقيقه على فترة زمنية طويلة. فلا تنتظر (تتوقع هذا) التحقيق (للأمر الآن)، ولا تسعى أيضاً قبل أن يكون كل شيء قد تم تماماً، حتى تفهم حكم الله، لأنك لن تستخلص شيئاً من سعيك على هذا النحو. لهذا قال أليهو: إنه أبدى وعادل، وعلى ذلك فكل الماضى يشهد له. فهل سيتغير (هو) هذا اليوم (عن عدله)؟

الله يستطيع كل شئ

لا أحد يلوم الملك على تعديه للقانون

٥- قال أليهو: "أثيم هو من يقول للملك: أنت تتعدى القانون" (٣٤: ١٨).

إذ أنه سيُعاقب لوقاحته. بالتأكيد عندما يختص هذا بملك، فإنه لن يكون بلا عواقب. ويبدو لى أنه يريد أن يلّمح أيضاً لشيء آخر، وهو أن الملك لا يخضع للقوانين، بل هو فوقها إذ أنه فى الواقع هو الذى سنّها، لذلك من الطبيعى أن نلوم من يقول للمشرّع: أنت تتعدى القانون. فهذا يكون كمن يقول للخزاف والصانع: أنت أسأت العمل (انظر إش ٢٩: ١٦؛ ٤٥: ٩)، فللملك قانونه.

٦- "مثل هذا كما لو كن يوقر وجه إنسان مكرم، ولا يعرف كيف يعطى الإكرام (اللائق) للعظيم لكى تحترم أشخاصهم" (٣٤: ١٩).

لأنه أيضاً إن كنت لا تعرف (أن توقر الله) فعلى الأقل ينبغى لك أن تخضع نفسك له ولمجده، دون أن تسعى لتفهم شيئاً. لأن الذى يحشر نفسه فى أمور الله لا يوقره (ويكرمه). واسمع

(١) ٢- يبدو لى أنه يقصد هنا أنه قوته المطلقة ينبغى أن توحى لنا بعدله لأنه لا يوجد من يقاومه حتى يضطر الله اضطراراً لعدم الحكم بعدل.

أيضاً ما قاله بولس: «أعط (إبراهيم) مجداً لله وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً» (٤: ٢٠- ٢١). قل لي: لماذا تيقن؟ هذا لإصراره فى رفض الإقرار بمستحيلات الطبيعة.

٧- قال أليهو: "فهم عبثاً يصعدون توسلات وصرخات للإنسان (الملك) لأنهم قد أُستغلوا بطريقة ظالمة مع المنفيين والمساكين" (تابع ٣٤: ١٩).

لذلك فحتى توسلك هو الذى يتهمك. لأن الذى يقول للملك أنت تتعدى القانون، فحتى لو توسلت إليه (فيما بعد) فعبثاً أنت تتوسل.

الله يعرف كل شئ: يعرف الأبرار والظالمين

٨- ثم فيما يختص بمعرفة الله، قال أليهو أنه يعرف كل شيء: "إنه هو الذى يرى كل البشر ولن يفلت منه شيء مما يصنعونه والذى لا توجد منطقة يمكن أن يختفى فيها من يقترفون الإثم. لأن الله يرى الكل من فوق. وهو يدرك أشياء لا تستقصى، أشياء مجيدة وفائقة لا عدد لها. يكتشف أعمالهم ويقلبهم أثناء الليل فيصيروا أذلاء" (٣٤: ٢١- ٢٥).

لكن لاحظ أنت (أيها القارئ) معى كيف أن أليهو لم يسعَ فى أى موضع لأن يلحق الإساءة بأيوب، كما فعل الثلاثة الآخرون، لكنه أكد أن الله عادل دون أن يقول له: أنت جردت الأيتام والأرامل. لاحظ كيف أنه يستطيع توجيه اللوم دون اتهامه له (بأى شيء).

ينبغى الخضوع لله

٩- بعد ذلك عاود النص إلى القول: "يا أيوب أنت لم تتكلم بفهم وكلماتك لم تكن موسومة بالحكمة" (٣٤: ٣٥).

إن هذا على التقريب أمر يختص بالرحمة. أما الثلاثة الآخرون فإنهم على العكس قالوا: «إلى متى تتكلم هكذا؟ ونَفَس فمك ينتشر فى كلمات؟» (٨: ٢).

١٠- "مع هذا علّم يا أيوب نفسك وتوقف عن الإجابة كالجهال، لكى لا تضيف (خطية) إلى خطايانا، فالإثم سيُحسب علينا إن تكلمنا مطولاً أمام الرب" (٣٤: ٣٦- ٣٧).

إنه لم يقل «نتكلم بطريقة ظالمة وأثيمة» بل قال «نتكلم بطريقة مطولة» مُظهراً أنه لا ينبغى أيضاً أن نرد مطولاً على الله. إن كان فيما يختص بملك لا يجرؤ أحد على الإجابة مطولاً، فكم يكون هذا بالأولى عندما يختص بالله.

الإصحاح الخامس والثلاثون

تابع حديث أليهو

من تكون أنت أمام الله؟

١- **"فأجاب أليهو وقال: ما هذا الذى تظنه بحسب الحق. من تكون أنت لكى تقول: أنا بار أمام الرب؟ أتقول ماذا أستطيع أن أعمل له بخطأى؟ أنا أرد عليك كلاماً على أصحابك معك. انظر إلى السموات وأبصر ولاحظ السحب أنها أعلى منك"** (٣٥: ١- ٥).

أى إن لم تهتد إلى ذلك بالتفكير، فتعلّم على الأقل لكونك تبصر، كيف أن الله بعيد عنك وكيف أنه أعلى منك.

٢- **"إن أخطأت فماذا ستفعل له؟وإن اقترفت آثاماً كثيرة، فماذا يمكنك أن تفعل له؟"** (٣٥: ٦).

أى أنك لن تضره (إن أخطأت)، ولن تفيده بكونك باراً. حيث أن أيوب قال «إن أخطأت فماذا أفعل لك؟» (٧: ٢٠)، (لذلك) قال أليهو: ماذا تفعل؟! لماذا قلت هذا؟ هل يكترث الله بكونك أخطأت كما لو كان هو ضحية لظلم أو كما لو كان سيقاسى خسارة؟

٣- **"حتى إن كنت باراً، فماذا ستعطيه، أو ماذا سيأخذ من يدك؟ لرجل مثلك شرك ولابن آدم برّك.عندما تطلق الجموع المنسحقة صرخات، ويستغيثوا للمعونة من ذراع الأعزاء، لم يقال: أين الله الذى خلقني"**

(٣٥: ٧- ١٠).

وقال أليهو: ألم ترَ فى أى علو يوجد «الذى يعيّن حراسات الليل» (تابع ٣٥: ١). وقال أليهو: ألم ترَ فى السموات أن الكواكب لها كمثل الحراس يحيطون بها ليقوموا على حراستها؟ أى ألا ترَ أن كل شيء مرتب فيها كما لو فى معسكر، وكل شيء يوجد بمنتهى الدقة فى الوضع المناسب له؟ هل حدث مطلقاً أن أى كوكب تخطى الحد المعين له أو تعدى على الموضع المخصص لآخرين. هذا كما لو أن حراس الليل كانوا يلاحظون كل شيء: فلا أحد يحاول الهجوم أثناء نوم الناس. انظر إلى الحيوانات المفترسة عندما تخرج من أوجرتها، يكون الناس آنذاك نياماً. فما كان لهم إلا أن يجتاحوا المدن وحينئذ يهلك كل الناس، لأنهم نائمون ومغلوبون من النعاس!

ينبغى لك أن تسبح الله الذى يحفظ العدل والنظام فى العالم

٤- قال أليهو: "من جعلنى مختلفاً عن حيوانات الأرض ذوات الأربع وعن طيور السماء؟ هناك سيصيحون ولن ينصت أحد، أيضاً بسبب وقاحة الناس الأشرار. لأن الرب لا يرغب فى رؤية القبائح، لأنه هو القدير الذى يلاحظ من يقترفون الإثم وسيخلصني. لكن ترافع عن قضيتك أمامه، إن أمكنك أن تسبحّه، كما هو ممكن الآن أيضاً، لأنه لا ينظر الآن سخطه ولا يلاحظ بصرامة أية تعديات. لكن باطلاً يفتح أيوب فاه، وفى جهله يُكثر الكلمات" (٣٥: ١١- ١٦).

إنه تكلم أيضاً عن الإحسان الخاص لكل كائن. وهو قال: «الذى جعلنى مختلفاً عن ذوات الأربع». هوذا هنا مزية الطبيعة. ثم أضاق قوله «ولن ينصت أحد بسبب وقاحة الناس الأشرار» هوذا هنا حمايته.

«الرب لا يرغب فى رؤية القبائح» ليس فقط لأن الرب لا يقبلها، بل إنه لا يريد حتى رؤيتها كما يقول نبى آخر «عينيك أطهر من أن تر الشر» (حب ١: ١٣). أنت ترى كم هى عظيمة عنايته، كم هى عظيمة حمايته، كم هو عظيم إدراكه! وحتى لو أنه لا ينتقم منك، فإنه يُظهر مع ذلك كراهيته لهذا العمل.

ثم حيث أنه قال «الله لا يرغب فى رؤيتها» فلكى لا تظن أن الله يجهل هذه الأعمال، بل تعلم أنه يستهجنها، اسمع كيف أنه تابع كلامه بقوله: «لأنه هو القدير الذى يلاحظ كل الذين يقترفون الآثام. لكن ترافع عن قضيتك أمامه إن أمكنك أن تسبحه كما يليق». وقال أليهو: إن أقام محكمة وأعلن قراراته فلن تسبحه ولن تمجده كما يحق له بسبب ما حدث لك، والآن أنت تظن أنك مُعاقب ظلماً. إن عدم القدرة على تسبيح الله كما يحق له ليس خطية خطيرة[1]، لكن عدم القدرة على تسبيحه كما يحق عما يخصنا، عندما نترافع بقضيتنا أمامه، فهذه هى الخطية الخطيرة.

---

(١) ١- نحن لا نستطيع أبداً أن نسبح الله بحسب ما يستحق، لكن من المهم أن نسبح تصرفه من نحونا حيث نستطيع أن نميز بآن واحد ضعفنا ورحمته. وذهبى الفم – بدون شك – يتفكر هنا فى مثل الإنجيل (لو١٩) إذ أن العبد لحظة تقديم الحساب، فبدلاً من أن يمدح سيده لامه وقال له «عرفت أنك إنسان صارم٠٠ » فأجابه السيد بناء على هذا بالقول «من فمك أدينك» (لو١٩: ٢٢).

الإصحاح السادس والثلاثون

تابع حديث أليهو

اعلم أن كلماتى صادقة ومؤسسة على وقائع

١- "وعاد أليهو فقال: أصبر عليّ قليلاً حتى أعلّمك، لأنه لا تزال لديّ كلمة لأقولها. سأسعى لاستدعاء علمى من بُعدٍ، والكلمات التى سأنطق بها ستكون صادقة بفضل الوقائع. وأنت لن تفهم بطريقة غير صحيحة الكلمات التى لم تكن غير عادلة" (٣٦: ١- ٤).

أى ليس استناداً منى على الوقائع ذاتها سأُعبّر عن عدل الأحداث، فهذا لا يكون من كلمات أو من أحاديث.

٢- ثم فيما بعد يتابع النص قوله: "احذر لا تقترف الآثام" (٣٦: ١٢).

إنه لم يقل له: أنت اقترفت آثاماً.

"فتذكر يا أيوب أن أعمال الله أكثر عظمة من الأعمال التى يباشرها البشر: كل إنسان رأى بنفسه كم من المائتين قد جُرحوا"

(٣٦: ٢٤- ٢٥)

أى كم يهلكون كل يوم ويُحذفون من الحياة.

ليس لنا إلا أن نسجد أمام حكمة الله

٣- "إنه عدّ قطرات المطر" (٣٦: ٢٧)

لاحظ عنايته الإلهية فى هذه النقطة.

«والسحب تنشر ظلها على مائتين عديدين. وهو حدد ساعة لراحة القطعان فتعرف موضع رقادها» (٣٦: ٢٨).

ولو أنها محرومة من العقل، فإن الطبيعة تعرّفهم. وهذه مقدمة لما سيتحادث به الله مع أيوب.

٤- **"ألا يندهش ذهنك لكل هذا؟"** (تابع ٣٦: ٢٨)

إنه لم يقل «يُفاجأ» بل قال «يندهش» لأن هذا بالحق يتفق مع الانذهال، الانبهار.

من أين يتأتى أن الحيوانات تحافظ على نظام مرتب حسناً؟ هذا لكى تعرف – أنت أيضاً – أن الذى يحكمها ليس العقل بل يحكمها الذى أعطاك العقل.

الإصحاح السابع والثلاثون

نهاية حديث أليهو

كل شيء في الخليقة يدعونا إلى التواضع

١- **وتابع أليهو الكلام فقال: "ليعلم كل إنسان ضعفه"** (٣٧: ٧).

قال أليهو: هذا هو السبب لعظمة خلائقه، وسبب البرد والحر وسبب تقلب الرياح. ألم تكن هناك إمكانية لعمل مزيج متناسق؟ إن كان الله لم يصنع هكذا، فهذا لكى يمنع بكل الطرق تكبر وتفاخر الذهن. هذا لكى «يعلم كل إنسان ضعفه»، والكتاب يقول «قدام برده من يقف؟» (مز ١٤٧: ١٧). والكون كله مخلوق فى إطار هذا الهدف، ولأجل هذا موجود الكل. وحيث أن الكبرياء فوق كل شيء هى التى أبعدت عنا الثقة فى الله، فلأجل هذا كل شيء مرتب من الله مقابل ضده، مثل الخليقة أيضاً وكذلك تكوين الجسد وسيرة الحياة[1] بحيث أن كل هذا موجود لأجل التواضع، لكى نتعلم أن نسلك بتعقل ونعرف ضعفنا، فنقول مثل إبراهيم «تراب أنا ورماد» (تك ١٨: ٢٧)، ونقول مثل داود «أما أنا فدودة لا إنسان» (مز ٢٢: ٦)، ولنقل مثل الرسول «كأنه للسقط ظهر لى أنا» (١كو ١٥: ٨). إنه خلق الإنسان ضعيفاً، وهو إذ يظن أنه قوى يصير أيضاً بالأولى أكثر ضعفاً. فأحياناً يُظهر الله قوته وضعفنا فى نفس الوقت، وأحياناً أخرى يُظهر قوته فقط، فهو ليس فقط يريدنا أن نُبدى إعجابنا به فيما هو يؤدبنا، ولكن هناك حالات أخرى يستثير فيها تفكيرنا فيما يفعله.

٢- وبعد ذلك يمضى النص فيقول: **"ثيابك ساخنة، ولكن يوجد سكون على الأرض"** (٣٧: ١٧).

إما أنه يريد القول: أنت الآن فى البلايا، لكن فيما بعد سوف تستريح، فهذه خاصية للحكمة الإلهية أنها تسبق فترى الموت كحل ونهاية لبلايا البشر. أو أنه يريد القول: حتى فى وسط التجارب تبقى موضوعاً خارج القتال والعراك والاضطرابات، وبهذه الطريقة يعاقبك[2].

---

(١) ١- يقصد ذهبى الفم أن تكوين الجسد مرتب فيه الشيء وضده (المرض والصحة..)، وسيرة الحياة (من جهة الغنى والفقر مثلاً).

(٢) ٢- لكى يمكن فهم ما يقصده ذهبى الفم هنا علينا الرجوع إلى ما قاله على الأعداد ١٠:٣٣-٢٢.

٣- قال أليهو: "من أجل ذلك علّمنى ماذا سنقول له فنكف عن إكثار كلامنا" (٣٧: ١٩).

أى لماذا حدث هذا (لك)؟ هل نستطيع أن نسأل الله؟ لن أقول شيئاً حتى لو كان بإمكاننا أن نعرف شيئاً عن هذا الموضوع.

٤- "هل لى كتاب أو كاتب بجانبى حتى أقوم وأسكت إنسان؟"
(٣٧: ٢٠).

أى هل من كتاب نستعير منه الكلمات التى نوجهها له؟ هل هو إنسان؟ ألا تدرك أنه بدلاً من حروف الكتابة، أن الخليقة كلها هى التى تصرخ فى كل موضع؟ وهو قال «هل يلزم أن أسكت إنساناً؟» لكن الخليقة هى التى تجيب من كل جانب، إذ أن الأرض موجودة ونراها. هل يلزم أن أصل ومعى ملف اتهام؟ لكن هو الذى جلب الكون كله، وأيضاً لم يكن ممكن الاستناد على كلمات للملاجحة ضد الله والرد عليه بكل هذا. لذلك انظر كيف أن الله بعد ذلك هو الذى تدخل فى الموضوع، لأن عبده (أليهو) قد مهّد له الطريق، وهو الذى أطال الحديث عن حكمته وأعاد الأمور إلى نصابها.

الإصحاح الثامن والثلاثون

تدخل الله

هل تظن (يا أيوب) أننى أجهل ما تفكر فيه

١- يقول النص "عندما أنهى أليهو حديثه كلّم الرب أيوب عبر العاصفة والسحاب" (٣٨: ١).

فى رأيى أن الله وضع – فى هذه اللحظة – السحاب فوق ما هو حدق (بنظره) لكى يرفع فكر أيوب ويقنعه أن هذا الصوت آت من فوق كما هو الحال فى «الغطاء الموضوع فوق تابوت العهد» (عد ٧: ٨٩). وكما أن السحاب هو رمز للسماء، فكأن الله أراد أن يضع السماء نفسها فوق أيوب، كما لو كان يقتاد عرشه عنده. ويبدو لى أن هذا ما حدث أيضاً على الجبل لما صار السحب «الثقيل» (خر ١٩: ١٦)، ليعلّمنا أن الصوت آت من فوق (انظر عد ٧: ٨٩). فلنسمع بحرص شديد إذ أن رب الكون هو الذى يتكلم، ولننظر كيف ينصح (حرفياً يعظ) أيوب. فهل ينصح بنفس حماس البشر؟ لا على الإطلاق.

أيها (القارئ) المحبوب، إن كل المسائل السابقة التى أثارها أيوب بطريقة جارحة والتى تمنينا أن نجد لها حلاً، فالآن نحن نجد الحل واضحاً جداً. فلننظر ما الذى عابه الله على أيوب!

٢- قال الرب: "من هذا الذى يخفى مشورته (فكره) عنى ويخفى كلماته فى قلبه ظاناً أنه كتمها عني؟" (٣٨: ٢).

أتنظر ما الذى فعله الله؟ يبدو لى بالحكم على أقواله أنه كان يريد أن يُدخل إلى فكر أيوب أمراً آخر. كما لو أن أيوب كانت له أفكار كثيرة فى رأسه ولم يتجاسر على أن يبوح بها.

لأجل هذا ابتدأ الله فى تقويمه، وبأن يُظهر له بأنه يسبق فيرى أفعال البشر وأنه يعرفها كلها بوضوح، وأيضاً ابتدأ الله بالشكوك الأولى التى لا تُغتفر بالأكثر. لأنه إن كانت الاعتراضات التى تجاسر على الإفصاح عنها، كانت هكذا جارحة وقاسية، فكم بالأولى تكون الأخرى. لذلك إليها أولاً (توجه بأن) أعطى العلاج.

قال الرب: فمن هذا؟ وفى نفس الوقت أظهر منذ البداية أية مسافة تلك التى تفصلنا عن الله.

قال الرب: قل لى يا أيوب، فمن هذا – الذى يحاول – أن يختفى عني، أنا الذى أعلم الأسرار بمنتهى الدقة؟ فهل لأنك لم تُبح بها لا تكون كلمات (شاهدة ضدك)؟ إن الحديث يتولد ويتشكل (فى الذهن) حتى لو أخفيته.

ها أنت ترى أية وداعة وبأى اهتمام يقوّم الله أيوب ويقنعه!

أتريد أن تناقش يا أيوب؟ أجبني

٣- "**أشدد الآن حقويك كرجل فإني سأسألك، أما أنت فأجبنى**" (٣:٣٨).

حيث أن أيوب كان مكدوداً بالإحباط (واليأس) فإن الله أقامه بكلمته ليجعله منتبهاً إلى ما يُقال، وقدم له حديثه فى صيغة أسئلة، والتى هى أفضل الطرق للإقناع. إنه بيّن له على وجه الخصوص أنه صنع كل شىء بحكمة وفطنة، وأنه كان مستحيل على من يصنع أشياء كثيرة بحكمة وفطنة أن يهمل الإنسان الذى لأجله صنع كل شيء، حتى عندما يكون ذلك الإنسان تعيساً كما هو الحال مع أيوب.

قال له الله: فماذا تقول (يا أيوب)؟

٤- "**أين كنتَ حين أسستَ الأرض؟ أجبنى إن كان عندك فهم؟ من ثبّت مقاييسها؟ هل تعرفه أو من مدّ عليها مطماراً؟ على أى شىء تثبتت قواعدها أو من وضع حجر زاويتها؟**" (٣٨: ٤- ٦).

فماذا تقول يا أيوب؟ إنه لأجلك أقمتُ الأرض بمثل هذه العناية، فهل سأهملك وأنا لأجلك خلقتُ الأرض!

لهذا لم يبرز الله مهارة الخلق والتوافق بين التحقيق والتجهيز (للخلق)، لكن بدءاً من الأرض والسماء أظهر باستفاضة أنه إن كان الكون ينعم لأجلك بمثل هذا الاهتمام العظيم، فكم بالأولى أنت (يا أيوب).

أين كنتَ حين أسستُ الأرض؟

قال الرب هذا موجهاً كلامه لمن يريدون أن يحاسبوه ويطالبونه بتفسير للأحداث دون أن يتفرسوا عظمة حكمته.

(يقول الرب) من نصحنى؟ من أشار عليّ؟ من أتى لمساعدتي؟

إنه لم يقل «عندما خلقت» بل قال «عندما أسست»، وعلى ذلك فحتى ثبات الأرض كان دليلاً على مهارة عظيمة فى الصنع، إذ أن لا قاعدة أو أساس أو عضد لكتلتها، والمقصود أن الله جمع مثل هذه المواد كلها بانسجام وثبتها بمثل هذه الصلابة حتى أنها منذ زمن طويل لم تتزعزع!

قال الرب: من ثبت مقاييسها؟ هل تعرفه؟ أو من مدَّ عليها مطماراً؟

إن أسرار الله هى بالحق فائقة الوصف عن أن نعرفها، وما قيل لأيوب لم يكن موجهاً لنا أقل مما هو موجّه لأيوب.

«أشدد الآن حقويك كرجل»

وعلى ذلك فنحن الذين احتجنا لهذا التشجيع وهذه التعزية.

«من ثبت مقاييسها؟»

لذلك فإن مقاييسها لم تؤخذ اعتباطاً ولا صدفة، بل الله هو الذى ثبتها آخذاً فى الاعتبار هدفاً متناسقاً، وسالكاً كمهندس عظيم، لأنه كان يلزم أن تكون الأرض بهذا الاتساع بلا زيادة ولا نقصان.

أما عن العلّة فلم يكن ممكناً لنا أن نراها جيداً، الخالق وحده هو الذى يستطيع ذلك، لأنه خلقها بدقة عظيمة كما لو كان مدَّ عليها مطماراً، وفى اعتقادى لو كان أُضيف عليها شيء، أياً كان هذا الشيء، سيكون أيضاً فى غير محله ولكان صار غير مفيد. وفى الحقيقة لو أُضيف أى شئ بالنسبة إلى أعضاء جسمنا، ليس فقط سيتم تشويه جمال الجسد كله، بل أيضاً استخدامه يُفسد عمل بقية الأعضاء. كذلك يبدو لى أنه لو كان أُضيف أى طول إلى الأرض كلها ولو مائة قدم لكانت الأرض هلكت وهى التى محسوب مقاييسها بهذه الدقة العظيمة، وما كانت الأرض ستقوم بخلاف الطريقة التى صنعها الله عليها. ليس (معنى هذا) أن الله أخذ هذه المقاييس أو أنه أمسك حبل (وقاس به)، لكنه يريد القول أنه كان مستحيلاً أيضاً أخذ القياس أو استخدام الحبال لقياسها، ولكنها خُلقت بنفس الدقة كما

لو استخدمنا هذه الوسائل. لكن الله أظهر لنا حكمته من خلال الصور المألوفة لنا.

قال الرب: على أى شيء تثبتت قواعدها؟

إنه ابتدأ بالقول أنها معلقة. أية قواعد تسندها؟ ومرة أخرى أنه لا يريد القول أن هذه القواعد موجودة، بل يريد القول أن الأرض وُجدت هكذا مقامة بهذه الصلابة كما لو كانت توجد قواعد (خرسانية) تسندها مثبتة من فوق. ولأن القاعدة تُمسك بكتلتها معلقة فى الهواء، وما هو معلق فى الهواء ليس بثابت، لذلك استخدم التعبير «تثبتت».

«من وضع حجر زاويتها؟»

إنها متماسكة أيضاً بمتانة كما على أساسات، مستقرة فى أمان تام على أساسها بإرادة الله «لأن فى يده توجد كل أطراف الأرض» (مز ٩٥: ٤).

٥- **"عندما صنعتُ الكواكب، سبحتنى كل ملائكتى بصوت عالى"** (٣٨: ٧).

هوذا هنا يظهر (لنا) بوضوح أن الملائكة كانت أول خلائق هذا الكون. «إنهم سبحونى بصوت عالي» أى أنهم أُصيبوا بدهشة عظيمة لهذا المنظر.

هل أنت الذى خلقت البحر وحفظت حدوده؟

٦- **"هل أغلقت أبواب البحر عندما اندفق فخرج من الرحم"** (٣٨: ٨).

أى عندما خُلق البحر هل أحطته بسدٍ؟ لماذا قال «عندما اندفق؟» هذا لكى يُظهر أنه ظهر تدريجياً، وهكذا فإن الخليقة لم تُصنع كلها مرة واحدة، وهو يعيد السامع مرة أخرى إلى قصة موسى. كما لو كان البحر اندفق فانتشر أولاً (على مساحات شاسعة)، وبعد ذلك أخذ شكله و»أنجمع» (انظر تك ١: ٩). ولكى لا تظن أنه من الطبيعى للبحر أن يُحجز بشواطئه، لذلك سمح الله أولاً أن يحدث العكس، متيحاً للمياه أن تنتشر على وجه كل الأرض. وفعل نفس الشيء للعناصر الأخرى. وفى الواقع أن وضع الأشياء فى نصابها، كان ينبغى أن يحل بعد ذلك، وهو الذى أظهر ما كان عليه الشيء الأول، كما فى حالة الأرض، فالتكوين الأول للعناصر، أظهر أن الأرض التى كانت متاخمة للمياه صارت طينية، والبحر الذى كان منتشراً على وجه الكرة الأرضية أظهر أنه لو لم يكن الماء محجوزاً لصار منتشراً فى كل موضع.

والله أظهر أيضاً أنه حتى قبل وجود البذور، كان يمكنه أن يخلق كل شيء، كما بدون زواج خلق أبوينا الأولين، وأظهر أيضاً أنه حتى لو لم تأخذ النار وضعها (المحدد لها) لكانت أفنت كل شيء، وأظهر هذا «عندما أمطر الرب نار» (تك ١٩: ٢٤). وفى عصر طوفان نوح، كما لم يكن هناك من يعاين عمارة المسكونة الأولى (قبل خلق آدم)، فهذا ما حدث أيضاً فى المرة الثانية. لكن هذا لم يكن المقصود به أن البحر له أم وأنه خرج من رحم.

٧- **"ووضعت عليه (أى على البحر) سحابة عوض رداء"** (٣٨: ٩)

فلا تظن أن الأبخرة التى تصعد المياه هى طبيعية، فهذا أيضاً حتمى للنظام الذى وضعته (أنا الله).

٨- **"وقمطته بأقماط من بخار رطب"** (٣٨: ٩).

لماذا قال «قمطته بأقماط..»؟ هل يحتاج البحر لأقماط مثل رضيع؟ إنه يريد إظهار إما أن هذا كان منذ البدء، أو أن البحر هكذا محجوز، أو أن هذا الفعل غريب كان بسبب أنه أحاط العنصر السائل بالهواء، وأن البحر محجوز ليس فقط بالأرض، بل أيضاً بالهواء، إذ أنه لا يستطيع أن يتخطى حدوده لا فى الارتفاع ولا فى العرض.

لكن ما الفائدة (من هذه الملاحظة)؟ إنه يُستنتج من ذلك حقيقة فلسفية عميقة. لأنها لا تعبّر فقط عن المظهر، بل أيضاً عن طبيعة الماء، فالمياه – وخصوصاً مياه البحر – تشتمل فى ذاتها دائماً على البخار.

٩- **"ووضعت له حدود وأحطته بحواجز وأبواب"** (٣٨: ١٠).

إنه عاد من جديد لفكرة أن البحر قابع أيضاً فى موضعه بهدوء كما لو كان مربوط. بهذا أظهر كيف أن البحر آمن، وبما تلا ذلك أظهر كيف أنه طائع.

١٠- **"وقلت له: إلى هنا تأتى ولا تتعدى، وأمواجك تنكسر فيك"** (٣٨: ١١).

إذاً فإن الرب حفظه أيضاً بقوة بحواجزه وزوده بدوافع الهدوء الكاملة كما لو كان قد أعطاك أوامر بذلك. وقال الرب: أنا أمرت والبحر لم يعترض. لأن هذا يحدث ليس فقط عندما يثيره أمر مضاد، لكن حتى إذا أهاجته قوة مثيرة وكأنها تلاحقه بضربات سياط عنيفة. وحتى لو لم يتح له الله أن يبقى هادئاً وساكناً، فهذا لكى يعلن عن قدرة الله. فمع

أن طبيعته تصارع ضد وصية الله (الآمرة له ألا يتخطى حدوده)، إلا أن وصية الله هى التى تغلبت عليه. ولو بقى الماء هادئاً لنسب كثير من الناس هدوءه إلى طبيعة الماء، لكن كما هو فى الحقيقة، يهتاج ثائراً من الداخل، لكن دون مقدرة على تخطى حدوده، فيعلن هياجه عن قوة الله، «وأمواجك تنكسر فيك»

هل أنت الذى خلقت النور؟

١١- من جديد وبدءاً من هنا اجتذب الله أيوب نحو السماء، بعد أن ابتدأ أحاديثه بالأرضيات.

قال الرب: "وضعت فوقك نور الصباح" (٣٨: ١٢).

ويوجد أيضاً نور الليل الذى هو نور القمر.

"وكوكب الصبح عرف موضعه"(تابع ٣٨: ١٢).

فهو أول الكواكب. لاحظ الترتيب الجميل هنا أيضاً، فكما من مثال المياه، فهمت أن فى السماء أيضاً، ليست الطبيعة هى التى تنظم الأشياء، بل عناية الله هى التى تفعل هذا. إن كان البحر وهو مادة سائلة ثائرة، أظهرت مثل هذا النظام والترتيب، فعندما تلاحظ مثل هذا فى السماء تذكر من هو بارئها.

١٢- قال الرب: "ليمسك (نجم الصبح، أى الشمس) بأطراف الأرض" (٣٨: ١٣).

أى ليتم دوره. ما المقصود بكلمة «ليمسك»؟

فى أى مكان وجد، فإن كوكب الصبح يرسل نوره إلى كل موضع فى الأرض، حتى لمن هم فى أقصى العالم، بحيث أن هذا الأمر ليس بمستغرب بالنسبة للشمس، إذ أن هذا يحدث أيضاً للكواكب، لكن ما فائدة هذا النور؟

١٣- قال الرب: "حينئذ يطرد الأشرار منها" (٣٨: ١٣).

إنه يقصد اللصوص وسارقى المقابر، وكل من يستخدمون الليل ستاراً لضلالهم. بعد ذلك، هوذا أجمل كل الأشياء:

هل أنت الذى خلقت الإنسان وأعطيته النطق؟

١٤- "هل أنت أخذت الطين وصنعت منه كائناً حياً، ووضعته على الأرض بعد أن زودته بالنطق؟" (٣٨: ١٤).

هذا يثبت بوضوح أن الكائنات الأخرى لا تمتلك هذه الموهبة، لأنه بعد أن أعطى الله النفس للإنسان، لم يضف له هذه الموهبة إلا كامتياز استثنائي، إذ أن هذا الصوت منظوم ومتناسق.

ها أنت ترى أنه لم يستشهد لا بالكواكب ولا بالكائنات الأخرى. ثم تابع كلامه بعد ذلك قائلاً:

أسرار البحر والموت

١٥- "هل منعت (يا أيوب) النور عن الأشرار وسحقت ذراع المتكبر؟ هل وصلت إلى منبع البحر؟" (٣٨: ١٥- ١٦).

من جديد عاد الرب للكلام عن البحر فى حديثه، ليس كأن البحر له منبع، بل هو لا ينضب وكأن له منبعاً.

١٦- بعد ذلك يتحدث عن صفته التي يتعذر تعديها. وهو يقول: "هل تمشيت فى طرق لجّته؟" (٣٨: ١٦).

لست فقط أقول أنك لا تستطيع عمل أيٍ من الأعمال التى أنا أعملها، بل أيضاً أنت لا اعرف حتى كيف تمت. فأنت لا تستطيع أنْ تعرفها أو تفحصها بدقة.

وبهذه الكلمات عرّف الرب أيوب بالهوّة التى تفصله عنه.

١٧- "هل انفتحت أبواب الموت أمامك خوفاً منك؟" (٣٨: ١٧)

هوذا هو يعبّر عن الأمور غير المرئية عن طريق الحقائق المرئية، وهو بهذا يريد أن يقول: لديّ سلطان على الحياة والموت والهاوية هى سجن يخصنى.

١٨- "هل انزوت أبواب الهاوية لدى رؤيتك خوفاً منك؟ هل أخبرت عن عرض الأرض؟ أخبرنى عن أبعادها وطبيعتها، وأين يقطن النور؟ وأين مقر الظلمة؟ لو استطعت بالحق أن تقودنى إلى تخومها وإن عرفت أيضاً سبلها، حينئذ أعلمُ أنك ولدت فى ذلك العصر، وأن عدد سنينك كثيرة" (٣٨: ١٧- ١٨).

قال الرب لأيوب: أخبرنى عن موضع اختباء النور والظلمة. لكن لماذا الكلام عن عناصر؟ تكلم (يا أيوب) عما يخصك. متى ولدتَ؟ بالتأكيد كان أيوب يعلم متى ولد، لكن الله سأله هذا السؤال ليعلم عن الأشياء الأخرى. فما هى مدة حياتك؟ فأنت (نفسك) تجهل ما يختص بك.

١٩- **"أدخلتَ إلى خزائن الثلج أم أبصرتَ مخازن البَرَد؟"** (٣٨: ٢٢).

ليس معنى هذا أنه توجد مخازن، لكنه يُظهر أن هذه العناصر هى تحت تصرفه عندما يريدها، كما لو كان يسحبها من مخازنه.

٢٠- **"وهل حفظتها لساعة (المواجهة مع) أعدائك، وليوم القتال والحرب؟"** (٣٨: ٢٣).

أنت تفهم أنه يريد أن يبرهن على ملائمتها (للاستخدام)، إذ أن هذا يحدث فى حينه الحسن وليس اعتباطاً.

٢١- ثم يتحدث أيضاً عن كل الأشياء الباقية، أقصد الأمطار والبَرَد، وعكسهم ريح الجنوب الحارة فيقول:

"من أين يخرج الجليد، من أين تخرج الريح الجنوبية التى تنتشر على وجه الأرض؟ من أعد أخاديد لسيول الأمطار وطريقاً للعواصف؟ لكى يسقط مطرهم على أرض لا يوجد فيها إنسان وعلى صحراء لا يوجد فيها بشر، لكى يغطى بالعشب أرضاً جرداء وغير مأهولة ويعطى إنباتاً لها؟" (٣٨: ٢٥- ٢٨)

ها أنت ترى أن الله قادر ليس على أمر واحد بل قادر على كل شيء.

٢٢- **"من هو والد المطر؟ ومن ولد قطرات الندى؟ من بطن مَنْ خرج الجليد؟"** (٣٨: ٢٨- ٢٩).

إن الله لا يريد القول أن المطر يخرج من بطنه.. حاشا لله! لكن فماذا يريد النص القول بكلمات ولادة وبطن؟ كما أنه عندما تكلم بخصوص البحر فقال «عندما أندفق فخرج من ارحم» (٣٨: ٨). فهو لم يقصد أن البحر له أم، كذلك هنا هو لا يريد القول أن الجليد يخرج من بطن، بل يريد الكلام عن تشكيله ومنشأه، فنفس الأمر يسرى هنا. فلماذا استخدم هنا كلمة «ولادة» متواتراً؟

فى رأيى أنه يريد الإشارة إلى من هو العلّة الأولى والوحيدة، وإلى واقعة أن الخلائق قد تشكلت كلها فى مخيلته حتى قبل أن تُخلق. وبالمثل فإن هذه التعبيرات اُستخدمت فيما يختص بابن الله، ولكنها وردت بأسلوب أكثر سمواً، لأنه حيثما وجد الابن، توجد كلمات مثل «أنا ولدتك»، «الابن الوحيد» وتعبيرات أخرى نظيرها لم تُستخدم بالطبع فى الحديث عن المخلوقات.

٢٣- "**من قد أضنى بالحزن وجه الأثيم**"[١] (٣٨: ٣٠).

أنت ترى كيف هو يمزج بين مظاهر الخليقة. ماذا يهمنى فيما يختص بالمهارة فى الخلق؟ ما يريد النص أن يُظهره فى كل موضع هو عنايته الإلهية وكيف أنه أقام الحقائق التى لا يستطيع العقل اكتشافها.

٢٤- "**هل ربطت أنت عُقد الثريا؟ هل تعرفه؟**" (٣٨: ٣١).

أى أية ضرورة وأية رابطة مشتركة، لا تتوقف عن تجميع هذه الكواكب، كقطيع واحد؟

٢٥- "**هل فتحت حاجز الجبار؟**" (٣٨: ٣١)..

لكى يمكنه أن يدور (فى مساره).

٢٦- "**أتخرج بروقاً فتذهب، وتقول (هي) لك: ماذا تريد؟**" (٣٨: ٣٥)

إلى الآن خص الله بالذكر السماويات التى بها يعاقبنا، وتلك التى بها يعمل لنا الخير. لاحظ أيضاً أن البروق تُجيب، ليس بمعنى أن البروق ستقول: ماذا تريد؟ لكنه يريد القول أن كل المخلوقات تُصغى (تطيع) الله كما لو كانت كائنات حية. كل مرة يريد الله أن يُظهر تنوع تشكيلاتهم يتحدث عن الولادة وعن الرحم، وعلى العكس كل مرة يريد أن يُظهر خضوعها وكمالها يمثّلها كما لو كانت تُصغى (تطيع) إلى ندائه. فلماذا يقدم نفسه ليس فقط كصانع بل أيضاً كأب؟ هذا لأن القدرة (حرفياً الفن) التى اُستخدمت فى إبداع الطبيعة أعظم بكثير من القدرة البشرية، لأنه بالحق والحقيقة هى قدرة إلهية.

---

(١) (١) ١- وردت هذه العبارة فى النص السبعينى الإنجليزى هكذا «من أرعب وجه الأثيم؟».

فن الحياكة (الخياطة)

٢٧- "**من علّم المرأة فن الحياكة ومن أعطاها فن التطريز؟**" (٣٨: ٣٦).

لاحظ أنه هنا يتكلم أيضاً عما هو مفيد، ويخلط بين الأشياء الكبيرة والصغيرة. وبالحق فهذا لا يختص بأول الفنون، والذى هو فن ممتلئ بالتنوع وفائدته ليست قليلة. وهل كانت أعمال هذا الفن ستصير شهيرة لو لم تكن هبة (من الله)؟ ولاحظ أيضاً نوع الجنس الذى نال هذه الهبة.

٢٨- "**من يحصى الغيوم بالحكمة ومن أحنى السماء نحو الأرض؟**" (٣٨: ٣٧).

أنت ترى أن السماء تلمس الأرض تماماً، وهذا هو معنى «أحنى السماء».

٢٩- "**إنها مفرودة كتراب غبارى**" (٣٨: ٣٨)

إنه يشير إلى رقة السماء حتى أن إشعياء يقارنها بالدخان (إش ١٥: ٦).

٣٠- "**وأنا لصقته كحجر منحوت إلى آخر**[١]" (تابع ٣٨: ٣٨).

بقوله أن القبة السماوية كانت «كحجر منحوت» فهو أراد إظهار متانتها وصلابتها، أو أراد إظهار أن القبة السماوية ليست مثلما نراها دائرية بل هى مربعة.

هل أنت الذى تطعم الحيوانات؟

٣١- "**هل تصطاد فريسة للأسود؟ وهل تشبع نفس الحيات؟**" (٣٨: ٣٩).

لماذا يقول هذا الكلام؟ إنه يريد القول: إن كنت أنا أعتنى جداً بكائنات غير مفيدة ـ ليست هى حتى صالحة لخدمتك ـ أفلن أهتم بالأولى بكم؟ بأى قدر يمكن للأسد أن يخدم الإنسان؟ إنه يشير هنا إلى ما وضعه فى الطبيعة لإطعام الحيوانات.

٣٢- "**لأنهم يخافون فى أوجارهم**" (٣٨: ٤٠).

فمع أنهم لا يجتمعون فى قطعان ولا يُقادوا إلى المرعى، بل دائماً ساعين إلى الأوجار والأماكن الخالية (للاختباء فيها)، فهم مع ذلك لا يموتون من الجوع. وهو تابع الكلام قائلاً «يجلسون كامنين فى الغابات» (٣٨: ٤٠).

---

(١) ٢- أى أنه لصق التراب الغبارى إلى بعضه كإلصاق الحجر المنحوت إلى حجر آخر.

٣٢- **"من يهيئ طعاماً للغربان، عندما تنعب (تصرخ) صغاره للرب، عندما تهيم هنا وهناك بحثاً عن طعامها؟"** (٣٨: ٤١).

إذ يقال أن الغربان لا تُطعم صغارها. من الطبيعى للغربان الكبيرة أن تجد طعامها، لكن من يطعم صغارها؟

أليس هذا ما تقوله كلمة الله (فى العهد القديم[١])، كما أيضاً فى الإنجيل؟ «طيور السماء لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوى يقوتها» (مت٦:٢٦). انظر كيف أن حديث الله (هنا) يأتى على ذكر الحيوانات غير النافعة للإنسان وأكثرها نجاسة، لأنه يريد أن يُظهر فيض عنايته، وبالأحرى أيضاً حديثه فى الإنجيل إذ يقول: «انظروا إلى طيور السماء» (مت٦:٢٦). وفى موضع آخر يقول انظروا «عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويُطرح غداً فى التنور يُلبسه هكذا، أفليس بالحرى جداً يُلبسكم أنتم يا قليلى الإيمان» (مت٦:٣٠).

اعتقد أن أيوب قد ظن فى نفسه[٢] الأمور تسير بالصدفة واعتباطاً، والله غير معتنى بها أبداً، فلهذا أجابه الرب فى حديثه قائلاً أن له اهتمام عظيم بالكون ولهذا تكلم عن مخلوقاته وأيضاً عن كسائها.

---

(١) ٣- «المعطى للبهائم طعامها، لفراخ الغربان التى تصرخ» (مز ١٤٧: ٩).

(٢) ٤- لا أظن أن الأمر هكذا، لأن الإنسان عادة فى أوقات المحنة ينحصر حول ذاته ومشاكله ويخطر فى باله تخلى الله عنه، ولذا كان كلام الله هنا مفاده أنه إن كان يعتنى بالمخلوقات غير العاقلة بل والمؤذية، فكم بالأولى يهتم بالإنسان الذى هو تاج كل الخليقة ومحل لذة الله؟

الإصحاح التاسع والثلاثون

تابع تدخل الله (بالحديث)

عجائب ولادة الأيائل

١- **قال الرب: "هل حميتَ الأيائل وقت الولادة؟"** (٣٩: ١).

إن الرب مُحقٍ فى القول: «هل حميت.. ؟» إذ أن الهرب والهلع والقلق أمور طبيعية عند هذا الحيوان الذى لا يكف عن القفز والركض، فكيف لا يحدث له إجهاض، وكيف تلد فى موعدها؟

٢- **"هل حسبت الشهور الكاملة لمدة حملها؟ وهل خلصتها من مخاضها؟ هل ربيت صغارها فى جو آمن؟"** (٣٩: ٢- ٣).

إن هذا الحيوان جبان، فكيف يمكن لصغاره أن تكون بمعزل عن الخوف، وهى التى لا تستطيع (إلا) أن تعتمد على سرعة الجرى؟ من يسهر عليها؟ ها أنت ترى أن الطبيعة لا تتخلى عنهم، ولا الأسد يستطيع أن يتغلب عليهم بقوته فلا الأيل متروك (من الله)، ولكنه مع ذلك حيوان جبان (بطبيعته).

الحمار الوحشى والحصان

٣- **ثم أضاف الرب قوله "من سرّح الحمار الوحشى حراً؟"** (٣٩: ٥).

من فعل هذا؟ من أقام قوانين الطبيعة؟ إنها قوانين ثابتة ولا تتغير. إن هذا الحيوان قوى ولا يُروض، وحتى لو ضاعفت جهودك فلن تستطيع أن تمسكه فى يدك. «التدابير التى يتخذها الله من (يمكنه أن) يلغيها؟» (إش١٤: ٢٧).

ها أنت ترى أنه بناء على العناية الإلهية ولأن الله يريد هذا، تخضع الحيوانات لنا وتطيعنا، لكن لو لم يشأ لها الله أن تطيعنا، فعبثاً نحاول حتى لو استخدمنا ألف وسيلة، فإن الجهد سيضيع هباءً.

لكن لماذا حتى لو رغبنا فى استخدامها، تكون كل محاولاتنا عبثاً؟ لكى عندما نرى حيواناً أليفاً نُبدى إعجابنا بالخضوع الذى يقيم فيه. إن الله ترك أشياء كثيرة بعيدة عن

متناول أيدينا، لكى أمام تلك التى تخضع لك لا تنبهر بحكمتك الشخصية ولا تنسب طاعة هذا الحيوان لك إلى مهارتك الشخصية.

ثم وجّه الرب حديثه للكلام عن الحيوانات الأكثر نفعاً لنا ذاكراً خضوع الخيول، وهو يتكلم مطولاً عن هذا الحيوان وعن زهوه وحماسه وكفاءته فى القتال وقدرته على تخليص الإنسان من الخطر.

ها أنت ترى أن كلاهما يختال زهواً، الحمار الوحشى كما الفرس، ولكن الثانى فقط هو الذى يخضع لنا وليس الآخر.

٤- ثم تكلم عن حاسة النظام (الانضباط) عند الخيول، إذ بمجرد أن تسمع صوت الأبواق تعرف علامة القتال "عند نفخ البوق يقول هه، ومن بعيد يستروح (يشم) القتال" (٣٩: ٢٥).

٥- بعد ذلك يتحدث عن الصقر والنسر والعقاب فيقول: "هل بفضل حكمتك يقف الصقر (فى الهواء) بلا حركة باسطاً جناحيه ونظره مُصوّب نحو الجنوب؟ هل بأمرك يحلّق العقاب فى الأعالى والنسر يبقى رابضاً فى عشه على سن الصخرة وفى موضع خفى؟ ومن هناك يطلب طعامه جائلاً ببصره فى الآفاق البعيدة، وصغاره تحسو الدم، وحيثما توجد جثث، ففى الحال توجد هى هناك" (٣٩: ٢٦- ٣٠).

يقول الله (سائلاً أيوب) كيف يبقى الصقر معلقاً فى الهواء؟ كيف كان يُقدم له طعامه؟

ها أنت ترى كل ما قاله من خلال عدد قليل من الأمثلة! لماذا لم يذكر البقر أو الخرفان أو أى حيوان شبيه بهم، بل ذكر (فقط) الحيوانات التى لا يمكنها أن تخدمنا والتى يبدو أن لا معنى لوجودها؟

هذا لكى يُظهر أنه إن كان يُظهر هذا القدر من الحكمة والعناية بها وهى التى يبدو أن لا نفع لها، إذ أنت ترى أن الجوارح المفترسة تمتلك قدراً معقولاً من الحكمة آتية من الغريزة الطبيعية التى فيها وأن هذا الحيوان يسارع إلى العراك، والأخرى تشتّم الجثث، والنسر يبقى محلقاً فى الهواء.

الإصحاح الأربعون
والأصحاح الواحد والأربعون

حديث إلهى جديد

أيوب خضع، لكن الله استمر فى الكلام

١- **"فأجاب أيوب الرب وقال: لماذا استطالت محاكمتي، بينما الله هو الذى يوبخنى ويلومنى وأنا الذى لا شيء اسمع مثل هذه التوبيخات؟ أية إجابة أعطيها لهذه الكلمات؟ سأضع يدى على فمي، تكلمت مرة واحدة ولن أفعل هذا مرة ثانية"** (٤٠: ٣- ٥).

قال أيوب: لماذا استطالت محاكمتى؟

إن أيوب قد تراجع من البداية عن انتصاره وقال لله: إننى هُزمت، فإن العدل هو فى صفك، فلماذا تطيل وتستطرد فى القضية؟ بماذا يمكننى أن أجيب؟

٢- **"فأجاب الرب أيوب من وسط السحاب وقال: ليس بعد (التوقف)، بل شد حقويك كرجل، أسألك وأنت أجبني"** (٤٠: ٦- ٧).

انظر فإن الذين وثقوا فى فيض تبريرهم لم يدعوا خصومهم يفلتون منهم حتى لو حاولوا الهرب، لكى تظهر نصرتهم بمنتهى الوضوح. بعد ذلك برر الله نفسه أمام أيوب وقال: واضح من هذه الأمثلة أننى مهتم بالبشر وواضح أيضاً لماذا أرسلت لك هذه التجربة.

التجربة التى أرسلها الله لأيوب تهدف إلى إظهار بره

٣- **"لا ترفض حكمى ولا تظن أن تدخلى فى أمرك كان له هدف آخر سوى إظهار برك"** (٤٠: ٨).

إما أنه يتكلم عن تدخله الحالى فيقول: إننى أتكلم هكذا، ليس لكى أدينك، بل لأظهر أنك بار، أو أنه يريد القول عن تجربته معتبراً أن التدخل هو بمثابة القبول ـ أى ـ لا تظن (يا أيوب) أننى قررت أن يتم هذا الأمر على هذا النحو لأى هدف آخر (غير إظهار برك).

إنه لم يقل له «لكى تكون باراً» بل قال له «لإظهار برك» إذ أنك بار ولكى تعلّم الآخرين (فضيلة الصبر). أو أنه أراد الكلام عن تدخله الحالى - أي: لو قلت أنا هذا، فلكى بعد الكلمات التى نطقت أنا بها تظهر أنت باراً، فلم أقل هذا لإدانتك.

ثم من جديد تصدى الله بقوته و(من منطلق) مقته للأشرار(واصل الكلام) فقال: ليس فقط لأننى قدير، بل أنا أتصرف واستخدم مقدرتى ضد الأشرار.

٤- **"هل ذراعك كذراع الرب أو صوتك يرعد مثل صوته؟"** (٤٠: ٩).

قال الله لأيوب: هل ترعد كما أرعد أنا؟

"ليتذلل كل متكبر وليفنَ كل متعظم" (٤٠: ١١- ١٢).

ليس هذا الكلام لكى يعطى الانطباع بوجود الرعد، والأمر الآخر (الذراع) إنما لكى يُعرف الله (فى قوته).

انظر بكم طريقة يقنع الله أيوب بتفاهة الطبيعة البشرية، وهو لم يقل له: أنت تافه، بل قال له: إننى عظيم وأنت لا تستطيع أن تصنع ما أصنع.

الوحشان الهائلان اللذان يُظهران قدرة الله

٥- **"هل تأكل الحيوانات الوحشية العشب بجانبك مثل البقر؟"** (٤٠:١٥).

إن الشيء المثير لدهشة (هنا) أن الحيوان الوحشى ليس بآكل لحوم.

بعد ذلك تحدث الله عن نوعين من الحيوانات الوحشية، الواحد منها يعيش على الأرض والآخر فى الماء (العذب) أو فى البحر. ونحن لا نجهل أن كثير من الشارحين للكتاب فسروا هذا النص بمعنى روحي، معتقدين أن كل هذا قيل عن الشيطان. لكن ينبغى أولاً أن نهتم بالمعنى الحرفى وبعد ذلك لو كان يمكن للمستمع أن يجنى منفعة، لا نتغاضى أيضاً عن المعنى الروحي، والكتاب يقول: «فليكن كل شيء للبنيان» (١كو ٢٦: ١٤).

٦- ثم أضاف قائلاً: **"وعند وصولها إلى جبل مسّور يتلاعب بذوات الأربع فى التارتار** Tartare" (٤٠: ٢٠).

أى أن الحيوانات الوحشية ترفع رأسها عندما ينزوى هذا الحيوان (الهائل) متجهاً نحو الأماكن العالية.

إن كان الله قد خلق هذين الوحشين الهائلين، فهذا لكى تعلم أنه يستطيع أن يصنع الكل على هذا الطراز، لكنه لم يفعل هذا لأن خلقته كانت موجهة نحو ما هو مفيد لك. لاحظ كيف أن هذه الحيوانات كانت تراعى القوانين الخاصة بها، فهى تلازم البحر الذى لا يُصلح للملاحة.

ماذا يمكن أن يُقال عن منفعتها؟ نحن نجهل المنفعة السرية المضبوطة لهذه الوحوش(١)، لكن لو كان لنا أن نجازف بتفسير فهى خُلقت لكى تقودنا إلى الله. وكما بين الكواكب، البعض منها كثير والبعض الآخر قليل، البعض كبير جداً والبعض الآخر صغير جداً، كذلك من جهة الحيوانات الوحشية. لو أن الله خلقها كلها كبيرة، لكنتَ ستقول أنه لا يستطيع أن يخلق الصغيرة، ولو صنعها كلها صغيرة، لكنت ستقول العكس. بالمثل لو أنه لم يخلق إلا الحيوانات الأليفة، لكنت ستقول أنه لا يستطيع أن يصنع الحيوانات المتوحشة. عظيم هو التنوع بين الكواكب، وبين الكائنات الحية·· بين تلك التى تملك المعرفة (والتى لا تملكها)، بين تلك التى تتحلى بالعقل، وبين تلك التى محرومة منه. لكن إن قيل ما الفائدة من خلقة ما نجهله كما هو الحال فى هذه الحيوانات الوحشية التى نجهلها؟ لكن الذين يسافرون فى البحر يعرفونها، وهم يتكلمون عن الذين يجهلونها، بينما الذين ذهبوا إلى المواضع الصحراوية لا يجهلونها[٢].

٧- وتابع كلامه قائلاً: **"هل تغتذى عليها الأمم وهل تشاركها قبائل الفينيقيين؟"** (٤١ : ٥).

أى أن حجمه من الضخامة حتى أن الواحد منها يكفى لأمة بأكملها، وهو إن تكلم على هذا النحو، فليس كأن هذه الفكرة ينبغى أن تتم، وهو إن ذكر الفينيقيين، فهذا بسبب التجارة (التى اشتهروا بها).

٨- "هل ستضع يديك عليه دون أن تتذكر القتال الذى تعهدت نفسه به ضد حجمه (الهائل)، ودون أن تفتكر أن هذه هى المرة الأخيرة (لك)؟"

(٤١ : ٨).

---

(١) ١- أثبت علماء الجيولوجيا أن هذه الحيوانات الضخمة كانت تعيش بأعداد كبيرة جداً على الأرض قبل خلقة الإنسان، وقد انقرض معظمها قبل ظهور الإنسان على الأرض وما البترول الموجود الآن فى باطن الأرض سوى المنتج الذى جاءنا من تحلل هذه الكائنات تحت الأرض على مدى آلاف السنين.

(٢) ٢- هنا يقصد ذهبى الفم أن الذين يسافرون بالبحر يعرفون النوع المقيم فى البحر، والذين يرتادون الصحراء يعرفون النوع الذى يقيم فيها.

إنه بالقتال يقصد هنا الحركات الهوجاء ووحشية هذا الحيوان عندما يلمسه أحد بيده، فكيف يمكن أن يُقال أن هذا (اللمس) ممكن أن يحدث؟ وحيث أن هذا الحيوان وحشى وقوى فمن المستحيل لأحد أن يخيفه.

ملحوظة: لم يأت أى شرح أو حتى ذكر منفصل للإصحاح الحادى والأربعين وما ذُكر هنا هو فقط العددين ٥، ٨ من هذا الإصحاح وكانا مدمجين فى شرح الإصحاح الأربعين.

الإصحاح الثانى والأربعون

الله يكافئ أمانة أيوب

أيوب يقرّ بتفاهته أمام عظمة الله

١- ثم بعد هذا تابع النص الحديث فقال: **"فأجاب أيوب الرب فقال: قد علمت أنك تستطيع كل شيء ولا يعسر عليك أمر. فمن الذى يُخفى غرضه عنك، ومن يوارى أفكاره ويظن أنه اختفى عنك؟"** (٤٢: ١-٢).

٢- ثم أضاف قائلاً: **"بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عينى"** (٤٢: ٥).

ليس معنى هذا أنه رآه بعينيه، بل أنه سمعه بوضوح شديد.

٣- **"لهذا احتقرت نفسي وندمت وحسبت نفسي تراباً ورماداً"**(٤٢: ٦).

لأجل هذا قال الله له: «هل تظن أن تدخلى فى أمرك كان له هدف آخر سوى إظهار برّك؟»، فهذا كان لكى تتكلم كما فعلت لتّوك (منذ قليل)، وليس لإدانتك. وهذا كان تبريراً لكل ما حدث فى السابق.

إن أيوب لما تكلم هكذا لم يكن قد تخلص من تجربته بعد، بل كان لم يزل فى أوجاعه عندما تراجع عن موقفه (وكلامه السابق). قال أيوب: إننى لا أقيم اعتباراً لنفسى بل سأبرر الله بخصوص كل ما حدث. وحتى هذه (الخيرات السابقة التى كنت أنعم بها) لم أكن مستحقاً لها. فماذا فعل الله؟ إن الله برره عندما دان أيوب نفسه. وماذا قال الله؟

قال الله لأصدقاء أيوب الثلاثة أنه ينبغى لهم أن يكفّروا عن خطيتهم ويطلبون عبده أيوب ليصلى من أجلهم.

الله يدين تصرف أصدقاء أيوب الثلاثة

٤- يقول النص: **"وكان بعدما تكلم الرب مع أيوب بهذا الكلام أن الرب قال لأليفاز التيماني: لقد أخطأت أنت وصديقاك لأنكم لم تقولوا شيئاً من الصدق أمامى كعبدى أيوب"** (٤٢: ٧).

وهو هنا بذكره المستمر لعبده (أيوب) يريد أن يُظهر أن كل ما سبق قد مُحي، لذلك فإن أيوب قال الحق بحديثه عن أعماله الحسنة، بينما أنتم بإدانتكم له لم تقولوا الحق.

٥- قال الرب: **"والآن فخذوا لأنفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش واذهبوا إلى عبدى أيوب وهو يقدم ذبائح لأجلكم"** (٤٢: ٨).

ما كان الله سيوصيهم بهذا لو كان يوجد ناموس، بل هم يحضرون لأيوب التقدمات لكونه كاهناً، وكما قدم عن أبنائه يقدم أيضاً عن أصدقائه.

انظر كيف أن النص يبيّن أن قلب أيوب لم يحمل ضغينة. إن الله اتخذ أصدقاء أيوب الثلاثة شهوداً على تقواه الشخصية، وأظهر أيضاً فداحة خطأهم بالأهمية غير العادية لتقدمتهم. وما كان هناك احتياج لذبائح جليلة لو لم تكن الخطايا التى تم التكفير عنها ثقيلة.

٦- **وهو أيضاً يُظهر أن الذبيحة لم تكن كافية، لأنه قال "لأنه لولاه"** (٤٢: ٨).

لما كنت سامحتكم. بهذا يُظهر أنه غفر لهم هم أيضاً. وهو قال: «لأنه لولاه لكنت أفنيتكم، لأنكم لم تقولوا شيئاً من الصدق ضد عبدى أيوب» (٤٢: ٨).

لاحظ كيف أنهم عبثاً تكلموا بحماس، ومع ذلك فإنهم أُتهموا بأنهم لم يقولوا شيئاً من الحق، أو بالأحرى هم لم يتكلموا بالغيرة التى بحسب الله، وإلا لكان تم العفو عنهم آنذاك، وأيضاً ما كان أيوب مُحقاً فى لومهم. من هنا نعلم أن اتهام الأبرار (وهم أبرياء) ليس بخطية هيّنة.

أيوب يستعيد الغنى والاعتبار

٧- يقول النص: **"وعلم كل إخوته وأخواته بكل ما حدث له وجاءوا إليه، كذلك كل من عرفوه من قبل (جاءوا إليه)، وبعد أن أكلوا وشربوا معه وعزّوه واندهشوا لكل البلايا التى أصابه الرب بها، وقدم كل واحد منهم نعجة صغيرة وما قيمته أربع دراهم غير نقدية"** (٤٢: ١١).

وهذا التصرف هو برهان وعلامة على التغير، إذ أن البشر قد اعتادوا على إكرام من هو مُكرّم لدى الله كما يليق بملك، وقد تغير كل حال أيوب وتضاعفت أملاكه.

٨- يقول النص: **"وولد له سبعة بنين وثلاث بنات"** (٤٢: ١٣) **وقد وضع لهن أيوب أسماء، ربما مستوحاة من الظروف ودعاهن "يميمة وقصيعة وقرن هفوك"** (٤٢: ١٤).

أيوب لا يزال نموذجاً لنا اليوم كما كان لليهود قبل موسى

٩- بعد ذلك تحدث النص أيضاً عن ملوك وقال أن أيوب كان الخامس ابتداء من إبراهيم. واليهود كانوا آنذاك لا يزالوا موجودين فى مصر، وكانوا على وشك العودة، بحيث أنهم لو أرادوا فيمكنهم أن يجدوا فى سيرة أيوب حرارة متوهجة ليست قليلة يضرمون بها تقواهم، وسيكون أمراً مستبعداً أن يهملوا مثل هذه السيرة. وإن كان لا يزال تظهر لنا التذكارات المتبقية منه فكم بالأولى أظهرته الأحداث بينما كانت لا تزال حديثة العهد، وكل الذين عاشوا فى العربية (بلاد العرب) عرفوا أيضاً أهمية هذه الأحداث.

وبالنسبة لنا فنحن تكلمنا عنه كما باختصار، ولكن سيكون متاحاً من الوهلة الأولى لاكتشاف أكثر مما قلنا لمن يجتهد ويسعى بالفحص المدقق للنص الذى هو محل البحث، والكتاب يقول «أعط للحكيم دفعة فيصير أوفر حكمة»(أم٩: ٩). بناء على ذلك فليلقى كل قارئ نظرة على هذا المجاهد المقدام كنموذج ومثال ونقتدى ببسالته ونتبارى معه فى الصبر، تابعين نفس الطريق مثله ومجابهين بمروءة كل مكائد الشيطان، فيمكنه بذلك أن ينال الخيرات الموعودة لكل من يحبون الله بنعمة ورحمة ربنا يسوع المسيح الذى له المجد والسلطان والإكرام مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

تم الانتهاء من الترجمة السبت ٢٧ أغسطس ١٩٩٤م الموافق نياحة القديسة إيرينى.

فهرس الموضوعات

مقدمة ٧

شرح سفر أيوب للقديس يوحنا ذهبى الفم ٩

مقدمة الكتاب ١٢

الإصحاح الأول ١٥

الإصحاح الثانى ٤٣

الإصحاح الثالث ٥٩

الإصحاح الرابع ٦٧

الإصحاح الخامس ٧٧

الإصحاح السادس ٨٣

الإصحاح السابع ٩١

الإصحاح الثامن ٩٧

الإصحاح التاسع ١٠١

الإصحاح العاشر ١٠٩

الإصحاح الحادى عشر ١١٣

الإصحاح الثانى عشر ١١٧

الإصحاح الثالث عشر ١٢١

الإصحاح الرابع عشر ١٢٥

الإصحاح الخامس عشر ١٢٩

الإصحاح السادس عشر ١٣٣

الإصحاح السابع عشر ١٣٥

الإصحاح الثامن عشر ١٣٧

الإصحاح التاسع عشر ١٤٠

الإصحاح العشرون ١٤٥

الإصحاح الحادى والعشرون ١٤٧
الإصحاح الثانى والعشرون ١٥١
الإصحاح الثالث والعشرون ١٥٣
الإصحاح الرابع والعشرون ١٥٥
الإصحاح الخامس والعشرون ١٥٧
الإصحاح السادس والعشرون ١٥٨
الإصحاح السابع والعشرون ١٥٩
الإصحاح الثامن والعشرون ١٦١
الإصحاح التاسع والعشرون ١٦٢
الإصحاح الثلاثون ١٦٨
الإصحاح الحادى والثلاثون ١٧١
الإصحاح الثانى والثلاثون ١٧٩
الإصحاح الثالث والثلاثون ١٨٣
الإصحاح الرابع والثلاثون ١٨٦
الإصحاح الخامس والثلاثون ١٨٩
الإصحاح السادس والثلاثون ١٩١
الإصحاح السابع والثلاثون ١٩٣
الإصحاح الثامن والثلاثون ١٩٥
الإصحاح التاسع والثلاثون ٢٠٦
الإصحاح الأربعون ٢٠٨
والأصحاح الواحد والأربعون ٢٠٨
الإصحاح الثانى والأربعون ٢١٢
فهرس الموضوعات ٢١٥

القديس يوحنا ذهبى الفم كعادته واعظاً قديراً وفسر لنا السفر بدراسة دقيقة ودسمة ويعتبر تفسير هذا السفر من التراث الكنسى ومرجعاً للدارسين

ونقدم هذا الكتاب للقراء فى زمن كثرت فيه الأمراض والبلايا والتجارب ليكون عزاء حتى عندما يعرفون تجربة أيوب البار وتمسكه بالرب فى قسوة التجربة يكون عزاء ومرشداً لهم

[redacted]